(١) **صفات الله تعالى .**

إن أول من يذكر عنه أنه تكلم فى صفات الله تعالى فى الإسلام وابتدع القول بنفيها وتعطيلها هو الجعد بن درهم(١)، ثم أخذعنه ذلك تلميذه الجهم بن صفوان(٢)الترمذى ، وتولى كبر نشر تلك المقالة فكثر أتباعه .

فلما ظهرت المعتزلة أخذت عن جهم قوله فى نفى الصفات(٣).

وقد أجمع المعتزلة على نفى صفات الله تعالى الأزلية ، سواء منها ماكان من صفات الذات(٤)، أو صفات الأفعال(٥).

---

(١) الجعد بن درهم :
هو مؤدب مروان الحمار . من الموالى . يعد فى التابعين . زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى ، وابتدع القول بخلق القرآن ، وكان زنديقاً . قتله خالد القسرى يوم النحر .
انظر : ميزان الاعتدال ٣٩٩/١ ، سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥ ، البداية والنهاية ٣٥٠/٩ ، لسان الميزان ١٠٥/٢ ، الأعلام ١٢٠/٢ .

(٢) الجهم بن صفوان :
هو أبو محرز الراسبى ، مولاهم ، السمرقندى ، الكاتب المتكلم ، الضال المبتدع ، رأس الجهمية ، كان ينكر الصفات، ويقول بخلق القرآن ، وإن الله فى الأمكنة كلها ، والإيمان عقد بالقلب ، وإن تلفظ بالكفر . قتل بمرو فى عام ١٢٨هـ بعد أن زرع شراً عظيماً .
انظر : تاريخ الطبرى ٢٢٠/٧ ، الكامل فى التاريخ ٣٤٢/٥-٣٤٤ ، ميزان الاعتدال ٤٢٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٢٦/٦-٢٧ ، الأعلام ١٤١/٢ .

(٣) انظر : الملل والنحل ص٨٦ مع الهامش ، جهم بن صفوان ومكانته فى الفكر الإسلامى ص٧٢-٧٣ .

(٤) الصفات الذاتية :
هى الصفات الأزلية الثابتة لله تعالى التى لاتنفك عنه كصفة النفس والعلم والحياة والقدرة والسمع . انظر : الكواشف الجلية ص٤٢٩ .

(٥) الصفات الفعلية :
هى الصفات الثابتة لله تعالى التى تتعلق بالمشيئة والقدرة ، وهى قديمة النوع حادثة الآحاد كصفة الاستواء والنزول والضحك والمجىء .
انظر : الكواشف الجلية ص٤٢٩،٤٣٠ .

وزعموا بأنه ليس له سبحانه علم ، ولاقدرة ، ولاحياة ، ولاسمع ، ولابصر ، ولاغير ذلك من الصفات(١).

واتفقوا على أن صفاته سبحانه هى إثبات لذاته(٢). كما اتفق جمهورهم على أن الله تعالى عالم ، قادر ، حى ، بذاته ، لابعلم ، وقدرة ، وحياة ، هى صفات ومعانى قائمة به(٣).

وكانت هذه المقالة فى مبدئها غير ناضجة ، وكان واصل بن عطاء(٤) يشرع فيها على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين ، وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة(٥).

والذى دفعهم إلى نفى صفات الله تعالى ، الخوض فى ذلك بعقولهم والاعتماد عليها فىمعرفة الله سبحانه وصفاته(٦).

ولذا شرطوا فى إثبات الصفة لله أن تكون معقولة ليصح إثباتها لله تعالى ، لأن إيراد الدلالة على إثبات الشىء فرع على كونه معقولاً فى نفسه(٧).

والاستدلال بالسمع على ذلك غير ممكن(٨).

---

(١) انظر : الفرق بين الفرق ص١١٤ ، فى العقيدة الإسلامية ص٢٤٤ .

(٢) انظر المرجع السابق ص٢٤٤ .

(٣) انظر المرجع نفسه ص٣٩٩ .

(٤) واصل بن عطاء :

هو واصل بن عطاء الغزال ، أبو حذيفة ، مولى بنى ضبة أو بنى مخزوم ، ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة ، رأس المعتزلة ، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين ، تنسب إليه الطائفة الواصلية . له تصانيف . منها : "أصناف المرجئة" ، "المنزلة بين المنزلتين" ، "معانى القرآن" . مات سنة ١٣١هـ .

انظر : وفيات الأعيان ١١،٧/٦ ، ميزان الاعتدال ٣٢٩/٤ ، سير أعلام النبلاء ٤٦٤/٥-٤٦٥ ، لسان الميزان ٢١٤/٦ ، شذرات الذهب ١٨٢/١ ، الأعلام ١٠٨/٨-١٠٩ .

(٥) انظر : الملل والنحل ٤٦/١ .

(٦) انظر : المحيط بالتكليف ص٣٠-٣١،٣٣ .

(٧) انظر المرجع السابق ص١١٠ .

(٨) انظر : شرح الأصول ص٢٠١ .

وبالتالى لايجوز عندهم الاحتجاج بأحاديث الآحاد فى هذا الباب لأنه لااعتماد عليها ههنا ، وإنما فارس الميدان فى هذا المقام هو العقل فلامنافس له البتة ولامشارك له. ولازم ذلك أن يرد كل حديث مهما كانت صحته قام بمعارضة عقولهم فى إثبات صفة لله تعالى .

ولما كان الاعتماد على العقول فى إثبات صفات الله تعالى عند المعتزلة سولت لهم عقولهم شبهتين بهماعطلوا صفات الخالق وجردوه عنها :

الأولى : إن من أثبت لله صفة قديمة فقد قال بتعدد القدماء ، لأن صفاته لو شاركته فى القدم لشاركته فى الألوهية ، وأدى ذلك إلى تعدد القديم سبحانه(١).

قال عبد الجبار :

"فالقديم تعالى لو استحق هذه الصفات (الحياة ـ العلم ـ القدرة ـ الوجود ـ ...) لمعان قديمة لوجب أن تكون مثلاً لله تعالى"(٢).

وقال :

"فلو كان له علم قديم لوجبت مماثلته له فى كل صفة ، لأن الاشتراك فى صفة من صفات الذات يوجب الشركة فى سائرها ويوجب المماثلة"(٣).

الثانية : إن إثبات تلك الصفات يلزم منه أن يكون الله جسماً محدثاً كما تقتضيه حجة العقل(٤).

وقد علل عبد الجبار ذلك بقوله :

"ومن جملة ماينفى عنه تعالى أن يكون بصفة الجواهروالأجسام ، والأصل فى ذلك أن الكلام فى نفى الجسمية على الحقيقة كالوجه فيه ، أنه إذا كان كذلك لم يكن بد من تحيزه ، فإنه إذا لم يكن كذلك لم ينفصل عن غيره ، وإذا كان متحيزاً وجب أن لاينفصل تحيزه عن كونه كائناً فى جهة ،

---

(١) انظر : الملل والنحل ١/٤٤-٤٦ .
(٢) شرح الأصول ص١٩٧ .
(٣) المحيط بالتكليف ص١٨٠ .
(٤) انظر : فضل الاعتزال ص١٥٣ .

وقد مضى الكلام فى أنه لايكون الكائن كائناً فى جهة إلا لمعنى محدث والقول بأنه جسم يعيده إلى أنه محدث ، ... ومما يدل على هذا أيضا أن الدلالة قد دلت على أن الأجسام متماثلة ، وإذا ثبت تماثلها لم يصح إلا أن يستوى الكل فى استحقاق الصفة الذاتية"(١).

فالصفات التى تطلق ألفاظها على البشر لايجوز أن تطلق على الله سبحانه وتعالى لأنه يستوى عندئذ الكل فى استحقاق هذه الصفات ، ويلزم من ذلك مماثلة الله للبشر وتشبيهه بهم ، وبالتالى يؤدى إلى أن يكون الله جسماً كالأجسام .

قال عبد الجبار :

"لو كان الله عالما بعلم لكان يجب فى علمه أن يكون مثلاً لعلمنا"(٢).

وقال :

"فكل ماكان مما لايجوز إلا على الأجسام ، فيجب نفيه عنه تعالى"(٣).

لأنه لو كان حياً بحياة وقادراً بقدرة لوجب أن يكون سبحانه جسماً محلاً للأعراض(٤).

والموحد لله هو الذى ينفى عنه مشابهة الأجسام .

قال عبد الجبار :

"تمام التوحيد لايكون إلا بأن تنفى عن الله شبه الأجسام"(٥).

وإثبات الصفات لله تشبيه لله بخلقه ، وحال صاحبه أشد من حال من يعبد الأصنام(٦).

وأهل السنة المثبتون لصفات الله تعالى مشبهة ، غير موحدين لله ، ولايعرفون ربهم ، لأنهم وصفوه بالأعضاء والزوال والاستواء ويلزم من

---

(١) المحيط بالتكليف ص١١٨ .
(٢) شرح الأصول ص٢٠١ .
(٣) المحيط بالتكليف ص٢٠٠ .
(٤) انظر : شرح الأصول ص٢٠٠-٢٠١ .
(٥) المحيط بالتكليف ص٣٧ .
(٦) انظر : فضل الاعتزال ص١٥٢ .

ذلك أن يكون جسما(١).

وأما آيات القرآن الكريم التى تثبت صفات الله تعالى فهى آيات متشابهة كما يزعمون ، فيجب أن تأول لموافقة الأدلة القاطعة وهى أدلة العقول ، لأنها موهمة للتشبيه ، ولأنها محتملة الدلالة ، وأما العقل فلااحتمال فى دلالته . وماوقع التشبيه فى الأمة إلا بسبب التعلق بالآيات المتشابهة وترك تأولها على مايوافق دليل العقل والآيات المحكمة(٢).

قال عبد الجبار :

"إذا ورد فى القرآن آيات تقتضى بظاهرها التشبيه ، وجب تأويلها ، لأن الألفاظ معرضة للاحتمال ، ودليل العقل بعيد عن الاحتمال"(٣).

ويورد أبو الحسين عددا من آيات الصفات ثم يقول :

"فكل هذه الآيات ومأأشبهها من الآيات ، فإنما يريد عز وجل ذاته ، لأن ثم نفسا ووجها ويدا ، وعينا ويمينا سواء"(٤).

منهج السلف فى صفات الله والرد على المعتزلة :

الكلام عن صفات الله عز وجل له أهمية عظيمة بالنسبة للفرد المسلم وذلك لأن الإيمان بالله الذى هو الركن الأول من أركان الإيمان لايتحقق إلا إذا وصف الله سبحانه بما يستحقه من صفات الكمال اللائقة به ، ونعوت الجلال التى تعرف العبد بربه تعالى . بل لايكون العبد موحدا لله إلا إذا عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأقر بذلك، إذ الإقرار بأسماء الله وصفاته تحقيق لأحد أقسام التوحيد الثلاثة(٥)التى لاينفك بعضها عن بعض .

ولما كانت أسماء الله وصفاته بهذه الأهمية كثر ذكرها فى كتاب الله عز وجل وفى حديث رسوله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) انظر : فضل الاعتزال ص١٩٦-١٩٧ .

(٢) انظر : المرجع السابق ص١٤٩ .

(٣) المحيط بالتكليف ص٢٠٠ .
وانظر : شرح الأصول ص٢١٢ ، فضل الاعتزال ص١٤٩،١٥٢ .

(٤) رسائل العدل ص١١٥ .

(٥) وهى توحيد : الربوبية ، والألوهية ، والأسماء والصفات .

ولوضوح هذا التوحيد لم يقع خلاف بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، ولم يتنازع اثنان منهم فى أمر واحد منه ، بل الجميع كانوا على اتفاق تام بالإقرار به والتسليم بما جاء فى القرآن والحديث منه .

يقول ابن القيم رحمه الله :

"وقد تنازع الصحابة فى كثير من مسائل الأحكام ، وهم سادات المؤمنين وأكمل الأمة إيماناً ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا فى مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات مانطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة ، من أولهم إلى آخرهم ، لم يسوموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ، ولم يبدوا لشىء منها إبطالاً ، ولاضربوا لها أمثالاً ، ولم يدفعوا فى صدورها وأعجازها ، ولم يقل أحد منهم يجب صرفهاعن حقائقها وحملها على مجازها ، بل تلقوها بالقبول والتسليم ، وقابلوها بالإيمان والتعظيم ، وجعلوا الأمر فيها كلها أمراً واحداً ، وأجروها على سنن واحد ، ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضين ، وأقروا ببعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين ، مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه"(١).

وقد ظلت القرون الخيرة تنهج نهج صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إثبات صفات الله والإقرار بها إلى أن نجم التجهم فى الأمة وابتدع القول بنفى صفات الله ، فاحتضن أهل الاعتزال تلك المقالة وجعلوها عقيدة يدينون الله بها(٢).

وأما أهل السنة والجماعة من سلف هذه الأمة فإنهم أثبتوا لله تعالى ماأثبته لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من أسمائه الحسنى

---

(١) أعلام الموقعين ٤٩/١ ، وانظر : لوامع الأنوار ٦/١ .

(٢) انظر : الملل والنحل ص٨٦ مع الهامش .

وصفاته العليا من غير تحريف(١)، ولاتعطيل(٢)، ولاتكييف(٣)، ولاتمثيل ، كما نفوا عنه مالايليق به من صفات النقص التى نفاها عن نفسه سبحانه ونفاها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم مستندين فى ذلك إلى قوله سبحانه : {ليس كمثله شىء}(٤)إثبات لصفات الله بلاتمثيل . {وهو السميع البصير} تنزيه لله عن صفات النقص بلاتعطيل(٥).

يقول الإمام أبو عثمان الصابونى رحمه الله :

"أصحاب الحديث ، حفظ الله أحياءهم ، ورحم أمواتهم ، يشهدون لله بالوحدانية ، وللرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة والنبوة . ويعرفون ربهم عز وجل بصفاته التى نطق بها وحيه وتنزيله ، أو شهد بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ماوردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ، ويثبتون لله جل جلاله ماأثبته لنفسه فى كتابه ، وعلى لسان رسوله

---

(١) التحريف : هو التغيير . القاموس المحيط ص١٠٣٣ .
وفى الاصطلاح هو تغيير ألفاظ أسماء الله وصفاته ومعانيها . وهو قسمان : تحريف لفظ : كتحريف اليهود لقوله تعالى "وقولوا حطة" فقالوا : "حنطة" .
وتحريف معنى : كتفسير المبتدعة لصفة الغضب بإرادة الانتقام .
انظر : الكواشف الجلية ص٨٦ .

(٢) التعطيل : هو التفريغ والإخلاء ، وترك الشىء ضياعا .
القاموس المحيط ص١٣٣٥ .
والمراد به هنا : نفى صفات الله تعالى ، وإنكار قيامها بذاته أو إنكار بعضها دون بعض .
انظر : الكواشف الجلية ص٨٧ .

(٣) التكييف : من الكيف وهو القطع .
انظر : القاموس المحيط ص١١٠١ .
والمراد به هنا القطع بحقيقة صفات الله ، وتعيين كنهها ، وأن لها حقيقة معلومة .
انظر : الكواشف الجلية ص٨٩ .

(٤) سورة الشورى : آية ١١

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٣٧٣ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٤،١٠٨-١٠٩ ، لوامع الأنوار ١/٩٤،٩٧،١١٦،١٢٨،١٢٩ ، إيضاح الدليل ص٣٩ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٢٢ .

صلى الله عليه وسلم ، ولايعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه ، فيقولون إنه خلق آدم بيده كما نص سبحانه عليه فى قوله عز من قائل : {ياإبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى}(١)، ولايحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين ، أو القوتين ، تحريف المعتزلة الجهمية ، أهلكهم الله ، ولايكيفونهما بكيف ، أو تشبيههما بأيدى المخلوقين ، تشبيه المشبهة(٢) خذلهم الله ، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف ، ومن عليهم بالتعريف والتفهيم ، حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه ، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه ، واتبعوا قول الله عز وجل : {ليس كمثله شىء وهو السميع البصير}(٣)(٤).

وهناك بعض القواعد المهمة التى يتضح من خلالها منهج السلف فى صفات الله عز وجل . من ذلك :

(١) القول فى الصفات كالقول فى الذات :

فإذا كان لله سبحانه ذات حقيقية لاتماثل ذوات المخلوقين ، فذاته متصفة بصفات حقيقية لاتماثل سائر صفات الخلق .

فما يقال عن ذاته سبحانه يقال عن صفاته ، إذ الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات يحتذى حذوه(٥).

---

(١) سورة ص : آية ٧٥

(٢) المشبهة :

هم الذين يشبهون الخالق بالمخلوق ، فيقولون له وجه كوجه المخلوق ويد كيد المخلوق ونحو ذلك . ومنهم من يزعم أن معبودهم جسم ذو أبعاض ، محدودة . انظر : مقالات الإسلاميين ١٠٦/١-١٠٧ ، الملل والنحل ١٠٣/١-١٠٥ ، منهاج السنة النبوية ٥٢٢/٢,٥٢٣ ، الكواشف الجلية ص٨٩ .

(٣) سورة الشورى : آية ١١

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث ص٧٥ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٢٥/٣،١٦٧ ، تلبيس الجهمية ٧٦/١ ، الكواشف الجلية ص٢٣٠،٤٣٠ .

(٢) القول فى بعض الصفات كالقول فى البعض الآخر(١):

فإثبات صفة لله تعالى يلزم منه إثبات بقية الصفات ، ونفى صفة واحدة يلزم منه نفى بقية الصفات ، إذ لافرق بين صفة وصفة . وإن من نفى شيئاً وأثبت شيئاً مما دل الكتاب والسنة على إثباته فهو متناقض لايستقيم له دليل لامن الشرع ولامن العقل(٢).

(٣) الاتفاق فى الأسماء لايقتضى التساوى فى المسميات :

فالله سبحانه سمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات مختصة به لايشركه فيها غيره ، كما سمى بعض مخلوقاته بأسماء ووصفهم بصفات تختص بهم ، فلايلزم من اتفاق الأسماء والصفات تماثل مسماها(٣).

فإن الله سبحانه أخبرنا عن الجنة ومافيها من أصناف المطاعم والملابس والمساكن ، وأن فيها لبناً وعسلاً وخمراً ، ولحماً وحريراً وذهباً وفضة ، وفاكهة وقصوراً ، وهى موافقة لأسماء الحقائق الموجودة فى الدنيا وليست مماثلة لها ، كما قال ابن عباس رضى الله عنهما : "ليس فى الدنيا شىء مما فى الجنة إلا الأسماء" . فإذا كان بينهما من التباين مالايعلمه إلا الله ، وكلاهما مخلوق ، فالخالق سبحانه وتعالى أعظم من مباينة المخلوق للمخلوق(٤).

وهذه الروح التى خلقها فينا وصفت بصفات عدة ، فهى تصعد من سماء إلى سماء ، وتقبض من البدن ، وتسل كما تسل الشعرة من العجينة ، وهى موجودة حية ، ومع ذلك لايدرك كنهها أحد . فإذا كانت متصفة بهذه الصفات مع عدم مماثلتها للمخلوقات ، وهى مخلوقة ، فالخالق عز وجل أولى فى مباينته لمخلوقاته مع اتصافه بما يستحق من الأسماء والصفات(٥).

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٣/١٧ .
(٢) انظر : الكواشف الجلية ص٢٣٠ .
(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣/١٠ ، الكواشف الجلية ص٤٢٨-٤٢٩ .
(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٢٨ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٨ .
(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٣١،٣٣ .

(٤) اللـه سبحانه له المثل الأعلى فلايجوز أن يقـاس على غيره بقيـاس تمثيل يستوى فيه الأصل والفرع ، ولابقياس شمول يستوى أفراده فى حكمه ولكـن يستعمل فى حقه قيـاس الأولى ، والمثل الأعلى ، وهـو أن كل ماتصف به المخلوق من كمـال فـالخالق أولى به ، وكـل مـاينزه عنـه المخلوق فالخالق منزه عنه .

فـالله يثبت له من صفات الكمـال مايليق به ، وهـو متصـف بها على وجه لايماثله فيها أحد(١).

وبعـد هذه القواعد المهمـة التى يتضح من خلالها منهـج سلفنا الصالح فى صفات الله عز وجل ، نتتبـع ماأثاره المعتزلة مـن شبـه حول الصفات ، مع بيان ردها وعدم صحتها .

إن السمة البارزة التى يتسم بها أهل الاعتزال والجهميـة وجميع الفرق المنحـرفة عن المنهج السوى فى صفـات الله جل وعلا ، هـذا النفى أى نفى صفاته سبحانه ، الذى جعلوا منه منهجاً لهم يدينون اللـه به ويوحدونه من خلالـه ، وهم أبعد مايكونون عن توحيده سبحانه لأنهـم بهذا النفى المبتدع عطلوا صفات رب العالمين وجردوه منها ، فوقعوا بذلك فى الالحاد الذى حذر الله منه فى قوله : {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون}(٢). فإن من الالحاد أن تعطل أسماء الرب سبحـانه عن معانيها وأن تجحـد حقائقها ، وذلك من أعظـم الالحاد فيهـا عقلاً ولغة وشرعا وفطرة(٣). ولادليل معهم يستندون إليه فى هذا النفى ، بل هو أمر حادث مبتدع فى دين الله(٤).

---

(١) انظـر : بيـان تلبيـس الجهميـة ٣٢٧/١-٣٢٨ ، شـرح الطحـاوية ص١١٩ ، لـوامع الأنوار ٢١٦/١-٢١٧ ، الكواشف الجلية ص١٠٢-١٠٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٨٠

(٣) انظر : لوامع الأنوار ١٢٨/١ .

(٤) انظر : موافقة صحيح المنقول ١٨٩/١ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"الصواب عند السلف والأئمة وجماهير المسلمين أنه لايجوز النفى إلا بدليل كالإثبات ، فكيف ينفى بلادليل مادل عليه دليل : إما قطعى وإما ظاهرى؟ بل كيف يقال مالم يقم دليل قطعى على ثبوته من الصفات يجب نفيه ، أو يجب القطع بنفيه ، ثم يقال فى القطعى إنه ليس بقطعى . فهذه المقدمات الفاسدة هى وسائل الجهل والتعطيل وتكذيب المرسلين"(١).

فنفيهم لصفات الله مخالف لظاهر النصوص التى تدل على إثباتها ، ومخالف لطريقة سلف الأمة ونهجهم(٢).

بل ذلك مخالف لما جاء به رسل الله وأنبياؤه عليهم السلام ، فإنهم جاءوا بإثبات مفصل ، ونفى مجمل ، فأثبتوا الأسماء والصفات لله على طريق التفصيل ونفوا عنه مماثلة المخلوقات على طريق الإجمال ، وأما المعتزلة ومن على نهجهم عكسوا الأمر فجاءوا بنفى مفصل ، وإثبات مجمل ، فيقولون : ليس كذا ، ليس كذا(٣).

وهؤلاء النفاة لصفات الله لم يفهموا منها إلا ماهو لائق بالمخلوق ، ولم تتسع عقولهم للفرق الشاسع بين صفات الخالق وصفات المخلوق ، فشرعوا فى نفيها عن الله ، فجمعوا بين شرين هما التمثيل والتعطيل . فلما وقع فى أذهانهم تمثيل صفات الله بصفات خلقه ، وأن إثباتها يقتضى ذلك، لجأوا إلى نفيها عن الله فوقعوا فى التعطيل(٤). وظنوا أن قوله تعالى : {ليس كمثله شىء}(٥)مستنداً لهم ، وأنه يشفع لهم فيما ذهبوا إليه ، وتناسوا عجز الآية الذى يحوى أبلغ رد عليهم . وذلك قوله تعالى : {وهو السميع البصير} ،

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٧٩/١ .
(٢) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص١٣ .
(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٥٣/٢ ، لوامع الأنوار ١٣٠،١٢٩/١ .
(٤) انظر : طريق الهجرتين ص٢٣٥-٢٣٦ ، لوامع الأنوار ٩٤/١ .
(٥) سورة الشورى : آية ١١

فالله نفى فى الآية مماثلة صفاته لصفات المخلوقات ، ثم أثبت لنفسه مايليق به من الصفات(١). وهـذا هو الواجب فى صفاته : أن يوصـف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله من غير تشبيه ولاينفى عنه ماوصف به نفسه ووصفه به رسوله فإن ذلك تعطيل . فالآية ردت بصدرها على من شبه وردت بعجزها على من عطل(٢). وليس فى قوله تعالى : {ليس كمثله شىء} دلالـة على نفى الصفات ، بل هى دالة على إثباتها ووصف الله بها .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :

"قـوله تعـالى : {ليس كمثلـه شـىء} وهذا من أعظـم الأدلـة على كثرة صفـات كماله ونعوت جلاله وأنهـا لكثرتها وعظمتها وسعتهـا لم يكن له مثل فيهـا ، وإلا فلو أريد بها نفـى الصفات لكان العدم المحـض أولى بهـذاالمدح منـه ، مـع أن جميع العقلاء إنما يفهمـون مـن قول القـائل فلان لامثـل لـه وليـس له نظير ولاشبيه ولامثيـل ، أنه قد تميز عن النـاس بأوصـاف ونعوت لايشـاركونه فيها،وكلما كثرت أوصـافه ونعوته فات أمثـاله وبعد عن مشابهة أضـرابه ، فقـوله {ليـس كمثلـه شـىء} مـن أدل شـىء على كثرة نعـوته وصفاته"(٣).

زعمهـم أن الصفات لاتثبـت إلا بالعقل ، وأن العقـل هـو الذى يلجأ اليه فى إثبات كل صفة لله تعالى .

يجاب على ذلك :

إن أسمـاء الله تعالى وصفـاته توقيفية ، والمراد بذلـك أنها تتلقى من طريق كتاب الله وسنة رسولـه صلى الله عليه وسلم لايتجـاوز بهـا ماورد فى الكتاب والسنة .

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٥٦-٣٥٧ .

(٢) انظر المرجع السابق ص٥٢٠ .

(٣) حادى الأرواح ص٢١٨ .

ولـذا قال السلف رضوان اللـه عليهم : لانصف اللـه إلا بما وصف به نفسـه أو وصفه به رسوله صلى اللـه عليه وسلم ، ولانسميـه إلا بما سمـى به نفسه أو سماه به رسوله صلى الله عليه وسلم(١).

وقـد نزه اللـه نفسه عما يصفـه به العباد ، إلا بما وصفـه به المرسلـون بقـوله سبحانه : {سبحان ربك رب العـزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين}(٢).

فنزه نفسـه سبحـانه فى الآية عمـا يصفـه به الكـافـرون ، ثم سلم على المرسلين ، لسلامـة ماوصفوه به من النقائص والعيوب ، ثم حمـد نفسه على تفرده بالأوصاف التى يستحق عليها كمال الحمد(٣).

وأمـا العقل فلاتثبت به أسمـاء الله وصفاته ، لأن العقـل لايمكنـه أن يدرك مـايستحقه الله سبحانه مـن الأسماء والصفات ، فـوجب الـوقوف على الشرع ، ولأن تسمية الله أو وصفه بما لم يسم أو يصف به نفسه ، أو إنكار ماسمى أو وصف به نفسه جنـاية فى حقـه تعـالى ، فيجـب سلـوك الأدب فى ذلك(٤).

قال الإمام الشافعى رحمه الله :

"لله أسماء وصفات لايسع أحداً ردها ، ومن خالـف بعد ثبوت الحجة عليـه فقـد كفـر ، وأما قبل قيـام الحجـة فـانه يعذر بالجهـل ، لأن علم ذلـك لايدرك بالعقل ولاالروية والفكر"(٥).

والعقل السليم لايدل على نفى صفات الله ، بل هو دال على إثباتها ، وإن كانت لاتثبت به ، لأنه دال على أن الذى يفعل أكمل من الذى لايقدر

---

(١) انظـر : بيـان تلبيـس الجهمية ١٤٨/١ ، شـرح الطحـاوية ص٢١٨ ، لـوامع الأنوار ٣٨/١ الهامش ، ١٣٤/١ ، الكواشف الجلية ص٤٢٧ .

(٢) سورة الصافات : آية: ١٨٠ - ١٨٢

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٧١-٧٢ .

(٤) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص٩ .

(٥) مناقب الشافعى ص٥٨١

على الفعل ، وأن فعله سبحانه الذى يتعلق بنفسه والذى يتعلق بخلقه هو كمال(١).

وبالتالى العاقل إذا تمعن فى أدلة نفاة الصفات وتدبرها تمام التدبر ، وأعطاها حقها من النظر العقلى السليم ، علم بالعقل فساد تلك الأدلة وثبوت نقيضها(٢).

الجواب عن الشبهة الأولى : وهى زعمهم بأن إثبات الصفات يؤدى إلى تعدد القدماء .

هذا الزعم منهم قول مجمل يتضح مع التفصيل والبيان وهو شأن السلف فى الألفاظ المجملة . فإن أراد المعتزلة بذلك تعدد آلهة خالقة للمخلوقات مع الله سبحانه فهذا قول مستحيل.وإن قيل بتعدد معان وصفات لله سبحانه فذلك جائز ، ولايلزم من تعدد الصفات تعدد الذات الموصوفة بهذه الصفات(٣).

قال السفارينى :

"المحظور فى تعدد القدماء المغايرة ونحن نمنع تغاير الذات مع الصفات والصفات بعضها مع بعض فينتفى التعدد والتكثر ، ولئن سلم مازعموا من تعدد القدماء فالممتنع تعدد القدماء إذا كانت ذوات مستقلة لاتعدد ذات وصفات لها"(٤).

وكل من الذات والصفات ملازم للآخر(٥). فالذات الموصوفة لاتنفك عن الصفات أصلاً ، ولايمكن وجود ذات خالية عن الصفات(٦). والذات المجردة عن الصفات كالعلم والقدرة لاحقيقة لها فى الخارج ولاهى الله .

---

(١) انظر : الكواشف الجلية ص٢٢٩ .
(٢) انظر : درء تعارض العقل والنقل ١٤٨/١ .
(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٤١/١-٥٤٢ .
(٤) لوامع الأنوار ٢١٧/١ .
(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٤١/١ .
(٦) انظر : مجموع الفتاوى ٣٣٦/٣ .

والله هو الذات الموصوفة بالصفات اللازمة لها ، واسم الله يتضمن الذات والصفات ، ولم يطلق السلف على الصفات أنها غير الله ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك"(١). وثبت فى الصحيح الحلف بعزة الله(٢)، وعمر الله(٣)، فالحلف بذلك ليس حلفاً بغير الله(٤).

---

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى سننه من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فى كتاب النذور والأيمان (٢١) ، باب ماجاء فى كراهية الحلف بغير الله (٨) برقم ١٥٣٥ ، وقال : "هذا حديث حسن" . ٩٤/٤ .
وأحمد فى المسند بألفاظ مقاربة من حديث ابن عمر ٤٧/١ ، ٣٤/٢، ٦٩، ٨٦-٨٧، ١٢٥ .
والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى ٢٩٧/٤ .
وأخرجه فى مواضع أخرى بألفاظ مقاربة ١٨/١، ٥٢ .
وعبد الرزاق فى المصنف بلفظ مقارب عن ابن عمر ، باب الأيمان ، ولايحلف إلا بالله برقم ١٥٩٢٦ ، ٤٦٧/٨-٤٦٨ ، وأورده الشيخ ناصر الدين الألبانى فى صحيح الجامع وقال : صحيح . ٢٨٢/٥ . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦٩/٥-٧١ ، حديث رقم ٢٠٤٢ .

(٢) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الغسل (٥) ، باب من اغتسل عريانا (٢٠) ، ٧٤/١ كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الفرقان (٢٥) ، باب قوله {الذين يحشرون على وجوههم} الآية (١) ، ١٤/٦ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب الصراط جسر جهنم (٥٢) ، ٢٠٦/٧ ، كتاب الأيمان (٨٣) ، باب الحلف بعزة الله (١٢) ، ٢٢٤/٧-٢٢٥ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وهو العزيز الحكيم} من حلف بعزة الله وصفاته (٧) ، ١٦٦/٨-١٦٧ .
صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب معرفة طريق الرؤية (٨١) ، حديث رقم ١٨٢ ، ١٦٦/١ ، كتاب صفات المنافقين (٥٠) ، باب يحشر الكافر على وجهه (١١) حديث رقم ٢٨٠٦ ، ٢١٦١/٤ .

(٣) انظر : صحيح البخارى ، كتاب الشهادات (٥٢) ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً (١٥) ، ١٥٦/٣ ، كتاب الأيمان (٨٣) ، باب قول الرجل لعمر الله (١٣) ، ٢٢٥/٧ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٩٨، ٩٩ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ومن تدبر كلام هؤلاء وجدهم مضطرين إلى إثبات الصفات ، وأنهم لايمكنهم أن يفرقوا بين قولهم وقول المثبتة بفرق محقق ، لأنهم أثبتوا كونه تعالى حيا وكونه عالما وكونه قادرا ولايجعلون هذا هو هذا ولاهذا هو هذا ، ولاهذه الأمور هذه الذات ، فقد أثبتوا معانى زائدة على الذات المجردة ، فقولك(١)"أثبتوا قدماء كثيرة" لفظ مجمل يوهم أنهم أثبتوا آلهة غير الله فى الأزل ، وأثبتوا مع الله غيره ، وهذا بهتان عليهم . وإنما أثبتوا صفات قائمة به ... فهل ينكر هذا إلا مخذول مسفسط ، واسم "الله" يتناول الذات المتصفة بالصفات ، ليس هو اسما للذات المجردة"(٢).

الجواب عن الشبهة الثانية : وهى زعمهم أن إثبات الصفات يلزم منه أن يكون الله سبحانه جسما كالأجسام .

وهذه شبهة طالما دندن بها المبتدعة من أهل الاعتزال وغيرهم لتنفير الناس عن وصف الله بما يليق به من صفات . وقد اعتاد هؤلاء أن يبتدعوا ألفاظا ومعانى ويجعلوها أصلا معقولا محكما عندهم ، يجب اعتقاده والبناء عليه ، ثم نظروا فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فحملوا مافيهما على ماأصلوه ، فتأولوا مارأوا تأويله ، وحكموا بالتشابه على ماعجزوا عن تأويله(٣).

ومن تلك الألفاظ لفظ الجسم . وأول من تكلم به نفيا وإثباتا هم طوائف من الشيعة والمعتزلة(٤).

ورموا كل من أثبت صفة لله عز وجل بأنه مجسم وذلك عن طريق اللزوم ، لأنهم يزعمون أن الصفات لاتقوم إلا بجسم ، وذلك جريا على اصطلاحهم فى معنى الجسم وهو كل مايشار إليه ، خلافا للمعهود فى اللغة ،

---

(١) المخاطب بذلك ابن مطهر صاحب كتاب "منهاج الكرامة" الذى رد عليه شيخ الإسلام فى كتاب منهاج السنة .

(٢) المرجع السابق ص٩٧ .

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٥٢٣/١ .

(٤) انظر المرجع السابق ٥٤/١ .

فإن الجسم فى اللغة هو البدن ، ويلزم من قولهم ذلك أن كل ماجاء به الكتاب والسنة وفطر الله عليه عباده وأقره سلف الأمة وأئمتها من صفات الله تجسيماً(١).

ولفظ الجسم لفظ مجمل لايتضح معناه إلا عند التفصيل ، فقد يراد به المركب الذى كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت ، أو مايقبل التفريق والانفصال أو المركب من مادة وصورة ، أو المركب من الأجزاء المفردة التى تسمى الجواهر المفردة ، والله منزه عن ذلك . وكذلك يطلق على ماكان متفرقا فاجتمع ، أو مايقبل التفريق والتجزئة ، أو غير ذلك من التركيب الممتنع عنه .

وقد يراد بالجسم مايشار إليه أو مايرى أو ماتقوم به الصفات ، والله سبحانه يرى فى الآخرة وتقوم به الصفات ويشار إليه عند الدعاء بالأيدى والأوجه والقلوب والأعين ، وهذا معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول ، ولايستطيع من نفاه أن يقيم على نفيه دليلاً ، وأما لفظ الجسم فبدعة فى نفيه وإثباته لله تعالى . فليس فى كتاب الله سبحانه ولافى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولاجاء عن أحد من سلف الأمة وأئمتها اطلاق لفظ الجسم فى صفات الله تعالى لانفياً ولاإثباتاً(٢).

ولذا لما ناظر أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث(٣) الإمام أحمد وألزمه التجسيم ، أجابه الإمام أحمد بأن هذا اللفظ لايدرى مقصود المتكلم به ، وليس له أصل فى الكتاب والسنة والإجماع ، فلايجوز لأحد أن يلزم

---

(١) انظر المرجع السابق ٦٢٥/١-٦٢٦ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٦ ، بيان تلبيس الجهمية ٥٥٠/١ .

(٣) محمد بن عيسى :
هو أبو عبد الله محمد بن عيسى الجهمى ، برغوث ، رأس البدعة ، وأحد من كان يناظر الإمام أحمد وقت المحنة . من تصانيفه : "كتاب الاستطاعة" ، "كتاب المقالات" ، "كتاب الاجتهاد" . مات سنة ٢٤٠هـ وقيل ٢٤١هـ .
انظر : سير أعلام النبلاء ٥٥٤/١٠ .

الناس بالنطق به ولابمدلوله ، وقال له : "إنى أقول هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وبين أنه لايقول بأنه جسم أو ليس بجسم ، لأن ذلك بدعة محدثة ، وليس ذلك من الحجج الشرعية التى يجب إجابة من دعا إلى موجبها ، لأن الناس إنما عليهم أن يجيبوا من دعاهم إلى مادعا إليه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لاإلى قول مجمل مبتدع لايعرف إلا بعد الاستفصال (١).

يقول شيخ الاسلام رحمه الله :

"وإذا قدر أن المعارض أصر على تسمية المعانى الصحيحة التى ينفيها بألفاظه الاصطلاحية المحدثة ، مثل أن يدعى أن ثبوت الصفات ومباينة المخلوقات يستحق أن يسمى فى اللغة تجسيماً وتركيباً ونحو ذلك ، قيل له : هب أنه سمى بهذا الاسم ، فنفيك له إما أن يكون بالشرع ، وإما أن يكون بالعقل ، أما الشرع فليس فيه ذكر هذه الأسماء فى حق الله ، لابنفى ولاإثبات ، ولم ينطق أحد من سلف الأمة وأئمتها فى حق الله تعالى بذلك ، لانفياً ولااثباتاً ، بل قول القائل : إن الله جسم أو ليس بجسم ، أو جوهر أو ليس بجوهر ، أو متحيز أو ليس بمتحيز ، أو فى جهة أو ليس فى جهة ، أو تقوم به الأعراض والحوادث أو لاتقوم به ، ونحو ذلك ، كل هذه الأقوال محدثة بين أهل الكلام المحدث ، لم يتكلم السلف والأئمة فيها ، لابإطلاق النفى ولابإطلاق الإثبات ، بل كانوا ينكرون على أهل الكلام الذين يتكلمون بمثل هذا النوع فى حق الله تعالى نفياً وإثباتاً . وإن أردت أن نفى ذلك معلوم بالعقل ، وهو الذى تدعيه النفاة ، ويدعون أن نفيهم المعلوم بالعقل عارض نصوص الكتاب والسنة . قيل له : فالأمور العقلية المحضة لاعبرة فيها بالألفاظ ، فالمعنى إذا كان معلوماً إثباته بالعقل لم يجز

---

(١) انظر : موافقة صحيح المنقول ١/١٧٧-١٧٨ .
وانظر : منهج السلف فى بيان الألفاظ المجملة كالجسم فى : بيان تلبيس الجهمية ١/٤٦،٤٧،٥٤،١٠٠،٣٩٧،٤٧٨ ، موافقة صحيح المنقول ١/١٨٤،١٨٥،١٨٩ ، لوامع الأنوار ١/١٨٢،١٨٣ الهامش .

نفيه ، لتعبير المعبر عنه بأى عبارة عبر بها ، وكذلك إذا كان معلوماً انتفاؤه بالعقل لم يجز إثباته ، بأى عبارة عبر بها المعبر ، وبين له العقل ثبوت المعنى الذى نفاه ، وسماه بألفاظه الاصطلاحية ..."(١).

ونفى الجسم عن الله مع أن السلف لايقولون بإثباته ليس فيه دليل على مذهب نفاة الصفات ، بل وليس فيه دليل على تنزيه الله سبحانه عن شىء من النقائص ، لأن من نفى الصفات على أن إثباتها يستلزم التجسيم ، لابد أن يثبت شيئاً يلزمه فيه ماألزمه غيره فيما نفاه . وبالتالى المعتزلة الذين يثبتون الأسماء لله وينفون عنه الصفات ، ويقولون ليس بجسم مع أن ذلك ليس معقولاً عندهم ، جاز لمن يثبت الصفات أن يلزمهم بأن الموصوف بها ليس بجسم ، لأنه لافرق بين إثبات الأسماء وإثبات الصفات ، فما يقال فى مسمى الأسماء يقال فى موصوف الصفات(٢).

وأما القول بأن إثبات الصفات يلزم منه إثبات الجسمية ، ويلزم من ذلك أن يكون الله فى جهة وأن يكون متحيزاً .

الكلام فى الجهة والتحيز سبق بيانه قريبا فى الكلام عن الألفاظ المجملة(٣)، وهى التى لم يأت فى الشرع لها نفى أو إثبات . ومثل الجهة والتحيز لفظ الجسم والجوهر والعرض والمركب والمنقسم وغير ذلك من الألفاظ المبتدعة . والبدعة فى نفيها كالبدعة فى إثباتها إن لم تكن أعظم ، لأن المثبت أثبت ماأثبته النصوص ، والنافى عارض بها النصوص ، ورد على من خالف موجبها(٤).

وقد ذم السلف هذه الألفاظ لما بها من الاشتباه ولبس الحق ، كما قال الإمام أحمد رحمه الله : "يتكلمون بالمتشابه من الكلام ، ويلبسون على

---

(١) موافقة صحيح المنقول ١/١٨٣ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٢٠ ، موافقة صحيح المنقول ١/١٠٩-١١٠ .

(٣) انظر ص : ١٥٠

(٤) انظر موافقة صحيح المنقول ١/١٨٨ .

جهال الناس بما يشبهون عليهم"(١). كما أنها عرضة للاحتمالات ، فهى تحوى معانى باطلة لاتليق بالله تعالى كما أنها تحوى معانى حقة ، وهذا بخلاف الألفاظ الشرعية فإن معانيها صحيحة سالمة من الاحتمالات ، ولذا لايجوزالعدول عنها . حتى لايثبت معنى فاسد فى حالة التعلق بالألفاظ المجملة(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا قاعدة عظيمة فى هذه الألفاظ . فيقول :

"والأصل فى هذا الباب أن الألفاظ نوعان :

مذكور فى كتاب الله وسنة رسوله ، وكلام أهل الإجماع ، فهذا يجب اعتبار معناه ، وتعليق الحكم به ، فإن كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح، وإن كان ذما استحق الذم ، وإن أثبت شيئا وجب إثباته ، وإن نفى شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق ، وكلام رسوله حق ، وكلام أهل الإجماع حق ... ومن دخل فى اسم مذموم فى الشرع كان مذموما ، كاسم الكافر والمنافق والملحد ونحو ذلك ، ومن دخل فى اسم محمود فى الشرع كان محمودا ، كاسم المؤمن والتقى والصديق ، ونحو ذلك ، وأما الألفاظ التى ليس لها أصل فى الشرع فتلك لايجوز تعليق المدح والذم والإثبات والنفى على معناها ، إلا أن يبين أنه يوافق الشرع والألفاظ التى تعارض بهاالنصوص هى من هذا الضرب ، كلفظ "الجسم" و"الحيز" و"الجهة" و"الجوهر" و"العرض" فمن كانت معارضته بمثل هذه الألفاظ لم يجز له أن يكفر مخالفه ، إن لم يكن قوله مما يبين الشرع أنه كفر ، لأن الكفر حكم شرعى متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ماكان خطأ فى العقل يكون كفرا فى الشرع ، كما أنه

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ص١٠٠ .
وكلام الإمام أحمد فى كتابه : الرد على الجهمية والزنادقة ص٨٥ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢١ .

ليس كل ماكان صواباً فى العقل تجب فى الشرع معرفته"(١).

وقد كان السلف يطلبون الاستفصال فى معناها ، لأن عدم الاستفصال يوقع فى الجهل والضلال والقيل والقال(٢).

فإن كان المعنى صحيحاً قبل ، لكن ينبغى التعبير عنه بألفاظ النصوص ، إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد(٣).

ونضرب مثالاً لاستفصال السلف فى الألفاظ المجملة بلفظ "الجهة" ليتضح منه منهجهم فى الاستفصال .

فإنهم يقولون "إن لفظ "الجهة" قد يراد به أمر موجود وقد يراد به أمر معدوم ، فإذا أريد الأول أمكن أن يقال إن كل جسم فى جهة ، وإذا أريد الثانى امتنع أن يكون كل جسم فى جهة .

فمن قال : البارى فى جهة وأراد بها أمراً موجوداً فكل ماسواه مخلوق له فى جهة بهذا التفسير ، فهذا مخطىء ، وإن أراد بالجهة أمراً عدمياً ـ وهو فوق العالم ـ وقال إن الله فوق العالم فقد أصاب ، وليس فوق العالم موجود غيره ، فلايكون سبحانه فى شىء من الموجودات(٤).

وأما الزعم بأن الأجسام متماثلة ، وتماثلها يؤدى إلى استوائها فى استحقاق الصفات .

فهو زعم لاأساس له من الصحة ، ولاحجة فيه ، وليس أحد من العقلاء يقول بأن كل جسم يماثل الآخر ، وليس فى اللغة التى جاء بها القرآن اطلاق "لفظ المثل" على كل جسم ، ولايقال : إن السماء مثل الأرض . والشمس والقمر والكواكب مثل الجبال . والجبال مثل الأنهار(٥).

---

(١) موافقة صحيح المنقول ١/١٨٤-١٨٥ .
(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٨ .
(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٨ .
(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١١٧ .
(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٥٨٨ .

بل قد تتساوى كثير من الأشياء فى الأسماء وتتباين فى مسمياتها وصفاتها .

وأما زعمهم أن إثبات الصفات تشبيه لله بخلقه :

فهو زعم أكثر من ذكره أهل الاعتزال وقذفوا كل من أثبت صفة لله بأنه مشبه لله بخلقه ، كما رموه من قبل بالتجسيم ، وذلك لضيق عقولهم وعجزها عن إدراك معانى صفات الله تعالى ، وإدراك الفرق الشاسع بينها وبين صفات المخلوقين ، وتقاصرت بهم عقولهم التى اغتروا بها فلم تعلو بهم إلى الفهم الصحيح الذى وصلت إليه عقول السلف الصالح من قبل ، لما استنارت بنور الوحى ، واستضاءت بضوئه . ولم تعرف فلسفة اليونان ، وحثالة أذهانهم إلى تلك العقول طريقاً ، وأما التى لبس عليها الشيطان ، ومزج ماعندها بشبه أعداء الإسلام ، أنى لها أن تعرف الحق ويستبين لها الطريق؟.

والمراد بالتشبيه إثبات مشابه لله فيما يختص به من حقوق أو صفات ، وهو صنو التمثيل الذى يراد به إثبات مماثل لله فيما يختص به أيضا من حقوق وصفات ، وكلاهما كفر وشرك بالله لما تضمنا من نقص فى حق الله تعالى (١).

والتمثيل قد جاء نفيه عن الله تعالى فى أكثر من موضع كقوله تعالى : {ليس كمثله شىء}(٢)، وقوله : {هل تعلم له سمياً}(٣)، وقوله : {ولم يكن له كفواً أحد}(٤)، وقوله : {فلاتجعلوا لله أنداداً}(٥)، وقوله : {فلاتضربوا لله الأمثال}(٦)(٧).

---

(١) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص١٩ .
(٢) سورة الشورى : آية ١١
(٣) سورة مريم : آية ٦٥
(٤) سورة الإخلاص : آية ٤
(٥) سورة البقرة : آية ٢٢
(٦) سورة النحل : آية ٧٤
(٧) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٨٧/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١١٠ .

وأما لفظ التشبيه فلم يرد نفيه أو إثباته فى الكتاب أو السنة لأنه من الألفاظ المجملة التى تحتاج إلى ايضاح وتفصيل ، فقد يراد به ماجاء نفيه فى القرآن ودل عليه العقل من أن خصائص الرب تعالى لايوصف بها شىء من المخلوقات ولايماثله شىء من المخلوقات فى شىء من صفاته .

وقد يراد به عدم إثبات شىء من الصفات اللائقة بالله تعالى لأن العبد موصوف بها(١).

وهذا الأخير هو الذى يعنيه أهل الاعتزال عند إطلاقهم لفظ التشبيه .

ولكن قد ورد ذم التشبيه والمشبهة فى كلام السلف رضوان الله عليهم قال نعيم بن حماد(٢):

"من شبه الله بشىء من خلقه فقد كفر ومن أنكر ماوصف الله به نفسه فقد كفر ، فليس ماوصف الله به نفسه ورسوله تشبيه" .

وقال إسحاق بن راهويه(٣):

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٩٨-٩٩ .

(٢) نعيم بن حماد :
هو نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعى ، أبو عبد الله المروزى ، نزيل مصر ، حافظ ، فقيه ، عارف بالفرائض . صدوق يخطىء كثيراً . روى عن أبى حمزة السكرى ، وإبراهيم بن سعيد . وعنه البخارى مقروناً ، والدارمى ، وحمزة الكاتب . مات سنة ٢٢٨هـ على الصحيح .
انظر : الجرح والتعديل ٤٦٣/٨-٤٦٤ ، الكاشف ٢٠٧/٣ ، تقريب التهذيب ٣٠٥/٢ .

(٣) إسحاق بن راهويه :
هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلى ، أبو محمد بن راهويه ، المروزى ، الإمام عالم خرسان ، ثقة حافظ مجتهد ، قرين الإمام أحمد ، ذكر أبو داود أنه تغير قبل موته بيسير . روى عن جرير ، والدراوردى ، ومعتمر ، وعنه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود وغيرهم . له مسند . مات سنة ٢٣٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢٠٩/٢-٢١٠ ، الكاشف ١٠٦/١ ، تقريب التهذيب ٥٤/١ .

"من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم لأنه وصف بصفاته ، إنما هو استسلام لأمر الله ولما سن الرسول"(١).

وقال أبو حنيفة رحمه الله : "لايشبه شيئا من خلقه ولايشبهه شيء من خلقه... وصفاته كلها خلاف صفات المخلوقين ، يعلم لاكعلمنا ، ويقدر لاكقدرتنا ، ويرى لاكرؤيتنا"(٢).

وهم لايريدون بنفى التشبيه نفى الصفات ، ولايصفون به من أثبت الصفات ، وإنما يريدون بذلك أن الله لايشبه المخلوق فى أسمائه وصفاته وأفعاله كما قال أبو حنيفة رحمه الله(٣). والمشبهة الذين ذموهم هم الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، وذكروا أن المشبه هو الذى يقول : بصر كبصرى ، ويد كيدى ، وقدم كقدمى(٤). وهذا أحد نوعى التشبيه ، لأن التشبيه فى الحقيقة نوعان :

أحدهما : تشبيه الخالق بالمخلوق، وهو الذى يتعب أهل الكلام فى رده وبيان بطلانه ، وأهله فى الناس أقل من أهل النوع الثانى .

ثانيهما : تشبيه المخلوق بالخالق ، كعباد المشايخ ، وعزير ، والشمس والقمر ، والأصنام ، والملائكة ، والنار ، والماء ، والعجل ، والطيور ، والجن ، وغير ذلك . وهؤلاء هم الذين أرسل الله لهم الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له(٥).

والتشبيه إنما قام فى مصادمة نفى الصفات وتعطيلها . وهما مرضان من أمراض القلوب ، فإن أمراض القلوب نوعان :

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٢/٢ .
وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١١٧-١١٨ .

(٢) شرح الفقه الأكبر لأبى منصور الحنفى ص١٠٣-١١٢ ، شرح ملا على القارى على الفقه الأكبر ص١٥-٣٢ .

(٣) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص١١٨-١١٩ .

(٤) انظر بيان تلبيس الجهمية ٥١/١، ١٠٩ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٧ .

مرض شهوة كالذى فى قوله تعالى : {فلاتخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض}(١).

ومرض شبهة كالذى فى قوله سبحانه : {وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم}(٢). وهذا أردأ من مرض الشهوة ، والنفى والتشبيه من شبه الصفات ، وشبه النفى أردأ من شبه التشبيه ، لأن النفى رد وتكذيب لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما التشبيه غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكلاهما كفر بالله تعالى(٣).

وأهل السنة متفقون على إثبات صفات الله من غير تشبيه أو تمثيل لها بصفات خلقه ، كما أنهم متفقون على تنزيه الله عن صفات النقص من غير تعطيل ، لأن دين الإسلام وسط بين التشبيه والتعطيل ، وذلك لقوله تعالى : {ليس كمثله شىء} رداً على من مثل ، {وهو السميع البصير} رداً على من عطل(٤). وقد قال الإمام الطحاوى رحمه الله : "ومن لم يتوق النفى والتشبيه ، زل ولم يصب التنزيه"(٥).

وقال ابن أبى العز رحمه الله :

"وماأحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولاتعطيل باللبن الخالص السائغ للشاربين ، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه . والمعطل يعبد عدماً والمشبه يعبد صنماً ... وليس ماوصف الله به نفسه ولاماوصفه به رسوله تشبيهاً ، بل صفات الخالق كما يليق به ، وصفات المخلوق كما يليق به"(٦).

---

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٢

(٢) سورة التوبة : آية ١٢٥

(٣) انظر المرجع السابق ص٢١٦-٢١٧ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٠٨-١٠٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٥٢٠

(٥) متن العقيدة الطحاوية ص١٠ .

(٦) شرح الطحاوية ص١٨٨ .

فالله منزه عن مشاركة العبد فى خصائصه ، وإذا اشتركا فى الأسماء والصفات فهذا المشترك مطلق كلى فى الذهن لاوجود له فى الخارج ، والموجود فى الأعيان مختص لاشتراك فيه ، فإذا سمى الله بهذه الأسماء كان مسماها معيناً مختصاً به ، وإذا سمى العبد بها كان مسماها مختصاً به (١).

فالاتفاق فى الأسماء لايقتضى التساوى فى المسميات كما سبق ذكره فى قواعد السلف (٢).

ومن هنا يتبين لك ضلال كل من المشبهة والمعطلة ، فإن المشبهة أحسنوا فى إثبات صفات الله ولكنهم أساءوا بزيادة التشبيه ، فضلوا ، وإن المعطلة أحسنوا فى تنزيه الله عن التشبيه بخلقه ، ولكن أساءوا فى نفى المعانى الثابتة لله فضلوا . والحق مادل عليه كتاب الله الذى تعقله العقول السليمة الصحيحة ، وهو الحق المعتدل الذى لاانحراف ولااعوجاج فيه (٣).

وقد وقع المعتزلة فى أربعة أنواع من المحاذير :

(١) كونهم مثلوا مافهموه من النصوص بصفات المخلوقين ، وظنوا أن مدلول النصوص هو التمثيل .

(٢) جنوا على النصوص بتعطيل معانيها الإلهية اللائقة بالله ، وظنوا ظناً سيئاً بالله ورسوله حيث اعتقدوا أن الذى يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل .

(٣) أنهم نفوا تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم ، فكانوا بذلك معطلين لما يستحقه الرب من صفات .

(٤) وصفوا الرب سبحانه بنقيض تلك الصفات ، من صفات الأموات والجمادات والمعدومات ، فعطلوا بذلك صفات كماله ، وجمعوا بين التمثيل والتعطيل ، فأصبحوا ملحدين فى أسمائه وآياته (٤).

---

(١) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٨٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٠٢،١٠٣

(٢) انظر ص: ١٤١

(٣) انظر المرجع السابق ص١٠٣ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٤٨-٤٩ .

وأما زعمهم بأن إثبات الصفات تشبيه وذلك مناف للتوحيد ، لأن تمام التوحيد يكون بنفى مشابهة الله للخلق .

وهذا من تسمية الأمور بغير مسمياتها ، ومن تلبيس الباطل بالحق . فانهم فسروا التوحيد تفسيراً لم يدل عليه كتاب الله ولاسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولاقاله أحد من سلف الأمة وأئمتها(١). بل هو أمر مبتدع باطل فى الشرع والعقل واللغة(٢).

فإن التوحيد الذى جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب يتناول التوحيد فى العلم والقول وهو وصف الله مايستحق من صفات الكمال ونعوت الجلال ، ونفى النقص عنه ، والتوحيد فى الإرادة والعمل ، وهو أن يعبد وحده ولايشرك به شيئاً فىعبادته ، كما دل على ذلك سورتا الإخلاص والكافرون ، فالأولى فى التوحيد العلمى ، والثانية فى التوحيد العملى(٣).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :

"وأما تفسير التوحيد بما يستلزم نفى الصفات أو نفى علوه على العرش ، بل يستلزم نفى ماهو أعم من ذلك فهو شىء ابتدعته الجهمية لم ينطق به كتاب ولاسنة ولاإمام ، وكذلك جعل التشبيه ضد التوحيد ، وتفسير التشبيه بما فيه إثبات الصفات ، هو أيضاً باطل ، فإن التوحيد نقيضه الإشراك بالله تعالى ، والتمثيل له بخلقه وإن كان ينافى التوحيد فليس المراد بذلك مايسمونه هم تشبيهاً"(٤).

ومن هنا يتبين أن قولهم "إن تمام التوحيد يكون بنفى مشابهة الله للخلق" الذى يقصدون به نفى الصفات وتعطيلها ، إنما هو نقض للتوحيد ، ونفى له . بل من تمام التوحيد أن يوصف الله بما وصف به نفسه من صفات

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١٣٢/١ .
(٢) انظر : المرجع السابق ٤٧٨/١ .
(٣) انظر : موافقة صحيح المنقول ٢١١/١ ، بيان تلبيس الجهمية ٤٧٩/١ .
(٤) بيان تلبيس الجهمية ١٣٣/١ .

الكمال وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم دون تحريف أو تعطيل ولاتكييف ولاتمثيل(١).

وأما زعمهم أن أهل السنةمشبهة لإثباتهم الصفات وأنهم لايعرفون التوحيد ولايعرفون ربهم .

يجاب على ذلك بأن المعتزلة إنما أطلقوا ذلك على أهل السنة نسبة لاعتقادهم الفاسد فى ربهم سبحانه الذى جردوه من صفاته وعطلوه منها(٢). وذلك لضلال عقولهم التى حجبها الباطل عن رؤية الحق ، فاختلت عندها الموازين ، وغشيها ظلام دامس ، فرأت الحق باطلاً والباطل حقاً.

ورميهم أهل السنة بأنهم مشبهة ، من أبرز الأدلة وأقوى الحجج على نفيهم لصفات الله تعالى ، لأنه مامن أحد ينفى شيئاً من صفات الله إلا ويسمى المثبت لها مشبهاً(٣).

قال أبو زرعة الرازى(٤)رحمه الله :

"المعطلة النافية الذين ينكرون صفات الله عز وجل التى وصف بها نفسه فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويكذبون بالأخبار الصحاح التى جاءت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصفات ويتأولونها بآرائهم المنكوسة على موافقة مااعتقدوا من الضلالة وينسبون رواتها إلى التشبيه ، فمن نسب الواصفين ربهم تبارك وتعالى بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير تمثيل ولاتشبيه

---

(١) انظر موافقة صحيح المنقول ٢١١/١ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار ٢١٦/١ .

(٣) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٠٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١١٨ .

(٤) أبو زرعة الرازى :

هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، أبو زرعة الرازى ، أحد الأعلام . إمام حافظ ، ثقة مشهور . قال ابن راهويه : "كل حديث لايعرفه أبو زرعة فليس له أصل" . مات سنة ٢٦٤هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣٢٤/٥-٣٢٦ ، تاريخ بغداد ٣٢٦/١٠-٣٣٧ ، الكاشف ٢٣٠/٢ ، تذكرة الحفاظ ٥٥٧/٢-٥٥٩ ، تقريب التهذيب ٥٣٦/١ .

إلى التشبيه فهو معطل ناف ويستدل عليهم بنسبتهم إياهم إلى التشبيه أنهم معطلة نافية ، كذلك كان أهل العلم يقولون منهم : عبد الله بن المبارك ، ووكيع بن الجراح "(١)(٢).

وقد نقل الإمام اللالكائى رحمه الله عن إسحق بن راهويه وأبى حاتم(٣) نحو كلام أبى زرعة(٤).

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابونى رحمه الله :

"وعلامة أهل البدع شدة معاداتهم لحملة أخبار النبى صلى الله عليه وسلم ، واحتقارهم لهم ، وتسميتهم إياهم حشوية(٥)، و"جهلة" و"ظاهرية" ومشبهة اعتقاداً منهم فى أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها بمعزل عن العلم ، وأن العلم مايلقيه الشيطان إليهم من نتائج عقولهم الفاسدة ،

---

(١) وكيع بن الجراح :
هو وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسى ، أبو سفيان الكوفى ، ثقة حافظ عابد . قال عنه الذهبى : وكان من بحور العلم وأئمة الحفظ . مات سنة ١٩٧هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٣٧/٩ ، تاريخ بغداد ٤٦٦/١٣-٤٨١ ، تذكرة الحفاظ ٣٠٦/١ ، الكاشف ٢٣٧/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٤٠/٩-١٦٨ ، تهذيب التهذيب ١٢٣/١١ ، تقريب التهذيب ٣٣١/٢ .

(٢) الحجة فى بيان المحجة ١٨٧/١ ، بيان تلبيس الجهمية ١٠٥/١-١٠٦ .

(٣) أبو حاتم :
هو محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلى ، أبو حاتم الرازى ، أحد الحفاظ ، قال موسى بن إسحاق الأنصارى : مارأيت أحفظ منه . مات سنة ٢٧٧هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٢٠٤/٧ ، تاريخ بغداد ٧٣/٢-٧٧ ، تذكرة الحفاظ ٥٦٧/٢-٥٦٩ ، الكاشف ١٨/٣ ، تهذيب التهذيب ٣١/٩-٣٤ ، تقريب التهذيب ١٤٣/٢ .

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٢/٢-٥٣٣ .

(٥) الحشوية :
هو لفظ لايدل على شخص معين ولاعلى مقالة معينة ، ولذا أطلق عدة إطلاقات من ذلك : إطلاقه على العامة الذين هم حشو الناس . وعلى المجسمة الذين يصفون الله بالجسمية ، وعلى الذين لايرون البحث فى آيات الصفات . وفرق المبتدعة تطلقه على أهل السنة الذين يثبتون صفات الله تعالى .
انظر : منهاج السنة ٥٢٠/٢، ٥٢١ مع الهامش .

ووساوس صدورهم المظلمة ، وهواجس قلوبهم الخالية عن الخير العاطلة ، وحججهم بل شبههم الداحضة الباطلة، بل {أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم}(١)، {ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل مايشاء}"(٢)(٣).

وأهل السنة متفقون جميعاً على تنزيه الله عن مماثلة الخلق ومشابهتهم ، وأما المشبهة فهم الذين يمثلون صفات الله بصفات خلقه(٤).

وأما قولهم بأن التشبيه وقع فى الأمة نتيجة للتعلق بالآيات المتشابهة التى توهم التشبيه ـ يعنون بذلك آيات الصفات ـ والتى يجب أن تأول لتوافق دليل العقل والآيات المحكمة .

فهو قول نتج من قصور فهم المعتزلة للآيات المتشابهة فى كتاب الله ، والآيات المحكمة . أضف إلى ذلك تحريفهم النصوص وتعطيلهم لها بحجة أن ذلك تأويل سائغ .

ولكى ينكشف هذا الزعم ويزول مابه من لبس لابد من بيان المحكم والمتشابه فى كتاب الله تعالى . وهل آيات الصفات تعد من المتشابه؟ ثم نعرج بعد ذلك إلى بيان التأويل ومايجوز منه ومالايجوز . وهل نصوص الصفات تخضع للتأويل كما يزعم أهل الاعتزال؟

أما المحكم والمتشابه فى كتاب الله فعلى نوعين :

النوع الأول : هو الإحكام العام والتشابه العام :

فقد وصف الله القرآن كله بأنه محكم ، كما وصفه بأنه متشابه . وذلك فى قوله : {الر . كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير}(٥) .

---

(١) سورة محمد : آية ٢٣

(٢) سورة الحج : آية ١٨

(٣) بيان تلبيس الجهمية ١٠٦/١ . عقيدة السلف أصحاب الحديث . اجتماع الجيوش الإسلامية ٣٠٥/٢ - ٣٠٦

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٠٨ .

(٥) سورة هود : آية ١

وقال تعالى : {الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثانى}(١).

فإحكامه هنا : إتقانه بتمييز الصدق من الكذب فى أخباره ، والرشد من الغى فى أوامره .

والمراد بالتشابه هنا : تماثل الكلام وتناسبه ، وهو ضد الاختلاف المذكور فى قوله تعالى : {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً}(٢).

فلاتجد فيه أمراً ونقيضه ، ولانهياً ونقيضه ، وإنما يشبه بعضه بعضاً ويصدق بعضه بعضاً .

وهذا التشابه العام لاينافى الإحكام العام ، بل هو مصدق له(٣).

النوع الثانى : الإحكام الخاص والتشابه الخاص .

فإن الله وصف بعض القرآن بأنه محكم ، كما وصف بعضه بأنه متشابه ، فقال تعالى :

{هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر إلا أولوا الألباب}(٤).

فالمحكم هنا بخلاف المتشابه ، وهو الذى لاالتباس فيه ولااحتمال لوضوحه ، وأما المتشابه فهو المشتبه بغيره المحتمل الملتبس .

ويتعين معنى المتشابه هنا على موضع الاختلاف فى الوقوف على الآية .

فجمهور سلف الأمة وخلفها على أن الوقف على قوله تعالى : {ومايعلم تأويله إلا الله}.

فعلى هذا فإن الله قد استأثر بعلم المتشابه ولايعلمه أحد سواه .

---

(١) سورة الزمر : آية ٢٣

(٢) سورة النساء : آية ٨٢

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٥٩-٦١ ، الجامع لأحكام القرآن ٤/١٠ .

(٤) سورة آل عمران : آية ٧

وجاء عن ابن عباس ومجاهد أن الراسخين فى العلم معطوف على اسم الله وأنهم داخلون فى علم المتشابه .

وعند التحقيق نجد أنه لامنافاة بين القولين .

فمراد الجمهور بالمتشابه الذى لايعلمه إلا الله ، هو الذى طوى الله غيبه عن جميع الخلق مثل وقت قيام الساعة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، والدجال وعيسى ، ونحو الحروف المقطعة فى أوائل السور . فهذا لايعلمه أحد من الخلق .

ومراد ابن عباس ومجاهد بالمتشابه المتشابه النسبى الإضافى الذى يشتبه على بعض الناس دون بعض ، ومثل هذا يعرف منه أهل العلم مايزيل عنهم هذا الاشتباه(١).

وعلى هذا فمن أطلق على آيات الصفات وأحاديثها بأنها من المتشابه الذى لايعلمه إلا الله ، يستفصل فى مراده . فإن أراد حقائقها وكيفياتها فذلك قول صحيح لأنه لاأحد يعلم كنه صفات الله وكيفياتها إلا هو .

وإن أراد بذلك معانيها فإن الراسخين فى العلم يعرفون معانيها ويفرقون بين صفة وأخرى ، فالسمع ليس هو البصر ، والعلم ليس هو القدرة ، فإن السلف لايفوضون معانى صفات الله ، وإنما يفوضون كيفياتها .

وهكذا قال مالك رحمه الله لما سئل عن قوله تعالى : {الرحمن على العرش استوى}(٢). قال : "الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" .

فبين أن الاستواء معلوم ، أى معناه فى اللغة ، وكيفية ذلك مجهولة فلايعلمها إلا الله سبحانه(٣).

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٩/٤-١٨ ، مجموع الفتاوى ٥٤/٣،٥٥،٦٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٣-٢١٤ .

(٢) سورة طه : آية ٥

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٥٨/٣-٥٩،٦٥-٦٦ ، وانظر ١٨١/٢ الهامش .

وأما التأويل فقد صار بتعدد الاصطلاحات يستعمل فى ثلاثة معان :

أحدها : هو اصطلاح كثير من المتأخرين من المتكلمين فى الفقه وأصوله . وهو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به ، وهذا الذى عناه من تكلم فى تأويل نصوص الصفات .

الثانى : التأويل بمعنى التفسير .وهو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير ونحوه ، ومرادهم بذلك بيان الكلام ، سواء وافق ظاهره أو خالفه ، ويحمد منه ماكان حقاً ويرد ماكان باطلاً .

الثالث : التأويل فى كتاب الله وسنة رسوله وهو الحقيقة التى يؤول اليها الكلام . فتأويل الخبر هو عين المخبر به . وتأويل الأمر هو عين المأمور به . قال تعالى : {هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق}(١). وقوله تعالى : {هذا تأويل رؤياى من قبل}(٢)إلى غير ذلك من الآيات .

وفى السنة ماجاء عن عائشة رضى الله عنها : "كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . اللهم اغفر لى" يتأول القرآن(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ذكره لأنواع التأويل السابقة :

---

(١) سورة الأعراف : آية ٥٣

(٢) سورة يوسف : آية ١٠٠

(٣) انظر : المرجع السابق ٣/٥٥-٥٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٣ .
والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الأذان (١٠) ، باب التسبيح والدعاء فى السجود (١٣٩) ، ١/١٩٩ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة النصر (١١٠) ، باب (٢) ، ٦/٩٣ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الصلاة (٤) ، باب مايقال فى الركوع والسجود (٤٢) برقم ٤٨٤ ، ١/٥٠ .

"وأما التأويل المذموم والباطل ، فهو تأويل أهل التحريف والبدع الذين يتأولونه على غير تأويله ، ويدعون صرف اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب ذلك ، ويدعون أن فى ظاهره من المحذور ماهو نظير المحذور اللازم فيما أثبتوه بالعقل ، ويصرفونه إلى معانى هى نظير المعانى التى نفوها عنه ، فيكون مانفوه من جنس ماأثبتوه ، فإن كان الثابت حقاً ممكناً كان المنفى مثله ، وإن كان المنفى باطِلاً ممتنعاً كان الثابت مثله"(١).

فهذا فى الحقيقة ليس تأويلا وإنما هو تحريف للنصوص عن معانيها ، وصرفها عن مدلولاتها ، وإن سموا ذلك تأويلاً تزييناً للباطل وزخرفة له ، وقد ذم الله المزخرفين للباطل فى قوله : {وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الإنس والجَن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً}(٢).

وقد صيروا لفظ التأويل مستعملاً فى غير معناه الأصلى(٣).

والذى دفعهم إلى ذلك ظنهم الفاسد إن ظاهر نصوص الصفات يفيد التشبيه وهو كفر وضلال ، فيجب صرفها عن هذا الظاهر .

وهذا نتج لقصور فهمهم وقلة علمهم كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

فمعاذ الله أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم يفيد الضلال والكفر ، بل كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الحق ولايدل إلا على حق ، ومحال أن يدل على باطل أو ضلال ، وليس المعانى الفاسدة ظاهره ولامقتضاه(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٧/٣ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١١٢
(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٣ .
(٤) انظر : المرجع السابق ص٢١٥ .

فالرسول صلى الله عليه وسلم مع كمال بيانه وفصاحة لسانه وحسن تعبيره عن المعانى ، وكمال معرفته وعلمه ، وكمال نصحه وإرادته لهداية الخلق ، يستحيل عليه أن يخاطبهم بشىء وهو لايريد منهم مايدل عليه خطابه ، بل يريد منهم أمراً بعيداً يدل عليه كدلالة الألغاز والأحاجى ، ويوقع الأمة بذلك فى أودية التأويلات وشعاب الاحتمالات . سبحانك هذا بهتان عظيم .

فيستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يريد من كلامه مايحمله عليه المحرفون للكلم عن مواضعه ، المتأولون له تأويلاً باطلاً . وأن يكون كلامه من جنس الألغاز والأحاجى (١).

وقد فتحوا بذلك باب شر عظيم على أمة الإسلام ، دخلت من خلاله أنواع من الضلالات والبدع ، وذلك لما سوغوا صرف القرآن عن دلالته المفهومة بغير دليل شرعى . ولم يحددوا الضابط فيما يجوز تأويله مما لايجوز؟

فإن زعموا أن الضابط العقل ، ومادل على استحالته أولناه. ولكن ماهو العقل الذى يرجع إليه عند تأويل النصوص عن ظواهرها؟ هل هو عقل القرمطى (٢)الباطنى الذى يزعم به بطلان ظواهر الشرع ، أم هو عقل الفيلسوف الذى يزعم به بطلان حشر الأجساد ، أم هى عقولكم ياأهل الاعتزال التى تزعمون بها نفى صفات الله ورؤيته؟

---

(١) انظر : طريق الهجرتين ص٢٣٥ .

(٢) القرمطى :

نسبة إلى القرامطة . وهى حركة باطنية هدامة ، اعتمدت التنظيم السرى العسكرى. ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وحقيقتها الالحاد والشيوعية والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية . سميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذى نشرها فى سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ .

الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة ص٣٩٥ .

فتسليط العقول على نصوص الوحى بالتأويلات التى لاضابط لها ، ولادليل عليها يلزم منه محذوران عظيمان :

الأول : عدم الإقرار بشىء من معانى الكتاب والسنة واستنفاذ الجهد فى بحوث طويلة يقررها العقل ، والعقول مختلفة متباينة ، وكل يدعى أن الحق ماذهب إليه عقله ، فيؤول الأمر إلى الحيرة .

الثانى : يستحيل على القلوب أن تجزم بشىء تعتقده مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن ظاهر ذلك غير مراد . فتعزل نصوص الوحى عن الدلالة والإرشاد ، وتصبح تابعة بعد أن كانت متبوعة وتهوى من مقام الاعتماد لتكون فى موضع الاعتقاد كما يفعل بها أهل التأويل الذين قدموا العقل على التنزيل،وهل ذلك إلا فتح لباب الزندقة (١)(٢) .

أما زعمهم بأن المراد بالآيات التى ذكرت فيها الصفات ، ذات الله تعالى.

يلزمهم من هذا الزعم أمران :

الأول : وجود ذات بغير صفات .

وهذا أمر يستنكره كل عاقل ، لأنه لاتوجد ذات مجردة عن الصفات، إلا وجوداً ذهنياً لاحقيقة له فى الخارج، فالذات المستلزمة للصفة لاتوجد إلا وهى متصفة بالصفة (٣) .

---

(١) الزندقة :
الزندقة تطلق ويراد بها عدة معان ، فقد كانت تطلق على أتباع " مانى " ثم أطلقت على الملاحدة الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا النبوات ، ثم على من أسر الكفر وأظهر الإسلام ، فتكون مرادفة للنفاق ، ثم اتسع هذا اللفظ فشمل أهل المجون والخلاعة وكل ماكان فيه خروج عن الدين بالقول والعمل .
وكل اتجاهات الزنادقة تلتقى فى هدف واحد وهو الوقوف فى وجه الإسلام .
النفاق والزندقة وأثرهما فى مواجهة الدعوة الإسلامية : ص : ٣٥ .
وانظر : لسان العرب : ١٤٧/١ ، مجموع الفتاوى : ٦٣/٥ ، فتح البارى : ٢٧٠/١٢-٢٧١ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ص ٥٠٩/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٩٨ .

الثانى : إن الله هو الذات المجردة عن الصفات .

وهـذا قـول باطل ، والحق خلافـه ، لأن الله تعـالى ذكـره هو الذات الموصـوفة بالصفـات اللازمة ، ولايتنـاول اسم الله ذاتا مجردة عـن الصفـات أصلا ، لأنه لايمكـن وجود ذلك أبدا ، ولذا قال الإمـام أحمد رحمه الله فى مناظرته للجهمية :

"لانقـول الله وعلمه ، واللـه وقدرته ، والله ونوره ، ولكـن نقول : الله بعلمه وقدرته ونوره : هو إله واحد"(١).

وعند التحقيق تجد أن هؤلاء مضطرين لإثبات صفات لله تعالى ، لأنهم أثبتـوا كونه حيا ، وكونه عـالما ، وكونه قادرا ، ولايجعلـون هـذا هو هذا ، ولاهذا هو هذا ، ولاهذه الأمور هى الذات ، فأثبتوا بذلك معانى زائدة على الذات المجردة(٢).

---

(١) اقتضـاء الصـراط المستقيم بتصـرف ٢/٧٩١-٧٩٢ ، وانظـر : المنتقـى مـن منهـاج الاعتدال ص٩٩ .

وقول الإمام أحمد فى كتابه الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٣-١٣٤ .

(٢) منهاج الاعتدال بتصرف ص٩٧ .

(٢) **رؤية الله تعالى :**

لقد أجمعت المعتزلة على القول بنفى رؤية الله تعالى بالأبصار يوم القيامة ، وقد نص المعتزلةأنفسهم على هذا الإجماع ، كما أشارت كثير من كتب الفرق إليه(١).

وزعموا أن القول بإثباتها قول حادث ومبتدع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته(٢).

ولقد خيم طاغوت التجسيم على أذهان المعتزلة فرأوا فى إثبات الرؤية حصوله فنفوها كما نفوا إثبات الصفات بمثل ذلك .

يقول عبد الجبار :

"لاأحد يدعى أنه يرى الله سبحانه إلا من اعتقده جسماً مصوراً بصورةمخصوصة ، أو يعتقد فيه أنه يحل فى الأجسام"(٣).

فكل مايقع عليه البصر إنما هو محدود ضعيف ، محوى ، محاط به ، له كل وبعض ، وفوق وتحت ، ويمين وشمال ، وأمام وخلف ، ولايمكن أن يوصف الله بذلك لأن ذلك من صفات الأجسام ، والله ليس بجسم(٤). فمن أثبتها فقد انغمس فى وحل التشبيه وتغطى بدثاره(٥). وبالتالى يتبع إثباتها لوازم باطلة - على رأيهم - يقول القاضى عبد الجبار :

"إن إثبات الرؤية يؤدى إلى حدوثه ، وإلى حدوث معنى فيه ، وإلى تشبيهه بخلقه، وإلى تجويره فى حكمه ، وإلى تكذيبه فى خبره ، لأن الشىء إنما يرى إذا كان مقابلاً ، أو حالاً فى المقابل ، وهذه من صفات الأجسام ، فيجب أن يكون القديم تعالى جسماً ، وإذا كان جسماً يجب أن يكون محدثاً

---

(١) انظر : المغنى ١٣٩/٤ ، باب ذكر المعتزلة ص٦ ، مقالات الإسلاميين ٢٣٨/١ ، الفرق بين الفرق ص١١٤-١١٥ ، الملل والنحل ٤٥/١ .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص١٥٨ .

(٣) المغنى ٩٩/٤ .

(٤) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص٧٠ ، قصيدة الصاحب ص٥٦ .

(٥) انظر : المحيط بالتكليف ص٢٠٨ ، فضل الاعتزال ص١٩٦-١٩٧ .

لأن الأجسام لاتخلو من المعانى المحدثة فيؤدى إلى حدوثه ، وكذلك إذا كان جسماً تجوز عليه الحاجة ، وتجوزعليه الزيادة والنقصان ، وإذا جازت عليه الحاجة جاز أن يجور فى حكمه ، ويكذب فى خبره ، تعالى عن ذلك ، فإذا كان إثبات الرؤية لله تعالى يؤدى إلى كل هذه المحالات ، فيجب أن ينفى عنه على مانقوله"(١).

وتطاول بعضهم فكفر من قال برؤية الله ، لأنه مشبه لله بخلقه والمشبه كافر(٢).

وليس هذامنتهى قولهم فى نفى الرؤية ، بل زعموا أنه يستحيل أن يرى نفسه ، لأنه يستحيل فى ذاته أن يرى ، فذاته لاترى(٣). وهل يرى غيره؟ فهذا موضع اختلاف بينهم ، أجازه قوم ومنعه آخرون(٤).

كما اختلفوا فى رؤيته بالقلوب ، فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة : نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا ، وأنكر بعضهم ذلك(٥).

وقد صرحوا بأن إثبات الرؤية لايمكن الاستدلال عليه بالسمع ، أى بالقرآن والسنة ، لأن الاستدلال بذلك ينبنى على أنه تعالى عدل حكيم لايظهر المعجز على الكذابين ، ومن لايقول بذلك فلايمكنه الاستدلال بالسمع على شىء أصلاً(٦). بل "لاسمع ورد مصرحاً بأنه سبحانه يرى بالأبصار"(٧)، "ولافى كتاب الله جل وعز ذكر الرؤية فكيف يصح أن يدعى أنه تعالى سمى نفسه بأنه يرى ، أو ورد السمع به"(٨).

---

(١) شرح الأصول ص٢٧٦ .
(٢) انظر : الانتصار ص٥٥ .
(٣) انظر : المغنى ٤/٩٤-٩٥ ، قصيدة الصاحب ص٥٦ .
(٤) انظر : الفرق بين الفرق ص١١٤-١١٥ .
(٥) انظر : مقالات الإسلاميين ١/٢٣٨ .
(٦) انظر : شرح الأصول ص٢٦٢ .
(٧) المغنى ٤/١٣٧ .
(٨) المرجع السابق ٤/١٣٨ .

ولـذا كان عمدة أدلتهم فى نفى الرؤية العقل ، وإن كـانوا قد اتبعوا ذلك بأدلة نقلية .

ولهـم طـريقان عقليان فى ذلـك . بينهمـا القاضى عبـد الجبـار فقـال : "أحدهما دليل المقابلة ، والثانى دليل الموانع .

١ ـ فتحـرير الأول : "إن مـن شأن أحدنا أن لايرى إلا إذا كـانت له حاسة صحيحة ، ولايكفى ذلك دون أن يكون المرئى مقابلاً لحاسته ، إن كان إنما يراه بلاواسطـة ، أويقابل ماقابل حاسته إن كان يرى بواسطـة هى المرآة، وكـانت هـذه القضيـة لازمـة وواجبـة فى الـرائى بحاسـة ، لأنه مهمـا حصـل الشـرطان صـح كونه رائياً ، ومهمـا فقدا أو فقد أحدهمـا امتنعـت الرؤية . ومعلوم أن القديم يرى الجوهر ولايقابله ، فإذا ثبتت هذه الجملة، وكان من حق الـرائى هنا أن لايرى إلا ماهومقابل لنا ، وكانت هـذه القضية فيه تعالى ممتنعة ، فيجب أن تمتنع الرؤية"(١).

٢ ـ وتحرير الثـانى :إن المنـع مـن الرؤية إنما يصـح على مـن يجوز أن يكون رائياً ، بأن يكون حياً لاآفة به ، وحاسته صحيحـة ،و المرئى موجود ، فحينئـذ يرد عليه من رؤية هذا المرئى منع ، والموانع أجمـع راجعة إلى ماهو من تمام الحاسة ، وهو الشعـاع الـذى لابد مـن حصولـه مـع المرئى على وجه مخصوص ، ولايحدث ذلك إلا مع الأجسام ، والله تعالى ليـس بجسم فامتنعت رؤيته لذلك أيضا(٢)."

وخلاصـة مـاذكر إن الشـىء إنما يرى إذا كـان مقـابلاً ، أو حالاً فى المقابل ، أو فى حكم المقابل وهذه من صفات الأجسام(٣).

أو يوجد رائى ومـرئى ولامانع من حدوث الرؤية ، والموانع ترجع إلى الشعاع الذى هو من صفات الأجسام ، والله ليس بجسـم ، فتمتنع الرؤية .

---

(١) المحيط بالتكليف ص٢٠٩-٢١٠ .
(٢) انظر : المرجع السابق ص٢١٠-٢١١ .
(٣) انظر : شرح الأصول ص٢٧٦ .

فهذا عن طرقهم العقلية وأما النقلية فقد استدلوا بأدلة لتأييد ماسبق . من ذلك :

(١) قوله تعالى :

{لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}(١).

والدلالة من الآية على وجهين :

الأول : إن الإدراك إذا قرن بالبصر لايحتمل إلا الرؤية ، فلاحال يعقل للإنسان إذا أدرك الشيء ورآه إلا حالة واحدة ، وهو كونه رائياً له . ولايجوز فى اللغة أن يراد بالإدراك إلا الرؤية بالبصر ، ولذلك يجريان فى النفى والإثبات على حد واحد ، وقد نفى عن نفسه إدراك الأبصار وذلك نفى لرؤيتها . والنفى ههنا عام من غير توقيت ، فيجب أن يقطع على أن المراد بذلك فى كل حال لافرق بين الدنيا والآخرة .

الثانى : أنه سبحانه مدح نفسه بنفى الإدراك عنها ، مدحاً يرجع إلى ذاته ، فإثبات الإدراك له لايكون إلا نقصاً وذماً لأنه نفى ماتمدح الله به ، وصفة النقص لاتجوز فى حقه سبحانه وتعالى فى الدنيا ولافى الآخرة. فلهذا يجب أن لايرى فى الدنيا ولافى الآخرة(٢).

وقد عد المعتزلة هذه الآية من الآيات المحكمة التى يجب أن تحمل بقية الآيات التى زعموا أنها متشابهة عليها(٣).

وخلاصة وجهى الاستدلال بالآية :

الأول : إن الإدراك المقرون بالبصر لايحتمل إلا الرؤية وقد نفى ، والنفى عام فى جميع الأوقات والأزمان .

الثانى : إن الله تمدح بكونه لايرى ـ على فهمهم ـ وماكان عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله عنه(٤).

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) انظر : المغنى ٤/١٤٦، ١٥٠ ، شرح الأصول ص٢٣٣ ، المحيط ص٢١٢ ، متشابه القرآن ص٢٥٥ ، شرح قصيدة الصاحب ص٥٤ .

(٣) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص١٠٧ .

(٤) رؤية الله تعالى ص٣٥ .

(٢) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}(١).

ولهم عدة أوجه فى الاستدلال بالآية :

الأول : قوله تعالى : "لن ترانى".

إن الله أنكر على موسى طلبه فغيره أولى بالإنكار ، لأن الرؤية تضمن المقابلة التى هى محض التشبيه والتجسيم .

فإن قيل : كيف طلب موسى عليه السلام رؤية الله وهو من أعلم الناس بالله وصفاته ومايجوز عليه ومالايجوز . ومن ذلك تعاليه عن الرؤية؟

الجواب : بأنه ماطلب ذلك إلا ليبكت الذين طلبوا رؤية الله عندما قالوا : "أرنا الله جهرة" فأنكر عليهم ذلك ، وبين لهم أنه خطأ ، ولكنهم تمادوا فى لجاجهم وأصروا على طلب الرؤية ، فأراد موسى أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك فقال له "لن ترانى" فإذا سمعوه تيقنوا وانزاح عنهم مادخلهم من شبه ، فطلب موسى عبارة عن ترجمة عن مقترحهم وحكاية عن قولهم(٢).

وقال عبد الجبار :

"إنه التمس من الله تعالى أن يعرفه نفسه ضرورة بقوله "رب أرنى أنظر إليك" لأن الرؤية قد تنطلق على المعرفة ، فكأنه قال : عرفنى نفسك باضطرار لأكون من الشبه أبعد ، وإلى السكون والطمأنينة أقرب ، وأراد أن يظهر تعالى من الآيات العظيمة ماعنده تحصل هذه المعرفة ، فذكر نفسه فى قوله : "أنظر اليك" وإنما أراد الآيات التى يحدثها ، فقال تعالى : "لن ترانى"

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٣

(٢) انظر : الكشاف ٢/٨٩-٩٠ .

مبيناً له أن مع التكليف لايجوز أن يعرفه باضطرار"(١).

الثانى :إن "لن" تفيد تأكيد النفى الذى تعطيه "لا" ، لأن "لا" تنفى المستقبل . وذلك كقوله : {لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له}(٢)، فقوله "لاتدركه الأبصار" نفى للرؤية فيما يستقبل ، وقوله "لن ترانى" تأكيد وبيان لأن المنفى مناف لصفاته(٣).

وقد طرح الزمخشرى فى هذا الموضع سؤالاً : "فإن قلت كيف اتصل الاستدراك فى قوله {ولكن انظر الى الجبل} بما قبله؟

أجاب قائلاً : "اتصل به على معنى إن النظر إلى محال فلاتطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية لتستعظم مأأقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية مامثله عند نسبة الولد إليه فى قوله : {وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً}(٤)(٥).

ويؤيد ماذهب إليه الزمخشرى فى أن "لن" تفيد التأبيد القاضى عبد الجبار فيقول :

"يدل ظاهره ـ أى قوله " لن ترانى" ـ على أنه لايراه أبدا ، لأن النفى على هذا الوجه يوجب ذلك فى اللغة ، كقوله تعالى : {فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس}(٦)إلى ماشاكله"(٧).

---

(١) متشابه القرآن ص٢٩٤ .
(٢) سورة الحج : آية ٧٣
(٣) انظر : الكشاف ٢/٨٩-٩٠ .
(٤) سورة مريم : آية ٩٠-٩١
(٥) انظر المرجع السابق ٢/٨٩-٩٠ .
(٦) سورة البقرة : آية ٢٤
(٧) المغنى ٤/١٦٩-١٧٠ .

ويقول : "فأما شيوخنا رحمهم الله ، فقد استدلوا بهذه الآية على أنه تعالى لايرى ، لأنه تعالى قال : "لن ترانى" وذلك يوجب نفى رؤيته تعالى فى المستقبل أبداً ، فإذا صح ذلك من موسى وجب مثله فى الأنبياء والمؤمنين"(١).

الثالث : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً} .

زعم الزمخشرى أن ذلك تعليق لوجود الرؤية بوجود مالايكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه ويسويه بالأرض(٢).

واستفاض عبد الجبار فى بيان وجه الدلالة فذكر أن الله نفى أن يراه موسى عليه السلام وأكد ذلك بأن علقه باستقرار الجبل ، وقد جعل الجبل دكاً منبهاً بذلك على أن رؤيته لاتقع لتعليقه إياها بأمر وجد ضده على طريق التبعيد المشهور عند العرب ، فهم يؤكدون الشىء بمايعلم أنه لايقع على جهة التبعيد كقول الشاعر :

إذا شاب الغراب أتيت أهلى

وصار القار كاللبن الحليب

وكقوله تعالى : {ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط}(٣). ثم جعل الله الجبل دكاً مبيناً به انتفاء استقرار وفى ذلك دليل على أن الرؤية لاتقع(٤).

وقد أورد عبد الجبار اعتراضاً حول معنى قول الله تعالى : {فلماتجلى ربه للجبل} ، قال فيه :

---

(١) متشابه القرآن ص٢٩٦ .

(٢) انظر : الكشاف ٩١/٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٤٠

(٤) انظر : المغنى ١٦١/٤-١٦٢ ، متشابه القرآن ص٢٩٦-٢٩٧ .

"والمراد بقوله : {فلماتجلى ربه للجبل} ، فلما أظهر من آياته وقدرته ماأوجب أن يصير دكاً . وقد يقال تجلى بمعنى جلى ، كما يقال : حدث وتحدث ، ولذلك قال فى الساعة : {لايجليها لوقتها إلا هو}(١)، وظاهر جلى وتجلى : هو الإظهار ، فيجب أن يحمل على إظهار القدرة ، يبين ذلك أنه تعالى علق جعله الجبل دكاً بالتجلى ، ولو أراد به تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى ، لأنه لو كان الجبل يجب أن يصير دكاً ، أو أراد : تجلى بمعنى المقابلةلوجب أن لايستقر له مكان ، بل كان يجب فى العرش أن يصير دكاً ، وأن يكون بهذه الصفة أحق .

ولو كان فى الحقيقة تجلى الجبل ، بمعنى أنه أظهر وزال الحجب ، لكان من على الجبل يراه أيضاً، فكان لايصح مع ذلك قوله : "لن ترانى" وكان لايصح أن يعلق نفى الرؤية بأن لايستقر الجبل ، والمعلوم أنه لايستقر بأن ينكشف ويرى ، لأن ذلك فى حكم أن يجعل الشرط فى أن لايرى مايوجب أن يرى ، وذلك متناقض"(٢).

وقال : "فأما التجلى فإنما يصح أن يتعلق به من يزعم أنه تعالى جسم يجوز عليه الانتقال ، فأما من لايقول بذلك ويقول إنه لاكالأجسام ، وأنه ليس بمؤلف فتعلقه بهذا الظاهر ، وإن أطلق هذا القول فيه تعالى ، لايصح"(٣).

الرابع : قوله تعالى : {وخر موسى صعقاً} .

قال الزمخشرى : "وخر موسى صعقاً" من هول مارأى .. ومعناه خر مغشياً عليه غشية كالموت ، وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون :ياابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة؟(٤)

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٨٧

(٢) متشابه القرآن ص٢٩٨ .

(٣) المرجع السابق ص٢٩٧ .

(٤) الكشاف ٩١/٢ .

الخامس : قوله تعالى : {قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين} .

قال الزمخشرى : "فى قوله تعالى : "قال سبحانك" أى أنزهك مما لايجوز عليك من الرؤية وغيرها . "تبت إليك" : من طلب الرؤية . "وأنا أول المؤمنين" : بأنك لست بمرئى ولامدرك بشىء من الحواس".

ثم يورد سؤالاً فيقول : "فإن كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب موسى؟"

قلت : من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى . فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية فى هذه الآية ، وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكاً وكيف أصعقهم ، ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة فى إعظام الأمر ، وكيف سبح ربه ملتجأ إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال "أنا أول المؤمنين" ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولايغرنكم تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم . والقول ماقال بعض العدلية فيهم :

لجماعة سموا هواهم سنة
وجماعة حمر لعمرى موكفة(١)
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا
شنع الورى فتستروا بالبلكفة(٢)

ثم أورد المعتزلة أحاديث وآثاراً زعموا أنها تدل على نفى الرؤية منها:

(١) ماروى عن سمرة بن جندب أنه قال :

سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نرى ربنا فى الآخرة؟

---

(١) موكفة :من الوكف : محركة . وهو الميل والجور ، والعيب والإثم . القاموس المحيط ص١١١٣ .

(٢) الكشاف ٢/٩١-٩٢ .

ويعنى بالبلكفة : قول أهل السنة : بلا كيف .

قال : فانتفض فسقط ولصق بالأرض وقال : "لايراه أحد ولاينبغى لأحد أن يراه"(١).

(٢) مانسب لعائشة :

"إنها سمعت بأن القوم يقولون : بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعرى مما قلتموه ، ودفعت ذلك بقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}(٢).

وأما موقفهم من أدلة الإثبات اقتصر على ذكر مثالين أحدهما من القرآن والآخر من السنة .

المثال الأول :

قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة}(٣).

ولهم أوجه فى صرف دلالتها :

(١) إن ظاهرها يقتضى التشبيه فيجب تأويلها(٤).

(٢) إنها من المتشابه الذى يجب أن يأول لكى يتفق مع الآيات المحكمة التى تنفى الرؤية كقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار}(٥).

ولهم أوجه فى تأويلها :

قال عبد الجبار :

"وقوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} لايدل ظاهره على أنه تعالى يرى من وجوه :

---

(١) انظر : شرح قصيدة الصاحب ص٥٤ .
ولم أقف على هذا الحديث فى شىء من كتب أهل العلم . وهو مناهض للآيات والأحاديث التى تثبت رؤية الله فى الآخرة .
ولايبعد وضعه .

(٢) فضل الاعتزال ص١٥٩ .
وسوف يأتى تخريج حديث عائشة والكلام عنه .

(٣) سورة القيامة : آية ٢٢ - ٢٣

(٤) انظر : المحيط بالتكليف ص٢٠٨ .

(٥) انظر : رسائل العدل والتوحيد ص١٠٨ .

أحدها : أنه تعالى ذكر أنها ناظرة إلى ربها ، والنظر غير الرؤية ، لأنه إذا علق بالعين فالمراد طلب الرؤية ، كما إذا علق بالقلب ، فالمراد طلب المعرفة ، ولذلك يقول القائل : نظرت إلى الشيء فلم أره ، ونظرت إليه حتى رأيته ، فلذلك نعلم باضطرار أن الناظر ناظر ولانعلمه رائياً إلا بخبره . ولذلك أضافت العرب النظر إضافات ، فجعلت منه نظر الراضى والغضبان ... إلى غير ذلك، ولم تضف الرؤية على هذا الحد ، وإذا كان النظر غير الرؤية ـ لما ذكرناه ـ فكيف يدل الظاهر على أنهم يرون الله؟

ومتى قالوا : إذا ثبت بالظاهر أنه ينظر إليه، وجب أن يكون مما يصح رؤيته ، قلنا : هذا يؤدى إلى أن يكون جسماً فى جهة مخصوصة ، لأن النظر هو تقليب الحدقة نحو الشيء التماساً لرؤيته وهذا لايصح إلا والمطلوب رؤيته فى جهة مخصوصة ، وذلك يوجب أنه جسم ،تعالى الله عن ذلك! ولهذا قلنا : إنه تعالى لما خلق النظر بنفسه ، وعلمنا أن ذلك لايصح فيه ، وجب أن يكون المراد به الثواب ، لأن الحكم الذى يقتضيه الاسم إذا لم يصح فيما علق به ، وجب أن يكون المراد غيره ، كقوله تعالى : {واسأل القرية}(١). إلى غير ذلك من وجوه المجاز.

والثانى : أنه تعالى وصف الوجوه بأنها ناظرة ، وقد علمنا أن هذه اللفظة تفيد الجملة ، لأن الناظر هو الإنسان دون بعضه ، كما أنه العالم والقادر والفاعل ، فإذا صح وكان الإنسان يوصف على أنه ناظر على وجه فيراد به الانتظار ، وقد يراد به تقليب الحدقة طلباً للرؤية ، وقد يراد به التفكر بالقلب طلباً للمعرفة ، فليس فى الظاهر ـ إذن ـ دلالة على ماقاله القوم وهو محتمل له ولغيره .

والثالث : أنه تعالى أراد بذكر الوجوه جملة الإنسان ، لاالبعض المخصوص ، ولذلك وصف الوجوه بأنها ناظرة ، وذلك يليق بها دون الأبعاض ، ولذلك قال من بعد : {وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة}(٢)، فوصفها بالظن الذى لايليق بالوجه . فإذا صح ذلك وجب كون

---

(١) سورة يوسف : آية ٨٢
(٢) سورة القيامة : آية ٢٤،٢٥

الكلام مجملاً ، لأن الجملة إذا وصفت بأنها ناظرة ، لم يفهم أن المراد به الرؤية"(١).

وقالوا : إن المراد بها ليس النظر بالأحداق ولكن النظر إلى ثوابه وماأعد لأوليائه ، فيكون قد حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كقوله تعالى : {واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها}(٢).

وقال الزمخشرى :

"اختصاصه بنظرهم - أى المؤمنين - إليه لو كان منظوراً إليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، والذى يصح معه أن يكون من قول الناس : أنا إلى فلان ناظر مايصنع بى تريد معنى التوقع والرجاء .

والمعنى أنهم لايتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لايخشون ولايرجون إلا إياه"(٣).

وقال أبو على الجبائى :

"إن "إلى" ههنا ليست حرف جر لكنها اسم وهى واحدة الآلاء وهى النعم فهى فى موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة"(٤).

المثال الثانى :

قوله صلى الله عليه وسلم : "سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر"(٥).

قعد عبد الجبار قاعدة عامة تكشف موقف المعتزلة من أحاديث الرؤية فقال :

---

(١) متشابه القرآن ص٦٧٣-٦٧٤ .

(٢) انظر : المحيط بالتكليف ص٢١٣ ، شرح قصيدة الصاحب ص٥٤-٥٥ .
والآية هى ٨٢ من سورة يوسف .

(٣) الكشاف ١٦٥/٤ .

(٤) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٣/٣ .

(٥) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

"ومما يتعلقون به أخبار مروية عن النبى صلى الله عليه وآله ، وأكثرها يتضمن الجبر والتشبيه ، فيجب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله ، وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم ، والراوى حذف الحكاية ونقل الخبر"(١).

ثم تناول الحديث السابق مبينا بأنه أشق وأعظم مايتمسك به من يثبت الرؤية ، وقد حاول دفعه ورده بأجوبة :

أحدها : إنه يتضمن الجبر والتشبيه ، لأن القمر لايرى إلا مدوراً عالياً منوراً ، ولايجوز أن يرى الله على هذا الحد . فلابد من القطع على أن هذا الخبر كذب عن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه لم يقله ، وإن قاله فإنما هو حكاية عن قوم .

الثانى : إنه يروى عن قيس بن أبى حازم(٢)عن جرير بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم . ثم طعن فى قيس من وجهين :

الوجه الأول : إنه كان يرى رأى الخوارج . ودليله على ذلك أنه قال - أى قيس - : "منذ سمعت علياً على منبر الكوفة يقول :انفروا إلى بقية الأحزاب - يعنى أهل النهروان -(٣)دخل بغضه قلبى" . فقال عبد الجبار : "ومن دخل بغض أمير المؤمنين قلبه ، فأقل أحواله أن لايعتمد على قوله ولايحتج بخبره" .

الوجه الثانى : قيل إنه خولط فى عقله آخر عمره ،والكتبة يكتبون عنه كعادتهم فى حال عدم التمييز ، ولاندرى أن هذا الخبر رواه وهو صحيح العقل أو مختلط .

---

(١) شرح الأصول ص٢٦٨ .

(٢) تأتى ترجمته والكلام عنه .

(٣) النهروان :

موضع واسع بين بغداد وواسط من الجانب الشرقى .

كان بها وقعة مشهورة لأمير المؤمنين على بن أبى طالب مع الخوارج .

انظر : معجم البلدان ٣٢٤/٥ ، مراصد الإطلاع ١٤٠٧/٣ .

الثالث : لو صح وسلم فهو خبر آحاد ، وخبر الواحد لايقتضى العلم ، ومسألة الرؤية طريقها القطع والثبات .

الرابع : إنه معارض بأخبار رويت ، منها :

مارواه أبو قلابةعن أبى ذر أنه قال : قلت للنبى : "هل رأيت ربك"؟ فقال : "نور هو ، أنى أراه" .

أى أنور هو؟ كيف أراه؟(١)

وعن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يرى الله أحد فى الدنيا ولافى الآخرة"(٢)(٣).

الخامس : إن المراد بالرؤية فى الحديث العلم وليست الرؤية البصرية.

قال عبد الجبار :

ثم نتناوله نحن على وجه يوافق دلالة العقل ، فنقول المراد به سترون ربكم يوم القيامة ، أى ستعلمون ربكم يوم القيامة كما تعلمون القمر ليلة البدر . وعلى هذا قال : لاتضامون فى رؤيته ، أى لاتشكون فى رؤيته فعقبه بالشك ، ولو كان بمعنى رؤية البصر لم يجز ذلك. والرؤية بمعنى العلم مما نطق به القرآن ، وورد به الشعر"(٤).

وقال الزمخشرى:

""سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر" بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هى فى الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى"(٥).

فحمل الرؤية على المعرفة بينما حملها عبد الجبار على العلم .

---

(١) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

(٢) لم أقف عليه فى شىء من كتب أهل العلم . وهو معارض للآيات والأحاديث الصحيحة التى تدل على رؤية الله فى الآخرة ولايبعد أن يكون موضوعا من قبل أهل الاعتزال .

(٣) انظر : شرح الأصول ص٢٦٨-٢٧٠ .

(٤) المرجع السابق ص٢٧٠ .

(٥) الكشاف ٢/٩٢ .

موقف السلف من رؤية الله ، والجواب على شبه المعتزلة :

لقد اتفق سلف هذه الأمة وأئمتها من أهل السنة والجماعة على أن الله سبحانه يرى فى الدار الآخرة ، يراه المؤمنون رؤية حقيقية تليق به سبحانه وتعالى من غير إحاطة ولاكيفية .

كمااتفقوا على أنه لايراه أحد بعينى رأسه فى الدنيا ، وذلك لقوله تعالى لموسى {لن ترانى}(١)، ولقول النبى صلى الله عليه وسلم : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"(٢). وهى وإن كانت جائزة عقلاً وليست بمستحيلة إلا أن البشر لايطيقون رؤيته فى هذه الدار لعجز أبصارهم وضعفها . ولذا من ادعى رؤية الله فى الدنيا بعينى رأسه فدعواه باطلة باتفاق أهل السنة والجماعة . وهو ضال(٣).

وإنما الخلاف فى رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بعينيه فى الدنيا، فأثبت ذلك قوم ونفاه آخرون . والصحيح أنه لم يره بعينيه لقوله فى حديث أبى ذر : "نور أنى أراه" . وفى رواية "رأيت نوراً"(٤).

وموضوع رؤية الله فى الآخرة من أشرف مسائل أصول الدين، وهى أعظم أنواع النعيم الذى خص الله به أولياءه وحرمه أعداءه .

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٣

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٠٨ .
والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه ، من حديث بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) ، باب ذكر ابن صياد (١٩) برقم ٢٩٣١ ، ٢٢٤٥/٤ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣٨٩/٣ ، بيان تلبيس الجهمية ٣٥٨/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٥ ، لوامع الأنوار ٢٨٥/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٥٥/٧ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٦،١٩٧ ، رؤية الله تعالى ص١٣٠ .
والحديث : أخرجه مسلم فى صحيحه بروايتيه . كتاب الإيمان (١) ، باب فى قوله عليه السلام : "نور أنى أراه"، وفى قوله : "رأيت نورا" (٧٨) برقم ١٧٨ ، ١٦١/١

قال السفارينى رحمه الله :

"ورؤية الله رب العالمين أعظم وأجل وأشرف وأنعم نعيم الجنة قدراً وأعلاه وأغلاه خطراً وأمراً ، وهى الغاية القصوى والنهاية العظمى التى شمر إليها السابقون وتنافس فيها المتنافسون واتفق الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وأئمة السلف والدين على ثبوتها فى دار القرار من غير شك ولاإنكار وإنما أنكرها أهل البدع والضلال والتجهم والاعتزال"(١).

وقد تضافرت على إثباتها أدلة الكتاب والسنة ، وأجمع على ذلك سلف الأمة(٢).

وهذه بعض النصوص التى تدل على إثباتها من القرآن الكريم والسنةالنبوية وأقوال سلفنا الصالح .

(أ) **القرآن الكريم** :

(١) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}(٣).

وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة :

أحدها : إنه لايظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه مالايجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال .

الوجه الثانى : إن الله سبحانه لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه . ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف

---

(١) لوامع الأنوار ٢٤١/٢ .
وانظر : حادى الأرواح ص٢١٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٩ .

(٢) انظر : حادى الأرواح ص٢١٢ ، لوامع الأنوار ٢٤١/٢ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٤٩،٥٠ .

(٣) سورة الأعراف : آية ١٤٣

يحيي الموتى لم ينكر عليه . ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله . ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال : {إني أعظك أن تكون من الجاهلين}(١).

الوجه الثالث : إنه أجابه بقوله : "لن ترانى" ولم يقل لاترانى ولاأنى لست بمرئى ، ولاتجوز رؤيتى ، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله . وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لاتحتمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى .

الوجه الرابع : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى} . فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لايثبت لتجليه له فى هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذى خلق من ضعف.

الوجه الخامس : إن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع فى مقدوره ، بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً فى ذاتها لم يعلقها بالممكن فى ذاته . بل لو كانت محالاً لكان ذلك نظير أن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام.

الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى : {فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً} وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذى هو جماد لاثواب له ولاعقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه فى دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته فى هذه الدار فالبشر أضعف .

الوجه السابع : إن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لايتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم(٢).

---

(١) سورة هود : آية ٤٦

(٢) حادى الأرواح ص٢١٢-٢١٣ بتصرف .

وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١-١٩٢ .

(٢) قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة}(١).

قال ابن عباس : "تنظر إلى وجه ربها عز وجل" .

وقال الحسن(٢): "نظرت إلى ربها فنضرت بنوره" .

وقال عكرمة(٣): "الى ربها ناظرة" . تنظر إلى ربها نظراً".

وذكر اللالكائى رحمه الله أنه قد قال بذلك جماعة من التابعين ، واستدل بالآية على جواز الرؤية مالك والشافعى رحمهما الله(٤).

وهو قول المفسرين من أهل السنة(٥).

قال الإمام ابن كثير رحمه الله : "{وجوه يومئذ ناضرة} من النضارة أى حسنة بهية مشرقة مسرورة . {إلى ربها ناظرة} : أى تراه عياناً"(٦).

---

(١) سورة القيامة : آية ٢٢،٢٣

(٢) الحسن :

هو الحسن بن أبى الحسن البصرى ، واسم أبيه : يسار ، الأنصارى ، مولاهم ، ثقة فقيه ، فاضل ، مشهور ، كان يرسل كثيراً ويدلس .

روى عن عمران بن حصين ، وأبى موسى ، وابن عباس . وعنه ابن عون ويونس . مات سنة ١١٠هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٣/٤٠-٤٢ ، الطبقات الكبرى ١٥٦/٧ ، تذكرة الحفاظ ٦٦/١ ، الكاشف ٢٢٠/١ ، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢ ، تقريب التهذيب ١٦٥/١ .

(٣) عكرمة :

هو عكرمة بن عبد الله ، مولى ابن عباس ، أصله بربرى ، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ، ولايثبت عنه بدعة . روى عن ابن عباس ، وعائشة ، وأبى هريرة . وعنه إبراهيم النخعى ، والشعبى ، وخلق . مات سنة ١٠٧هـ وقيل بعدها .

انظر : طبقات ابن سعد ٢٨٧/٥ ، الجرح والتعديل ٧/٧ ، تذكرة الحفاظ ٩٥/١ ، ميزان الاعتدال ٩٣/٣ ، تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ ، تقريب التهذيب ٣٠/٢ .

(٤) انظر : شرح اعتقاد أهل السنة ٤٦٤/٢ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ .

(٦) تفسير القرآن العظيم ٤٥٠/٤ .

(٣) قوله تعالى :

{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولايرهق وجوههم قتر ولاذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون}(١).

الحسنى : هى الجنة ، والزيادة : هى النظر إلى وجه الله الكريم ، بذلك فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعون وأئمة السلف رضى الله عن الجميع .

روى مسلم بسنده إلى صهيب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل . ثم تلا هذه الآية : {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة}(٢).

قال ابن القيم رحمه الله :

"ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التى هى الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها"(٣).

(٤) قوله تعالى : {لهم مايشاءون فيها ولدينا مزيد}(٤).

جاء عن على وأنس رضى الله عنهما أن المزيد هو النظر إلى وجه الله تعالى(٥).

---

(١) سورة يونس : آية ٢٦

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٥٥/٢ فما بعدها ، الاعتقاد ص٧٦،٧٧ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٣٠/٨ ، حادى الأرواح ص٢١٤-٢١٥ ، تفسير القرآن العظيم ٤١٤/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ .
والحديث أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٨٠) برقم ١٨١ ، ١٦٣/١ .

(٣) حادى الأرواح ص٢١٥ .

(٤) سورة ق : آية ٣٥

(٥) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٤٦٩/٢ ، الجامع لأحكام القرآن ٢١/١٧ ، حادى الأرواح ص٢١٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ .

(٥) قوله تعالى : {وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً}(١).

قال الرازى : "فإن إحدى القراءات فى هذه الآية فى "ملكاً" بفتح الميم وكسر اللام ، وأجمع المسلمون على أن ذلك الملك ليس إلا الله تعالى ، وعندى أن التمسك بهذه الآية أقوى من التمسك بغيرها"(٢).

(٦) قوله تعالى : {واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه}(٣).

وقوله تعالى : {تحيتهم يوم يلقونه سلام}(٤).

وقوله تعالى : {فمن كان يرجو لقاء ربه}(٥).

وقوله تعالى : {قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله}(٦).

أجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحى الذى سلم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية(٧).

(٧) قوله تعالى : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}(٨).

قال الزجاج : "فى هذه الآية دليل على أن الله عز وجل يرى فى القيامة ، ولولا ذلك ماكان فى هذه الآية فائدة، ولاخصت منزلة الكفار بأنهم يحجبون" .

وقال مالك بن أنس فى هذه الآية : "لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه" .

---

(١) سورة الإنسان : آية ٢٠

(٢) التفسير الكبير ١٣١/١٣ .
وانظر : رؤية الله تعالى ص١٠٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢٣

(٤) سورة الأحزاب: آية ٤٤

(٥) سورة الكهف : آية ١١٠

(٦) سورة البقرة : آية ٢٤٩

(٧) حادى الأرواح ص٢١٣-٢١٤ بتصرف . وانظر : الاعتقاد ص٧٦ .

(٨) سورة المطففين : آية ١٥

وقال الشافعى : "لما حجب قوماً بالسخط ، دل على أن قوماً يرونه بالرضا . ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه فى المعاد لما عبده فى الدنيا"(١).

وجمهور المفسرين ذهبوا إلى تفسير حجب الكفار عن ربهم بالمنع من رؤيته يوم القيامة(٢).

(ب) **أدلة السنة :**

أما الأحاديث الصحيحة التى تدل على رؤية الله فى الآخرة فهى كثيرة متوافرة بلغت حد التواتر ، فى الصحاح والسنن والمسانيد ، وقد اعتنى بجمعها أئمة كالدارقطنى وأبى نعيم وأبى بكر الآجرى وغيرهم(٣). وقد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم نحو ثلاثين صحابياً(٤)، ونص على تواترها جماعة من الأئمة(٥).

من تلك الأحاديث :

(١) روى البخارى بسنده إلى جرير قال :

"كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٦١/١٩ .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢٦٦/٢ فما بعدها ، الاعتقاد ص٨٣ ، حادى الأرواح ص٢١٦ ، تفسير القرآن العظيم ٤٨٥/٤، ٤٨٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٤٩ ، رؤية الله تعالى ص٢٢٢ .

(٣) انظر بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاويةص١٩٤ .

(٥) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٦٢ ، حادى الأرواح ص٢١٩ ، تفسير القرآن العظيم ١٦٢/٢ ، ٤٥٠/٤، ٤٨٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٣ ، رؤية الله تعالى ص٢٢٢ .

الشمس فافعلوا"(١).

وفى رواية عنه رضى الله عنه قال : "قال النبى صلى الله عليه وسلم : إنكم سترون ربكم عياناً"(٢).

(٢) وروى بسنده إلى أبى هريرة :

" أن الناس قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا : لايارسول الله ، قال فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لايارسول الله. قال : فإنكم ترونه كذلك ..." الحديث(٣).

(٣) وروى بسنده إلى أبى موسى الأشعرى :

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٧٩/٨ .
وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب المواقيت (٩) ، باب فضل صلاة العصر (١٦) ، ١٣٨/١ ، وفى باب فضل صلاة الفجر (٢٦) ، ١٤٣/١ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة ق ، (٥٠) ، باب وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٢) ، ٤٨/٦ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب فى كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥) ، باب فضل صلاتى الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٣٧) ، برقم ٦٣٣ ، ٤٣٩/١ .

(٢) هذه الرواية أخرجها البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٧٩/٨ .

(٣) صحيح البخارى فى الكتاب والباب السابقين ١٧٩/٨ .
وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب الرقاق (٨١) ،باب الصراط جسر جهنم (٥٢) ، ٢٠٥/٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب معرفة طريق الرؤية (٨١) برقم ١٨٢ ، ١٦٣/١-١٦٤ .
وأخرج نحوه فى كتاب الزهد والرقاق (٥٣) برقم ٢٩٦٨ ، ٢٢٧٩/٤-٢٢٨٠ .

إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن"(١).

(ج) **آثار السلف :**

وأما الآثار التى وردت عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فى إثبات رؤية الله جل ذكره فى الآخرة للمؤمنين فهى أكثر من أن تذكر ، ويكفينا فى هذا المقام أن نشير إلى بعضها ، وفى القليل مايغنى عن الكثير .

(١) قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله :

"من كذب بالرؤية فهو زنديق" . وقال : "نؤمن بها أى الرؤية وأحاديثها ونعلم أنها حق فنؤمن بأن الله يرى ، نرى ربنا يوم القيامة لانشك فيه ولانرتاب" . وقال : "من زعم أن الله لايرى فى الآخرة فقد كفر بالله ، وكذب بالقرآن ، ورد على الله أمره ، يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل"(٢).

(٢) قال الأوزاعى رحمه الله :

"إنى لأرجو أن يحجب الله عز وجل جهماً وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعده أولياءه حين يقول : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذى وعد أولياءه"(٣).

(٣) قال الربيع بن سليمان(٤):

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} (٢٤) ، ١٨٥/٨ .
وأخرجه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الرحمن (٥٥) ، باب قوله : {ومن دونهما جنتان} (١) ، ٥٦/٦ ، إلا أنه قال : "رداء الكبر" .
وأخرجه بنحوه كذلك فى التفسير ، باب {حور مقصورات فى الخيام} (٢) ، ٥٦/٦
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات رؤية المؤمنين فى الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٨٠) برقم ١٨٠ ، ١٦٣/١ .

(٢) لوامع الأنوار ٢٤٦/٢ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٣/٢ .

(٤) الربيع بن سليمان :
هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادى ، أبو محمد المصرى المؤذن ، صاحب الشافعى . ثقة فقيه . روى عن عبد الله بن وهب والشافعى وأبى صالح . وعنه أبو داود والنسائى وابن ماجه . مات سنة ٢٧٠هـ . =

"حضرت محمد بن إدريس الشافعى وقد جاءته رقعةمن الصعيد فيها : ماتقول فى قول الله تبارك وتعالى : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون}؟(١)

قال الشافعى : "فلما أن حجبوا هؤلاء فى السخط كان فى هذا دليل على أنهم يرونه فى الرضا".

قال الربيع : قلت : ياأبا عبد الله وبه نقول؟

قال :"نعم وبه أدين الله ، لو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله تعالى"(٢).

مما سبق من أدلة يتبين لنا أن رؤية الله عز وجل فى الآخرة ثابتة للمؤمنين دون الكفار(٣)، وإن كان الخلاف قائماً بين العلماء فى رؤية الكفار له فى الموقف(٤).

وأما ماأثارته المعتزلة من شبه زاعمة أنها تنفى بها رؤية الله يوم القيامة ، فهى شبه واهية لاتنهض لمقاومة ماسبق من أدلة ، وقد انقض عليها علماء السلف رضوان الله عليهم فكشفوا عوارها فتساقطت أمامهم شبهة تلو الأخرى ، وتهاوت ، وبان الحق ناصعاً أبيض لالبس فيه ولاغموض .

وهذا بيان ذلك :

زعمهم بأن القول بها حادث بعد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة . زعم باطل وقول منكر مخالف للحقيقة والواقع ، فالآيات السابقة شاهدة على إثباتها ، وتلك الأحاديث المتواترة التى نصت صراحة على

= انظر : الجرح والتعديل ٤٦٤/٣ ، تذكرة الحفاظ ٥٨٦/٢ ، طبقات الشافعية ١٣٩،١٣٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٤٥/٣-٢٤٦ ، تقريب التهذيب ٢٤٥/١ .

(١) سورة المطففين : آية ١٥

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٦/٢ . وانظر: مناقب الشافعى ٤١٩/١ .

(٣) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص٥٠ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٦ .

وقوعها ، وانعقد على ذلك إجماع السلف رضى الله عنهم . بل القول بنفيها هو البدعة والإحداث فى الدين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ومسألة الرؤية كانت من أكبر المسائل الفارقة بين السنة المثبتة وبين الجهمية حتى كان علماء أهل الحديث والسنة يصنفون الكتب فى الإثبات ويقولون "كتاب الرؤية" و"الرد على الجهمية" وكذلك الأحاديث التى تنكرها الجهمية من أحاديث الرؤية ومايتبعها ، ويعدون من أنكر الرؤية معطلاً"(١).

دعواهم أنه لايراه إلا من اعتقده جسماً وشبهه بخلقه ومايلزم ذلك من لوازم باطلة - على رأيهم - .

إن التجسيم والتشبيه من الأمور التى رانت على أذهان أهل الاعتزال وخيمت على عقولهم حتى حجبت عنهم نور الحق ، فظلوا فى ظلام دامس ، ولذلك كلما سطعت أمام أبصارهم أنوار الأدلة التى تثبت الكمال لله كنصوص الرؤية سارعوا إليها محاولين إطفاءها بحجة أنها تجسيم وتشبيه ، والعلة فى ذلك عجز عقولهم عن الخلاص من وحل التجسيم ونتن التشبيه ، وقد سبق بيان ذلك فى حديثنا عن الصفات(٢).

فقد انطلق المعتزلة فى نفى الرؤية من قاعدة التجسيم والتشبيه كما نفوا من قبل الصفات بذلك ، وماأجيبوا به هنالك يجابون به هنا .

ونفيهم للرؤية عن الله لاتنزيه لهم فيه ، بل تنزيه الله يكون بإثبات صفات الكمال له ونفى مايضادها ، وإثبات الرؤية له سبحانه صفة كمال ، ونفيها عنه تعطيل ، لأن المعدوم لايرى(٣).

قال الطحاوى رحمه الله :

---

(١) بيان تلبيس الجهمية ٣٤٩/١ .

(٢) انظر ص : ١٤٨ فما بعدها .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١٢ .

"ولايصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم ، أو تأولها بفهم ، إذ كان تأويل الرؤية ـ وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية ـ بترك التأويل ، ولزوم التسليم ، وعليه دين المسلمين ، ومن لم يتوق النفى والتشبيه ، زل ولم يصب التنزيه"(١).

وهاهو شيخ الإسلام رحمه الله ينبرى لمقارعة المعتزلة مستخدماً سلاح العقل الذى يدّعوه ، وإن كان البون شاسعاً بين عقل استنار بضوء النصوص وبين عقول غطتها ظلم الشبهات ، وقد فند رحمه الله لوازمهم التى ألصقوها بمن يثبت الرؤية . يقول :

"ومن أراد أن يناظر مناظرة شرعية بالعقل الصريح فلايلتزم لفظاً بدعياً ولايخالف دليلاً عقلياً ولاشرعياً ، فإنه يسلك طريق أهل السنة والحديث والأئمةالذين لايوافقون على إطلاق الإثبات ولاالنفى ، بل يقولون : ماتصفون بقولكم "إن كل جسم مرئى"؟ فإن فسروا ذلك بأن كل مرئى يجب أن يكون قد ركبه مركب ، أو أن يكون متفرقاً فاجتمع ، أو أنه يمكن تفريقه ، ونحو ذلك ، منعوا هم المقدمة الأولى ، وقالوا : هذه السموات مرئيةمشهورة ، ونحن لانعلم أنها كانت متفرقة مجتمعة ، وإذا جاز أن يرى مايقبل التفريق فما لايقبله أولى بامكان رؤيته .

وإن قالوا مرادنا أن المرئى لابد أن يكون معايناً تجاه الرائى ، وماكان كذلك فهو جسم . ونحو هذا الكلام ، قالوا لهم : الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم قال : "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"، وقال "هل تضامون فى رؤية الشمس صحواً ليس دونها سحاب"؟ قالوا : لا . قال "هل تضامون فى رؤية القمر ليس دونه سحاب"؟ قالوا : لا . قال : "فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر"(٢)، وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لاالمرئى بالمرئى ...

---

(١) متن العقيدة الطحاوية ص١٠ .

(٢) سبق تخريجه . انظر ص : ١٩١

فهذه النصوص يصدق بعضها بعضاً ، والعقل أيضا يوافقها ، ويدل على أنه سبحانه مباين لمخلوقاته ، فوق سمواته ، وأن وجود موجود لامباين للعالم ولامجانس له محال فى بديهة العقل ، فإذا كانت الرؤية مستلزمة لهذه المعانى فهذا حق ، وإذا سميتم أنتم هذا قولاً بالجهة وقولاً بالتجسيم لم يكن هذا القول نافياً لما علم بالشرع والعقل ، إذا كان معنى هذا القول ـ والحال هذه ـ ليس منتفياً لابشرع ولابعقل "(١).

زعمهم أنه لايرى نفسه لأن ذاته لاترى ، واختلافهم فى رؤيته لغيره .

لقد أفرط المعتزلة فى النفى حتى وصل بهم الأمر إلى أن يعطلوا الله سبحانه من أن يرى نفسه أو يراه غيره ، أو يرى غيره ، وإن كان بعضهم أثبت أنه يرى غيره ولايرى نفسه . ولكن من وصف بأنه لايرى ماذا يكون حكمه؟ أليس هو الأعمى؟ تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً ، ومن وصف بأنه لايرى أيكون ذلك مدحاً فى حقه أم ذماً ، ويكون صفة كمال أم نقص؟ فقولهم هذا فى النفى أدى بهم إلى التعطيل ثم هو تشبيه لله بالمعدوم(٢).

لقد وصف الله نفسه بأنه يرى فى أكثر من آية ولم يخصص ولم يستثن فقال لموسى وهارون عليهما السلام : {قال لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى}(٣)، وقال سبحانه : {ألم يعلم بأن الله يرى}(٤)، وقال سبحانه : {وتوكل على العزيز الرحيم . الذى يراك حين تقوم}(٥). بل عاب الأصنام التى لاتصلح أن تكون آلهة لأنها لاتسمع ولاتبصر ، فقال على لسان إبراهيم عليه السلام : {ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغنى عنك شيئا}(٦).

---

(١) موافقة صحيح المنقول ١/١٩٠-١٩١ .
(٢) انظر : رؤية الله تعالى ص١٢٠،١٢١ .
(٣) سورة طه : آية ٤٦
(٤) سورة العلق : آية ١٤
(٥) سورة الشعراء : آية ٢١٧-٢١٨
(٦) سورة مريم : آية ٤٢

وجعل عدم الرؤية نوعاً من العذاب الذى ينال الكفار يوم القيامة فقال : {ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً}(١).

والآيات فى هذاالمقام كثيرة جداً ، عميت عنها أبصار أهل الاعتزال وعقولهم ، فلم يهتدوا إليها .

أما إنكار بعضهم رؤيته بالقلوب . فهو أمر انفرد به المعتزلة ولم يشاركهم فيه غيرهم .

ولم يؤثر عن غير المعتزلة خلاف فى رؤيته تبارك وتعالى بالقلوب ، فلو أن القلوب لم تعرفه وتحبه لما ذلت له وعبدته وحده دون سواه ، وكلما زادت معرفة القلب له ازدادت العبادة والطاعة والانقياد له تبارك وتعالى(٢).

وكون قلوب المعتزلة لم تعرف الله ولم تره ، فهذا إخبار عن حالهم ، وهو أمر يختص بهم ليس لهم الحق فى أن يعمموه على غيرهم .

وأما تفسيرهم للرؤية بالعلم أو زيادته ، فهذا فى الحقيقة تعطيل للرؤية التى ثبتت بالنصوص والإجماع والتى علم جوازها بدلائل العقول ، بل المعلوم بدلائل العقول امتناع وجود موجود قائم بنفسه لايمكن تعلقها به(٣).

دعواهم أنه لايمكن الاستدلال عليها بالسمع لأن ذلك ينبنى على العقل ولم يرد دليل سمعى مصرح بإثباتها . هذه دعوى خالفهم فيها أكثر العقلاء ، وليس فى العقل مايحيلها(٤).

وكلام السلف والأئمة كثير جداً فى تقرير وجودها بالسمع وجوازها بالعقل وأن نفيها يلزم منه التعطيل ، لأنه إذا كان موجوداً جازت رؤيته ، لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود دون المعدوم ، والله أحق بالوجود وكماله ، بل وجوده هو الوجود الواجب ، وله الكمال التام فى جميع الأمور

---

(١) سورة الإسراء : آية ٩٧

(٢) رؤية الله تعالى ص١٧٤ بتصرف .

(٣) بيان تلبيس الجهمية ٣٦٠/١ بتصرف .

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢١١ .

الوجودية المحضة ، فهو أحق بأن تجوز رؤيته لكمال وجوده(١).

فالعقل لايمنع جواز رؤية الله كما أن نصوص الشرع جاءت مصرحة بإثباتها خلافاً لمزاعم المعتزلة(٢).

وأما أدلتهم التى زعموا أنها تنفى الرؤية فالرد عليها كما يلى :

ونبدأ بأدلتهم العقلية ، لأن فارس الميدان هنا هو العقل كما كان دوماً ، فلامزاحم له ، ولامعارض ، وقد اعتمدوا من جهته على طريقين فى نفيها، كلاهما ينحدر ليصب فى مصب الجسمية والتشبيه ، إذ العقل عندهم مكبل ومقيد بشبح التجسيم فلاخلاص له منه ، وقد أوصد أمامه المنافذ وأخذ بتلابيبه ، فلامفر له منه ، ولانجاة .

وخلاصة ماذكروا فى دليلى العقل :

(١) إن الشىء إنما يرى إذا كان مقابلاً ، أو حالاً فى المقابل ، أو فى حكم المقابل ، وهذه من صفات الأجسام . وهى ممتنعة فى حق الله لأنه ليس بجسم .

(٢) لكى تصح الرؤية لابد من وجود رائى ومرئى ولاتوجد موانع من حدوث الرؤية بينهما . والموانع ترجع إلى الشعاع الذى هومن صفات الأجسام ، والله ليس بجسم فتمتنع رؤيته لذلك .

أما الإجابة عن الأول :

فإنه يستحيل فى العقول أن تثبت رؤية حقيقية عياناً بغير مقابلة ولاجهة ، لأن ذلك من لوازم الرؤية . وقد أثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤية الله مشبهاً إياها برؤية الشمس والقمر فقال : "إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته"(٣)الحديث .

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٣٥٨،٣٧٥ .

(٢) انظر : رؤية الله تعالى ص٢١٦-٢١٧ .

(٣) الحديث سبق تخريجه انظر ص: ١٩١ .

فشبه الرؤية بالرؤية لاالمرئى بالمرئى ، ونحن إنما نرى الشمس والقمر من فوقنا وبمقابلة ، وكذا المؤمنون يرون ربهم يوم القيامة من فوقهم عياناً . فهو سبحانه إنما يرى من جهة العلو(١).

والجهة لفظ مجمل لم يرد نفيها ولاإثباتها فلها حكم الألفاظ المجملة ، وهو التفصيل ، وقد سبق بيان ذلك(٢).

يقول ابن أبى العز رحمه الله :

"وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية ، لاتشبيه المرئى بالمرئى ، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه .

وإلا فهل تعقل رؤية بلامقابلة؟ ومن قال : يرى لافى جهة فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابراً لعقله وفى عقله شىء ، وإلا فإذا قال يرى لاأمام الرائى ولاخلفه ولاعن يمينه ولاعن يساره ولافوقه ولاتحته ، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة . ولهذا التزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفى الرؤية ، وقالوا : كيف تعقل رؤية بلامقابلة،بغير جهة؟

ويقال لمن قال بنفى الرؤية لانتفاء لازمها وهو الجهة : أتريد بالجهة أمراً وجودياً؟ أو أمراً عدمياً؟ فإن أراد بها أمراً وجودياً كان التقرير : كل ماليس فى شىء موجود لايرى ، وهذه المقدمة ممنوعة ، ولادليل على إثباتها بل هى باطلة ، فإن سطح العالم يمكن أن يرى ، وليس العالم فى عالم آخر . وإن أردت بالجهة أمراً عدمياً ، فالمقدمة الثانية ممنوعة ، فلانسلم أنه ليس فى جهة بهذا الاعتبار"(٣).

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٥٩/١ ، حادى الأرواح ص٢٥٢ ، وانظر : موافقة صحيح المنقول ١٩٢،١٩١/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٦٢ ، رؤية الله تعالى ص٦١ .

(٢) انظر ص ١٥٠ وما بعدها .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٥ .

وأما الإجابة عن الدليل الثانى ، فإن مما لاشك فيه أن القول بخروج شعاع من العين ، أو وروده إليها ، أو مايقع للنفس من حالة خاصة عند مقابلة العين للمرئى سبب للرؤية ، وخالق الأسباب والمسببات إنما هو الله تعالى ، والأسباب التى تحصل بها الرؤية ليست فاعلة ، إنما هى أسباب لها ، مخلوقة لله تعالى ، كما قال تعالى : {والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها}(١)، فإحياء الأرض إنما يكون بوجود الماء المخلوق المنزل ، والفاعل الحقيقى إنما الله الذى أوجد الأسباب ومسبباتها ، لاالسبب المباشر وحده(٢).

ثم لايلزم من وجود ماذكروه من موانع امتناع الإبصار ، ولامن امتناعها وجوده .

ومثال مايؤيد ذلك :

رؤية الجسم الكبير من البعد صغيراً فإن كانت الرؤية لجميع أجزائه ، وجب ألا يرى صغيراً ، وإن لم ير شيئاً من أجزائه ، وجب ألا يرى . وإن رئى بعض أجزائه دون بعض مع أن جميع الأجزاء بالنسبة إلى الموانع أو عدمها سواء لزم عدم الوجوب أو الامتناع(٣).

والمعتزلة إنما قاسوا أمور الآخرة بأمور الدنيا فنفوا وقوع الرؤية فى الآخرة اعتماداً على عدم وقوعها فى الدنيا . فجعلوا موانع وقوعها فى الدنيا موانع لوقوعها فى الآخرة.

وهذا قياس عقلى محض ، وهو باطل ، لأن الحياة الأخرى أمرها يباين الحياة الدنيا . وقد سبق الإشارة إلى ذلك(٤).

ولذا نجد أن السلف قالوا بجواز وقوعها ، مع حكمهم بعدم الوقوع فى الدنيا ، وأجمعوا على حصول ذلك فى الآخرة .

---

(١) سورة النحل : آية ٦٥

(٢) رؤية الله تعالى ص٢٠ بتصرف .

(٣) انظر : الأربعين فى أصول الدين للرازى ص٢١٥ ، رؤية الله تعالى ص٦٨ .

(٤) انظر ص : ١٤١

قال الشاطبي رحمه الله :

"رؤية الله في الآخرة جائزة ، إذ لادليل في العقل يدل على أنه لارؤية إلا على الوجه المعتاد عندنا ، إذ يمكن أن تصح الرؤية على أوجه صحيحة ليس فيها اتصال أشعة ولامقابلة ولاتصور جهة(١)، ولافضل جسم شفاف ولاغير ذلك ، والعقل لايجزم بامتناع ذلك بديهة ، وهو إلى القصور في النظر أميل ، والشرع قد جاء بإثباتها فلامعدل عن التصديق"(٢).

والله سبحانه وتعالى لايرى في الدنيا لأن أبصار الخلق تعجز عن رؤيته فيها لضعفها وعجزها لالامتناع رؤيته ، فهذه الشمس إذا حدق الرائي بصره فيها عجز عن رؤيتها لضعفه عن ذلك وليس لامتناع رؤيتها .

فعدم وقوع الرؤية في الدنيا لايمنع من وقوعها في الآخرة .

ثم إن المعتزلة في الحقيقة إنما قاسوا الله سبحانه بخلقه فأجروا عليه أحكامهم ، وهذا هو التشبيه الذي وصمواغيرهم به ، وأرادوا أن يفروا منه فعطلوا الله عن مايستحقه من الكمال الذي من بينه الرؤية .

هذا عن أدلتهم العقلية التي اعتمدوا عليها اعتماداً كلياً في الاستدلال فنفوا بها رؤية الله تعالى ، وهي لاتصلح للاحتجاج ، وقد وضح من الرد ضعفها ، ومعارضة أدلة العقول السليمة لها .

وأما أدلتهم النقلية التي لجأوا اليها لتأييد ماسبق من شبه عقلية لاتدل على ماذهبوا إليه من نفي الرؤية في الآخرة . ومن المعلوم أن أدلة النقل عندهم تابعة لامتبوعة ، وهم إنما يفرون إليها إذا ألجأتهم الضرورة لذلك واعتقدوا أن فيها مايؤيد مزاعمهم ، وإلا دفعوا في صدورها بالرد والتأويل المتعسف .

---

(١) قوله "ولامقابلة" خلاف ماجاء عن السلف لأنه لارؤية إلا بمقابلة كما سبق ذكره ، والجهة فيها تفصيل سبق بيانه أيضا . انظر ص١٥٠ فما بعدها

(٢) الاعتصام ٢/٣٣٠ .

فمما استدلوا به ولاحجة لهم فيه :

(١) قوله تعالى :

{لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}(١).

ولهم وجهان فى الاستدلال بها كما مر فى العرض ، وخلاصتهما :

الأول : إن الإدراك المقرون بالبصر لايحتمل إلا الرؤية وقد نفى والنفى عام فى جميع الأوقات والأزمان .

الثانى : إن الله تمدح بكونه لايرى - على فهمهم - وماكان عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله عنه .

والجواب عن الوجه الأول :

ليس الإدراك هو الرؤية ، وإنما هو قدر زائد على الرؤية ، لأن الإدراك هو الإحاطة بالشىء ، والله يرى ولايدرك ، كما يعلم ولايحاط به علماً ، قال تعالى : {فلما تراءى الجمعان ، قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين}(٢). فنفى موسى عليه السلام الإدراك مع إثبات الترائى بينهم ، فعلم أنه قد يكون رؤية بلاإدراك ، فقوله سبحانه وتعالى : {لاتدركه الأبصار} يدل على غاية عظمته وأنه أكبر وأجل من أن يدرك بحيث يحاط به ، وليس فى ذلك نفى لرؤيته ، بل فى الآية دليل عليها لأن تخصيص الإدراك وهو الإحاطة بالنفى ، يقتضى أن مطلق الرؤية ليس بمنفى . وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم(٣).

الجواب عن الوجه الثانى :

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) سورة الشعراء : آية ٦١-٦٢

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ١/٥٥٣-٥٥٤ ، حادى الأرواح ص٢١٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٣،١٩٨ ، وانظر مع ذلك : الاعتقاد ص٧٦ ، الفصل فى الملل ٣/٢-٣ ، مجموع الفتاوى ٣/٣٦-٣٧ ، تفسير القرآن العظيم ٢/١٦٢ ، فتح البارى ١٣/٤٢٦ .

إن الله عز وجل ذكر هذه الآية فى سياق المدح لنفسه سبحانه وتعالى ومن المعلوم أن المدح لايكون إلا بالصفات الثبوتية ، وأما النفى أو العدم المحض لايكون فيه مدح إلا إذا تضمن أمراً ثبوتياً ، كمدحه سبحانه وتعالى نفسه بنفى السنة والنوم المتضمن كمال قيوميته ، فلو أن المنفى فى الآية هو الرؤية لما كان فى ذلك مدح ولاكمال لمشاركة المعدوم له فى ذلك لأن المعدوم لايرى . وإنما المدح فى كونه تعالى أنه يرى لأن الرؤية صفة كمال لانقص، ولكنه لعظمته وأنه أكبر من كل شىء فلايدرك ولايحاط به(١).

(٢) قوله تعالى :

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}(٢).

ومختصر أوجه استدلالهم من الآية :

الأول : قوله : "لن ترانى" .

أنكر على موسى طلبه فغيره أولى بالإنكار .

وطلب موسى إنما كان تبكيتاً للذين طلبوا الرؤية فقالوا : {أرنا الله جهرة}(٣)فبين لهم استحالة ذلك بقوله : {لن ترانى} أوطلبه لمعرفة الله ضرورة فأجابه بقوله : {لن ترانى} ليبين له أن مع التكليف لايجوز أن يعرفه باضطرار .

الثانى :إن "لن" تفيد تأبيد النفى ، مثل قوله تعالى : {لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له}(٤).

---

(١) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٥٥٤/١ ، مجموع الفتاوى ٣٦/٣-٣٧ ، حادى الأرواح ص٢١٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢-١٩٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية ١٤٣

(٣) سورة النساء : آية ١٥٣

(٤) سورة الحج : آية ٧٣

وكقوله تعالى : {فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس}(١)الآية .

فقوله : "لن ترانى" تأكيد للنفى فى قوله : {لاتدركه الأبصار}(٢).

الثالث : قوله تعالى : {ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً}.

فإنه تعالى علق الرؤية باستقرار الجبل وهو مستحيل ، فدل على استحالتها.

والمراد بالتجلى : إظهار آياته وقدرته للجبل ، وليس تجلى ذاته ، لأنه يلزم من ذلك أن يندك العرش ، وأن يراه من على الجبل .

الرابع : {وخر موسى صعقاً} .

أى مغشياً عليه كغشية الموت ، ولكزته الملائكة لطمعه فى رؤية ماهو مستحيل عليه.

الخامس : قوله تعالى : {سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين}.

أى أنزهك مما لايجوز عليك من الرؤية ، وأتوب إليك من طلبها وإجراء تلك المقالة العظيمة على لسانى من غير إذن منك ، وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئى .

ويجاب على هذه الأوجه بالآتى :

الوجه الأول :

إن موسى عليه السلام إنماطلب الرؤية لنفسه ولم يطلبها لغيره وذلك فى قوله : {رب أرنى أنظر إليك}(٣)، ولم يطلب عليه السلام شيئاً مستحيلاً ، إنما طلب ماهو جائز فى العقل ، لأنه لايظن بكليم الله ورسوله وأعلم الناس

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٤

(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٣) انظر : الإنصاف لابن المنير مطبوع مع الكشاف ٨٩/٢ .

فى وقته بربه أن يطلب مالايجوز عليه ، بل ذلك محال(١).وقول الله له"لن ترانى" : أى فى الدنيا لأن بصر موسى عليه السلام لايحتمل رؤية الله فى هذه الدنيا وهذا بخلاف حكم الآخرة(٢).

ثم ان تبكيت موسى عليه السلام لبنى إسرائيل ليس لأنهم طلبوا ماهو مستحيل فى حق الله بل إنما طلبوا ذلك تعنتاً وعناداً وإنكاراً للإيمان بنبوة موسى عليه السلام .

قال أبو الحسن الأشعرى رحمه الله :

"إن بنى إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى ، وترك الإيمان به حتى يروا الله ، لأنهم قالوا : {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}(٣)، فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتاباً من السماء(٤)من غير أن يكون ذلك مستحيلاً ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبى الله حتى ينزل عليهم من السماء كتاباً"(٥).

وقال ابن المنير رحمه الله :

"إن الله تعالى أخبر أنها ـ أى الرؤية ـ لاتقع فى دار الدنيا ، والخبر صدق ، وذلك بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم

---

(١) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٥٥/٧ ، زاد المسير ١٧٤/٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١ ، لوامع الأنوار ٢٨٥/٢ .

(٢) انظر : الرد على الجهمية للدارمى ص٥٥،٥٦ ، زاد المسير ١٧٤/٣ ، فتح البارى ٤٢٦/١٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٥٥

(٤) وذلك فى قوله تعالى : {يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة} . سورة النساء : آية ١٥٣

(٥) الإبانة فى أصول الديانة ص١٥ .

وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيباً للخبر فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ماأخبر الله أنه لايقع ، ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل إخبار الله تعالى بعدم وقوعها فإنما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الإيمان عليها حيث قالوا : {لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة}(١)، ألا ترى أن قولهم {لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً}(٢)إنما سألوا جائزاً ومع ذلك قرعوا به لاقتراحهم على الله مالايتوقف وجوب الإيمان عليه"(٣).

ثم الزعم بأنه عليه السلام إنما طلب النظر إلى آية عظيمة أو إلى قدرة الله لكى يتعرف من خلال ذلك على الله ، إنما زعم باطل وادعاء لادليل عليه، بل هو مخالف لقوله تعالى "أنظر اليك" .

قال القرطبى رحمه الله :

"ولايجوز الحمل على أنه أراد أرنى آية عظيمة لأنظر إلى قدرتك ، لأنه قال "إليك" ، و"قال لن ترانى" . ولو سأل آية لأعطاه الله ماسأل ، كما أعطاه سائر الآيات . وقد كان لموسى عليه السلام فيها مقنع عن طلب آية أخرى ، فبطل هذا التأويل"(٤).

الوجه الثانى :

دعواهم أن "لن" تفيد تأبيد النفى على الدوام ، وأن ذلك ينفى رؤية الله فى الآخرة. دعوى فاسدة ، لأن "لن" لاتفيد النفى على الدوام ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت؟ قال سبحانه : {ونادوا يامالك ليقض علينا ربك}(٥)فقد تمنوا الموت بعد قوله تعالى : {ولن يتمنوه أبدا}(٦). فلو كانت

---

(١) سورة البقرة : آية ٥٥

(٢) سورة الإسراء : آية ٩٠

(٣) الإنصاف لابن المنير على هامش الكشاف ٨٩/٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ .

(٥) سورة الزخرف : آية ٧٧

(٦) سورة البقرة : آية ٩٥

تفيد النفى على الدوام مع اقترانه بالتأبيد لتناقض الكلام(١). لأن التأبيد قد يراد به التأبيد المقيد أو التأبيد المطلق ، فالمقيد كالتأبيد بمدة الحياة كقولك والله لاأكلمه أبداً ، والمطلق كقولك والله لاأكفر بربى أبداً(٢).

قال ابن مالك مبيناً خطأ المعتزلة فيما ذهبوا إليه :

ومن رأى النفى بلن مؤبداً فقوله اردد وسواه فاعضدا(٣)

وقال صاحب النحو الوافى :

"لن : وهو حرف يفيد النفى بغير دوام ولاتأبيد إلا بقرينة خارجة عنه فإذا دخل على المضارع نفى معناه فى الزمن المستقبل المحض ـ غالباً ـ نفياً مؤقتاً يقصر أو يطول من غير أن يدوم ويستمر ، فمن يقول : لن أسافر ، أو لن أشرب ، أو لن أقرأ غداً ، أو نحو هذا ، فإنما يريد نفى السفر ـ أو غيره ـ فى قابل الأزمنة مدة معينة ، يعود بعدها إلى السفر ونحوه ، إن شاء ، ولايريد النفى الدائم المستمر فى المستقبل ، إلا إن وجدت قرينة مع الحرف "لن" تدل على الدوام والاستمرار ، يدل على هذا قوله تعالى : {فلن أكلم اليوم إنسياً}(٤). فلو كانت "لن" تفيد تأبيد النفى فى المستقبل المحض الخالص لوقع التعارض بينها وبين كلمة "اليوم" فى الآية ، لأن اليوم محدد معين ، وهى غير محددة ولامعينة ، ولوقع التكرار المعيب فى قوله تعالى : {فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبداً}(٥)، فما فائدة كلمة أبداً التى تدل على التأبيد إن كانت "لن" تدل عليه؟

أما التأبيد فى قوله تعالى : {إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له}(٦). فبسبب قرينة خارجية ، هى العلم القاطع المستمد

---

(١) انظر : بدائع الفوائد ٩٦/١-٩٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢ .
(٢) بدائع الفوائد ٩٧/١ بتصرف .
(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٢ .
(٤) سورة مريم : آية ٢٦
(٥) سورة البقرة : آية ٩٤ - ٩٥
(٦) سورة الحج : آية ٧٣

من المشاهدة الصادقة الدائمة"(١).

وأما استدراك الزمخشرى فى قوله : "ولكن انظر إلى الجبل" يأتى بيانه فى الوجه الذى يليه .

الوجه الثالث :

إن الله علق وقوع الرؤية باستقرار الجبل وذلك ممكن وجائز وليس بممتنع ، وماعلق على الممكن فهو ممكن ، ولو كانت محالاً لما علقها على الممكن وإنما كان يعلقها على محال ، كأن يقول : إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام(٢).

ومن ذلك أن الله علق دخول الكفار الجنة بمستحيل فى قوله : {حتى يلج الجمل فى سم الخياط}(٣)، فدل على استحالة دخولهم فيها ، وهذا بخلاف الرؤية(٤).

وماذكره عبد الجبار من استدراكات حول قوله تعالى : {فلما تجلى ربه للجبل} ، يجاب عليها بالآتى :

قوله "تجلى" قال القرطبى : "معناه ظهر من قولك جلوت العروس أى أبرزتها ، وجلوت السيف : أبرزته من الصدأ جلاء فيهما"(٥).

لقد تجلى الله للجبل وظهر له وأراد بذلك أن يضرب مثالاً لموسى عليه السلام بما هو أقوى من بنيته وأثبت ، فإن استقر الجبل وثبت لرؤيته فسوف يراه موسى ، ولكن الجبل مع قوته لم يطق رؤية الله تعالى فمن باب أولى موسى عليه السلام(٦).

---

(١) النحو الوافى ٢٩٩/٤ .

(٢) انظر : حادى الأرواح ص٢١٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩١-١٩٢ ، الإنصاف ٩١/٢ .

(٣) سورة الأعراف : آية ٤٠

(٤) انظر : زاد المسير ١٧٤/٣ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ ، وانظر مادة جلى فى القاموس المحيط ص١٦٤٠-١٦٤١ .

(٦) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ .

وأما القول بأن المراد بالتجلى إظهار القدرة فهذا تأويل مخالف لنص الآية ومخالف لما جاء عن جمهور المفسرين فى أن المراد بالتجلى الظهور .

وقول عبد الجبار : "لو أراد به تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى" .

الصواب خلافه فلو لم يرد تجلى ذاته لم يكن لذلك معنى ، لأن موسى عليه السلام لم يطلب رؤية القدرة وإنما طلب رؤية الذات ، وقد رأى موسى عليه السلام كثيراً من آثار قدرته تعالى .

وقوله : "لو أراد تجلى بمعنى المقابلة لوجب أن لايستقر له مكان بل كان يجب فى العرش أن يصير دكاً ، وأن يكون بهذه الصفة أحق". قول ضعيف جداً ، لأن الله سبحانه قد خلق العرش لهذا الشأن وجعل فيه من القوة والتحمل مايصمد لذلك ، ومثله الكرسى والحجاب .

وقوله : "ولو كان فى الحقيقة تجلى للجبل ، بمعنى أنه أظهر وزال الحجب ، لكان من على الجبل يراه أيضاً ، فكان لايصح مع ذلك قوله : "لن ترانى" وكان لايصح أن يعلق نفى الرؤية بأن لايستقر الجبل ، والمعلوم أنه لايستقر بأن ينكشف ويرى ، لأن ذلك فى حكم أن يجعل الشرط فى أن لايرى مايوجب أن يرى ، وذلك متناقض" .

ويجاب على ذلك بالآتى :

قال سبحانه : {وإذ يريكموهم إذ التقيتم فى أعينكم قليلاً ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً}(١).

فإذا جاز أن يقلل الكثير فى العين الصحيحة جاز مع صحتها وارتفاع الموانع أن نراه سبحانه .

فيحق القول بحصول تجلى ذاته للجبل ووجود مانع من رؤيته لما سواه، لأنه قد قضى بأنه لايرى فى الدنيا . ولاتناقض فيما يزعمه لأن الشرط فى الرؤية وعدمها استقرار الجبل وعدمه لاالانكشاف ، وهذا ظاهر(٢).

---

(١) سورة الأنفال : آية ٤٤

(٢) رؤية الله تعالى ص٨٧-٨٩ بتصرف .

الوجه الرابع :

إن موسى عليه السلام لما رأى الجبل صار دكاً وقع مغشياً عليه من هول مارأى ، ولم يمت بدليل قوله تعالى : {فلما أفاق} والإفاقة لاتكون إلا عن غشى(١).

وقيل إنه رأى الله فلذلك خر صعقاً ولكن فى ذلك ضعف،(٢)مع مخالفته لقوله "لن ترانى".

وأما ماذكره الزمخشرى من حكاية لكز الملائكة لموسى أجاب عن ذلك ابن المنير فقال :

"فهذه حكاية إنما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذها عوناً وظهراً على المعتقد الفاسد . والوجه التورط بالغلط على ناقلها ، وتنزيه الملائكة عليهم السلام من إهانة موسى صفى الله وكليمه بالوكز بالرجل والغمص فى الخطاب"(٣).

وقد سبق بيان أن موسى عليه السلام لايطلب مستحيلاً على الله لايجوز ، وذلك لمعرفته بربه(٤).

الوجه الخامس :

لقد ذكر العلماء أقوالاً فيما تاب منه موسى عليه السلام :

أحدها : عن سؤاله الرؤية .

الثانى : الإقدام عن المسألة قبل الإذن فيها .

الثالث : اعتقاد جواز رؤيته فى الدنيا(٥).

ويمكن أن يجمع بين هذه الأقوال : بأن موسى عليه السلام سأل ربه الرؤية لاعتقاده بجواز وقوعها فى الدنيا وأنها ليست بمستحيلة ، ولكن الله

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٢٤٥/٢ .

(٢) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٧ ، رؤية الله تعالى ص٤٦ .

(٣) الإنصاف على هامش الكشاف ٩١/٢ .

(٤) انظر ص : ١٨٥

(٥) زاد المسير ١٧٤/٣ بتصرف .

عز وجل بين له أنه لايمكنه أن يراه فى الدنيا لعدم استطاعته ذلك ، عندئذ سبح الله ونزهه عن أن يرى فى الدنيا ، وتاب عن سؤاله ذلك بغير إذن من الله ثم بين بأنه أول المؤمنين المعتقدين بأنه لايرى فى الدنيا .

قال ابن كثير رحمه الله :

("قال سبحانك" تنزيهاً وتعظيماً وإجلالاً أن يراه أحد فى الدنيا إلا مات) .. (وأنا أول المؤمنين) أنا أول من آمن بك أنه لايراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة . وهذا قول حسن له اتجاه)(١).

وقال ابن المنير رحمه الله :

"... وأما تسبيح موسى عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية فى الدنيا والله تعالى مقدس عن وقوع خلاف معلومه ، وعن الخلف فى خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين أن مطلوبه كان خلاف المعلوم سبح الله وقدس علمه وخبره عن الخلف .

وأما التوبة فى حق الأنبياء ، فلاتستلزم كونها عن ذنب ، لأن منصبهم الجليل ينبغى أن يكون منزهاً مبرأ من كل ماينحط به ، ولاشك أن التوقف فى سؤال الرؤية على الإذن كان أكمل"(٢).

فتوبة موسى عليه السلام لم تكن عن معصية بإجماع الأمة ، لأن الأنبياء معصومون ، إضافة إلى أن الرؤية جائزة كما هو منهج أهل السنة والجماعة(٣).

وأما قول الزمخشرى : "ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولايغرنكم تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم . والقول ماقال بعض العدلية فيهم". فذكر الأبيات السابقة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٤٥ .

(٢) الإنصاف على هامش الكشاف ٢/٩١-٩٢ .

(٣) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٧٩ .

هـذا القـول من الزمخشرى عظيمـة مـن عظائمه التى سـود بهـا كتـابه ، وشهد بها على نفسه أنه ليس من أهل السنة والجماعة ، فبئس القول وبئست الشهادة .

والمعتزلة أولى بالذم ، لأنهم خاضوا فى دين الله بعقـولهم وأهوائهم ، فأولوا آيات كتاب ربهم وردوا أحاديث نبيهـم ثم لم يقفـوا عنـد ذلك الحد حتى حملـوا على أتباع الرسـول صلى الله عليه وسلم وجنـد الإيمان فـرموهم بكـل داهيـة ونبـة ، فياعجبـاً مـن هؤلاء الذين انغمسـوا فى ظلمـات البـدع والضلال {وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً}(١).

ورحم الله ابن المنير الذى كال لهم الصاع صاعين ، فقال :

وجماعة كفروا برؤية ربهم
حقاً ووعد الله مالن يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا أجل
عدلوا بربهم فحسبهموا سفه
وتلقبوا الناجين كلا إنهم
إن لم يكونوا فى لظى فعلى شفه(٢)

---

(١) سورة الكهف : آية ١٠٤

(٢) الإنصاف على هامش الكشاف ٢/٩٢ .

الجواب على شبهاتهم حول أدلة إثبات الرؤية :

المثال الأول : قوله تعالى : {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}(١).

واعتراضات أهل الاعتزال على هذه الآية تتلخص فيما يأتى :

أن ظاهرها يقتضى التشبيه ، وأنها من المتشابه ، فيجب أن تأول ، ثم أولوها بالآتى :

(١) النظر غير الرؤية وهو طلب الرؤية .

والمراد فى الآية النظر إلى الثواب كقوله : {واسأل القرية}(٢)، فحذف المضاف .

(٢) النظر يطلق على معانى :

فيراد به طلب الرؤية والانتظار ويراد به التفكر بالقلب .وهو محتمل فى الآية لهذه المعانى .

(٣) أراد بذكر الوجوه جملة الإنسان لاالبعض المخصوص .

ففى الكلام إجمال لأن الجملة إذا وصفت بأنها ناظرة لم يفهم أن المراد به الرؤية.

(٤) المراد بالنظر : التوقع والرجاء .

(٥) المراد ب"إلى"واحدة الآلاء وهى النعم .

ويجاب على ذلك بالآتى :

أولا : زعمهم أن ظاهرها يقتضى التشبيه ، وأنها من المتشابه ، تلك شنشنة طالما سمعناها من أخزم(٣)، فإن أصحاب البدع والأهواء إذا وقفوا على النصوص التى تخالف بدعهم صراحة ضربوا وجوهها بهذين الدائين ، التشبيه والمتشابه ، وحاشا نصوص الكتاب والسنة أن يفيد ظاهرها التشبيه ، وقد سبق إيضاح ذلك فى الحديث عن الصفات بما لايحتاج إلى مزيد (٤)

---

(١) سورة القيامة : آية ٢٢،٢٣

(٢) سورة يوسف : آية ٨٢

(٣) هذا مثل يضرب فى قرب الشبه . مجمع الأمثال للميدانى ٢/١٥٥-١٥٦ .
وانظر كتاب الأمثال لأبى عبيد ص١٤٤ مع الهامش .

(٤) انظر ص١٥٤ فما بعدها .

وموضوع المتشابه والمحكم سبق بيانه أيضا(١)، والأمر ليس مطلقا على عواهنه فكلما جاء أحد إلى نص ما فوجده خلاف مراده أو جهل تفسيره ، أو قامت شبهة فى ذهنه رماه بأنه متشابه وأنه يدل على التشبيه ، فلو كان الأمر كذلك ماسلم لنا نص من النصوص لافى جانب التوحيد ولاالنبوات ولاالمعاد ، ولبطل الاستدلال بها على جميع أمور الدين ، ولفتح الباب على مصراعيه للزنادقة وأعداء الإسلام فانتهكوا حرمة نصوص الوحى وأبدلوا الحق باطلاً والهدى ضلالاً .

ثانياً : إن هذه الآية من أقوى الأدلة على إثبات رؤية الله فى الآخرة فإذا سلط عليها أهل الاعتزال معاول التأويل والتحريف فغيرها من باب أولى أن يحرف ويأول .

يقول ابن القيم رحمه الله فى هذه الآية :

"وأنت إذا جردت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً أن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة ، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المحرفون تأويلاً فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها ، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ، ولايشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ماوجده متأول مثل هذه النصوص ، وهذا الذى أفسد الدين والدنيا"(٢).

وقال ابن أبى العز : "هكذا فعلت اليهود والنصارى فى نصوص التوراة والإنجيل ، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم . وأبى المبطلون إلا سلوك سبيلهم ، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية ...

---

(١) انظر ص : ١٦٢ فما بعدها .

(٢) حادى الأرواح ص٢١٨-٢١٩ .

وهـل خرجت الخوارج واعتزلـت المعتزلـة ، ورفضـت الـروافض ، وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، إلا بالتأويل الفاسد؟"(١)

فتـأويل المعتزلة لهذه الآية هو تحريف لكلام اللـه عن مواضعه ، لأن التأويل الصحيح هو الذى يوافق ماجاءت به السنة ، والفـاسد المخالف له ، فكل تأويل لم يدل عليه سياق النص ، ولامعه قرينة تقتضيـه فهو ليس مراد الله ولارسوله صلى الله عليه وسلم(٢).

والـذى يستعجـب لـه الإنسـان ويستغـرب جرأة هـؤلاء المعتزلـة على النصوص ، فإنه يسهل على أحدهم أن يحرف النص ويأوله تأويلاً فاسداً ثم يزعم أن ذلك مراد الله ، وأنه التفسير الصحيح الذى لاتفسير غيره .

ورحم الله الإمام الطحاوى الذى يقول :

"والـرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطـة ولاكيفية ، كمـا نطق به كتاب ربنـا {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربهـا ناظرة} ، وتفسيره على مـاأراد اللـه تعالى وعلمـه ، وكل ماجاء فى ذلـك من الحديث الصحيح عـن الـرسول صلى الله عليـه وسلم فهـو كما قال ، ومعنـاه على مـاأراد ، لاندخل فى ذلـك متـأولين بآرائنـا ولامتـوهمين بأهوائنـا ، فإنه ماسلم فى دينه إلا مـن سلم للـه عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ورد علم مااشتبه عليه إلى عالمه"(٣).

وأما الجواب على تأويلات المعتزلة التى صرفوا بهـا مراد الله من الآية يقال لهم فى ذلك :

(١) قولكم إن المراد فى الآية النظر إلى الثواب ، قول فاسد جداً ، وحمل للكلام على غير ظاهره الذى وضع له فى اللغة من غير دليل يدل على ذلك(٤).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٩ .
(٢) انظر المرجع السابق ص١٩٨ .
(٣) متن العقيدة الطحاوية ص١٠ .
(٤) انظر : الفصل فى الملل ٣/٣ .

قال أبو الحسن الأشعرى رحمه الله :

"ثواب الله عز وجل غيره تعالى ، والله تعالى قال : {إلى ربها ناظرة} ولم يقل إلى غيره ناظرة ، والقرآن على ظاهره وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة، وإلا فهو على ظاهره ، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال صلوا لى واعبدونى لم يجز أن يقول قائل : إنه أراد غيره ويزيل الكلام عن ظاهره ، فلذلك لما قال : {إلى ربها ناظرة} لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة ، ثم يقال للمعتزلة : إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله عز وجل {إلى ربها ناظرة} إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة ، فلم ماجاز لغيركم أن يقول إن قول الله عز وجل : {لاتدركه الأبصار}(١) أراد بها لاتدرك غيره ولم يرد أنها لاتدركه وهذا مالايقدرون على الفرق فيه"(٢).

(٢) قولهم إن النظر يطلق على معانى ، وهو محتمل فى الآية لهذه المعانى .

يقال لهم : لاشك إن النظر له عدة معانى واستعمالات على حسب صلاته وتعديه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله : {انظرونا نقتبس من نوركم}(٣)، وإن عدى بفى فمعناه التفكر والاعتبار كقوله : {أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض}(٤)، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله : {انظروا إلى ثمره إذا أثمر}(٥)(٦).

قال ابن القيم : "وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله فى هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة فى نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته وموضوعه ، صريح فى أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه إلى

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) الإبانة فى أصول الديانة ص١٣ .

(٣) سورة الحديد : آية ١٣

(٤) سورة الأعراف : آية ١٨٥

(٥) سورة الأنعام : آية ٩٩

(٦) حادى الأرواح ص٢١٩ بتصرف . وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٠ .

نفس الرب جل جلاله"(١).

قال البيهقى رحمه الله :

"قال الله عز وجل : {وجوه يومئذ} يعنى يوم القيامة ، "ناضرة" يعنى مشرقة ، "إلى ربها ناظرة" وليس يخلو النظر من وجوه : إما أن يكون الله عز وجل عنى به نظر الاعتبار كقوله : {أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت}(٢)، أويكون عنى به نظر الانتظار كقوله : {ماينظرون إلا صيحة واحدة}(٣)، أو يكون عنى نظر التعطف والرحمة كقوله : {لاينظر إليهم}(٤)، أو يكون عنى الرؤية كقوله : {ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت}(٥).

ولايجوز أن يكون الله سبحانه عنى بقوله "إلى ربها ناظرة" نظر التفكر والاعتبار لأن الآخرة ليست بدار استدلال واعتبار وإنما هى دار اضطرار ، ولايجوز أن يكون عنى نظر الانتظار ، لأنه ليس فى شىء من أمر الجنة انتظار لأن الانتظار معه تنقيص وتكدير ، والآية خرجت مخرج البشارة ... ولأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجوه فمعناه نظر العينين اللتين فى الوجه ، كما قال تعالى : {قد نرى تقلب وجهك فى السماء}(٦)، وأراد بذلك تقلب عينيه نحو السماء ، ولأنه قال : "إلى ربها ناظرة" ونظر الانتظار لايكون مقروناً بإلى لأنه لايجوز عند العرب أن يقولوا فى نظر الانتظار "إلى" ألا ترى أن الله عز وجل لما قال : {ماينظرون إلا صيحة واحدة}(٧)لم يقل "إلى" إذ كان معناه الانتظار ، وقالت بلقيس فيما أخبر الله عنها : {فناظرة بم يرجع

---

(١) حادى الأرواح ص٢١٩ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٨٩ .
(٢) سورة الغاشية : آية ١٧
(٣) سورة يس : آية ٤٩
(٤) سورة آل عمران : آية ٧٧
(٥) سورة محمد : آية ٢٠
(٦) سورة البقرة : آية ١٤٤
(٧) سورة يس : آية ٤٩

المرسلون}(١)، فلما أرادت الانتظار لم تقل "إلى" ، قلنا : ولايجوز أن يكون الله سبحانه أراد نظر التعطف والرحمة ، لأن الخلق لايجوز أن يتعطفوا على خالقهم ، فإذا فسدت هذه الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر وهو أن معنى قوله : "إلى ربها ناظرة" أنها رائية ترى الله عز وجل"(٢).

(٣) لم يرد بذكر الوجوه جملة الإنسان ، لأنه لادليل يدل على ذلك ، ولاضرورة تدعو إلى حمل الوجوه على جملة الإنسان .

فالأولى فى ذلك حمل الأمور على معهودها فى اللغة مالم يمنع من ذلك نص أو إجماع أو ضرورة ، ولم يأت نص ولاإجماع ولاضرورة تمنع ماذكرنا فى معنى النظر(٣).

فذكر الوجوه فى الآية لأن بها العينين اللتين يكون بهما النظر .

(٤) قولهم المراد : التوقع والرجاء.

أجيب على ذلك بما ذكر فى جواب الوجه الثانى .

(٥) قولهم : إن المراد بذلك واحدة الآلاء وهى النعم .

أجاب عن ذلك الإمام ابن حزم رحمه الله بوجهين :

"أحدهما : إن الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهى النعمة، والنعمة نعمة ، فإذا حصلت لها النعمة فبعيد أن ينتظر ماقد حصل لها وإنما ينتظر مالم يقع بعد .

والثانى : تواتر الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم ببيان أن المراد بالنظر هو الرؤية لاماتأوله المتأولون"(٤).

---

(١) سورة النمل : آية ٣٥

(٢) الاعتقاد ص٧٤-٧٥ .

(٣) الفصل فى الملل ٣/٣-٤ بتصرف .

(٤) المرجع السابق ٣/٣ .

المثال الثانى :

روى البخارى بسنده إلى قيس بن أبى حازم عن جرير قال : "كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته ، فإن استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا"(١).

وقد رد المعتزلة على الحديث بأوجه يمكن أن نلخصها فى الآتى :

(١) إنه يتضمن الجبر والتشبيه .

(٢) يجب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله بل هو كذب عليه.

(٣) إن قاله فإنما قاله على سبيل الحكاية .

(٤) مروى عن قيس بن أبى حازم وهو مطعون فيه من وجهين :

(أ) إنه كان يرى رأى الخوارج .

(ب) إنه خولط فى عقله آخر عمره .

(٥) إنه خبر آحاد لايقتضى العلم والرؤية طريقها القطع .

(٦) إنه معارض بأخبار :

(أ) عن أبى ذر أنه قال :

قلت للنبى : "هل رأيت ربك"؟ فقال : "نور هو ، أنى أراه" . أى : أنور هو؟ كيف أراه؟"(٢).

(ب) عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يرى الله أحد فى الدنيا ولافى الآخرة".

(٧) المراد بالرؤية فى الحديث العلم أو المعرفة وليست رؤية البصر .

ويجاب على ماذكروا بما يأتى :

---

(١) سبق تخريج الحديث . انظر ص : ١٩١

(٢) سبق تخريجه . انظر ص : ١٨٤

(١) زعمهم أنه يفيد التشبيه :

يرد عليه نص الحديث فقد قال صلى الله عليه وسلم : "إنكم سترون ربكم كما ترون القمر" فلم يشبه الله عز وجل بالقمر ، وإنما شبه رؤيته برؤية القمر ، فكاف التشبيه دخلت على "ما" المصدرية أو الموصولة بترون التى تتأول مع صلتها إلى المصدر الذى هو الرؤية . فيكون بذلك قد شبه الرؤية بالرؤية لاالمرئى بالمرئى(١).

(٢) زعمهم بوجوب القطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقله وأنه كذب عليه ، يجاب عنه بما يلى :

أولاً : لقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وأجمع الصحابة والذين من بعدهم على إثبات رؤية الله فى الآخرة للمؤمنين(٢).

ثانياً : إن الأحاديث التى دلت على ثبوت الرؤية تبلغ حد التواتر أخرجها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد واعتنى بجمعها أئمةمن العلماء كالدارقطنى وأبى نعيم الأصبهانى وأبى بكر الآجرى وغيرهم الكثير(٣).

قال الحافظ ابن حجر :

"جمع الدارقطنى طرق الأحاديث الواردة فى رؤية الله تعالى فى الآخرة فزادت على العشرين ، وتتبعها ابن القيم فى حادى الأرواح فبلغت الثلاثين وأكثرها جياد ، وأسند الدارقطنى عن يحي بن معين(٤)قال :

---

(١) انظر موافقة صحيح المنقول ١٩١/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢١١ .

(٢) انظر : شرح النووى على مسلم ١٥/٣ .

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية ٣٤٨/١ .
وقد نص على تواتر أحاديث الرؤية جماعة من العلماء . انظر :
مجموع الفتاوى ٣٩٠/٣ ، حادى الأرواح ص٢١٩،٢٥١ ، تفسير القرآن العظيم ١٦١/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٣ .

(٤) يحي بن معين :
هو يحي بن معين بن عون الغطفانى مولاهم ، أبو زكريا البغدادى ، ثقة حافظ مشهور . إمام الجرح والتعديل . روى عن ابن المبارك ، وهشيم ، وابن عيينة . وعنه الإمام أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، وخلق . مات بالمدينة سنة ٢٣٣هـ . =

"عندى سبعة عشر حديثاً فى الرؤية صحاح"(١).

ثالثاً : لقد تلقى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم بإحسان وسلف الأمة وأئمتها أحاديث الرؤية بالقبول وعدم الإنكار ، واتفق عليها أهل السنة والجماعة(٢).

وقد ذكر النووى رحمه الله أنه رواها نحواً من عشرين صحابياً(٣)، وعد ابن القيم رحمه الله من رواها فبلغوا سبعة وعشرين رجلاً من الصحابة رضى الله عنهم(٤). بل لم يرو عن أحد منهم نفى حديث منها ، فكانوا على إثباتها مجتمعين متفقين(٥).

قال على بن المدينى : "سألت عبد الله بن المبارك عن رؤية الله تعالى فقال : ماحجب الله عز وجل أحدا إلا عذبه، ثم قرأ : {كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون}(٦). قال : الرؤية .

فقلت له ياأبا عبد الله : إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، وأهل الجنة يرون ربهم ، فحدثنى بنحو عشرة أحاديث فى هذا ، وقال : أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين ، والتابعون أخذوه عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم عمن أخذوه؟"(٧)

= انظر : الطبقات الكبرى ٣٥٤/٧ ، الجرح والتعديل ١٩٢/٩ ، تاريخ بغداد ١٧٧/١٤-١٨٧ ، تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢-٤٣١ ، ميزان الاعتدال ٤١٠/٤ ، الكاشف ٢٦٨/٣-٢٦٩ ، تهذيب التهذيب ٢٨٠/١١-٢٨٨ ، تقريب التهذيب ٣٥٨/٢ .

(١) فتح البارى ٤٣٤/١٣ .

(٢) انظر : الفصل فى الملل ٤/٣ ، مجموع الفتاوى ٣٩١/٣ ، فتح البارى ٤٢٦/١٣ .

(٣) انظر : شرح النووى على مسلم ١٥/٣ .

(٤) انظر : حادى الأرواح ص٢١٩ .

(٥) انظر : الاعتقاد ص٨٢ .

(٦) سورة المطففين : آية ١٥-١٧

(٧) لوامع الأنوار ٢٤٥/٢ .

قال عباد بن العوام(١): قدم علينا شريك(٢)فقلنا : إن قوماً ينكرون هذه الأحاديث : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا ، والرؤية ،وماأشبه هذه الأحاديث! فقال : "إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاءنا بالسنن فى الصلاة والزكاة والحج وإنما عرفنا الله بهذه الأحاديث"(٣).

قال حنبل(٤): قلت لأبى عبد الله ـ يعنى أحمد ـ فى الرؤية . قال : "أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر وكلما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم بأسانيد جيدة نؤمن به ونقر"(٥).

وقال ابن القيم رحمه الله فى أحاديث الرؤية :

---

(١) عباد بن العوام :
هو عباد بن العوام بن عمر الكلابى مولاهم ، أبو سهل الواسطى ، ثقة . حدث عن أبى مالك الأشجعى ، وابن عون ، وأبى إسحاق الشيبانى . وعنه الإمام أحمد وعمرو الناقد وغيرهم . مات سنة ١٨٥هـ أو بعدها.
انظر : تاريخ بغداد ١٠٤/١١-١٠٥ ، تذكرة الحفاظ ٢٦١/١ ، تهذيب التهذيب ٩٩/٥ تقريب التهذيب ٣٩٣/١ .

(٢) شريك :
هو شريك بن عبد الله النخعى الكوفى ، القاضى بواسط ، ثم الكوفة أبو عبد الله ، صدوق ، يخطىء كثيراً ، تغير حفظه منذ ولى القضاء بالكوفة ، وكان عادلاً فاضلاً عابداً ، شديداً على أهل البدع . مات سنة ١٧٧هـ أو ١٧٨هـ .
انظر : الجرح والتعديل ٣٦٥/٤ ، تاريخ بغداد ٢٧٩/٩ ، ميزان الاعتدال ٢٧٠/٢ تذكرة الحفاظ ٢٣٢/١ ، تهذيب التهذيب ٣٣٣/٤ ، تقريب التهذيب ٣٥١/١ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٤/٢ .

(٤) حنبل :
هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد ، أبو على الشيبانى ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه ، إمام ، حافظ ، ثقة ،مصنف .
سمع سليمان بن حرب ، وأبى نعيم ، والحميدى . وعنه ابن صاعد ، وأبو بكر الخلال وآخرون . مات سنة ٢٧٣هـ .
انظر : تاريخ بغداد ٢٨٦/٨-٢٨٧ ، تذكرة الحفاظ ٦٠٠/٢-٦٠١ ، سير أعلام النبلاء ٥١/١٣-٥٣ .

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٠٧/٢ .

"فإن الذى جاء بهذه الأحاديث هو الذى جاء بالقرآن والشريعة ، والذى بلغها هو الذى بلغ الدين ، فلايجوز أن يجعل كلام الله ورسوله عضين(١) بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها ، فلايجتمع فى قلب العبد بعد الاطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول الله أبدا"(٢).

(٣) قول عبد الجبار :

"وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم ، والراوى حذف الحكاية ونقل الخبر" .

هذه مجرد دعوى لاتستند على دليل ، ولم ترد فى رواية من روايات الحديث المتعددة ، فإنها لو كانت صحيحة لذكرت ولو مرة واحدة فى طريق من طرقه فدل ذلك على بطلانها(٣).

(٤) وأما طعنهم فى قيس بن أبى حازم ، فإنه يرد عليه بالآتى :

أولاً :إن قيساً رحمه الله من ثقات رواة الحديث وقد وثقه جهابذة العلماء ، وإليك طرفاً من أقوالهم فيه :

وصفه الذهبى رحمه الله فقال :

"العالم الثقة الحافظ أبو عبد الله البجلى ... أسلم وأتى النبى صلى الله عليه وسلم ليبايعه فقبض نبى الله وقيس فى الطريق ، ولأبيه أبى حازم صحبة وقيل : إن لقيس صحبة، ولم يثبت ذلك ، وكان من علماء زمانه".

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله :

"ماكان بالكوفة أحد أروى عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قيس بن أبى حازم".

وقال أبو داود رحمه الله :

---

(١) عضين : أى جزأ مفرقاً .
انظر : القاموس المحيط ص١٦٩٢ .

(٢) حادى الأرواح ص٢٥٢ .

(٣) انظر : رؤية الله تعالى ص٢٣١ .

"أجود التابعين إسناداً قيس".

وقال يحي بن معين رحمه الله :

"قيس بن أبى حازم أوثق من الزهرى ، ومن السائب بن يزيد" . وكذا وثقه غير واحد"(١).

ثانياً : أخرج له البخارى ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستةوغيرهم(٢). ولو كان مطعوناً فيه لما أخرج له صاحبا الصحيحين فى أصولهما .

ثالثاً : حديث قيس السابق أخرجه البخارى فى صحيحه ، ويكفى ذلك لصحته وتوثيق رواته ، وهو القائل : "ماأدخلت فى كتاب الجامع إلا ماصح"(٣).

رابعاً : لم ينفرد قيس عن جرير رضى الله عنه بذكر الرؤية وإنما تواترت الأحاديث عن جمع من الصحابة منهم أبو سعيد وأبو هريرة وأنس وصهيب وبلال وغير واحد(٤).

خامساً :إن قيساً رحمه الله لم يكن يحمل على على رضى الله عنه كما يدعى عبد الجبار ، بل المشهور عنه أنه كان يقدم عثمان عليه(٥). وهذا قول جمهور أهل السنة وكافة أهل الحديث والفقه فإنهم يقدمون عثمان على على رضى الله عنهما ، وفى ذلك قول ابن عمر "كنا نخير بين الناس فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضى الله عنهم"(٦). فلم يأت قيس بمنكر من القول حتى يكون سبباً

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٩٨/٤-٢٠٠ .

(٢) انظر : تقريب التهذيب ١٢٧/٢ .

(٣) انظر : تدريب الراوى ٩٨/٢ .

(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ١٦١/٢ ، وقد سبق بعض تلك الأحاديث . انظر ص: ١٩٠ وما بعدها.

(٥) انظر : سير أعلام النبلاء ١٩٩/٤ .

(٦) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (٦٢) ، باب فضل أبى بكر بعد النبى صلى الله عليه وسلم (٤) ، ١٩١/٤ .
وانظر : تدريب الراوى ٢٢٣/٢ .

للطعن فيه .

(٥) قولهم بأنه خبر آحاد ، وهو لايقتضى العلم ، والرؤية طريقها القطع والثبات .

كونه خبر آحاد وخبر الآحاد لايقتضى العلم ، هذه شبهة باطلة ، استوفيت الإجابة عنها من قبل(١).

وأما كون الرؤية طريقها القطع والثبات ، هذا ليس بلازم لأن أحاديث الآحاد الصحيحة كافية فى إثبات العقائد ، إضافة إلى ماسبق ذكره من أن أحاديث الرؤية تواترت تواتراً معنوياً . فبطلت بذلك شبهة أهل الاعتزال من جميع الأوجه .

(٦) زعمهم بأنه معارض بأخبار رويت منها :

(أ) مارواه أبوقلابة عن أبى ذر أنه قال : قلت للنبى : "هل رأيت ربك"؟ فقال : "نور هو ، أنى أراه" أى أنور هو؟ كيف أراه؟

(ب)عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لن يرى الله أحد فى الدنيا ولافى الآخرة".

ويجاب عن ذلك بما يلى :

(أ) بالنسبة لرواية أبى ذر :

أخرجها مسلم رحمه الله عن أبى ذر بطريقين : قال صلى الله عليه وسلم فى الرواية الأولى : "نور أنى أراه" ، وفى الثانية : "رأيت نوراً"(٢).

قال النووى :

"أما قوله صلى الله عليه وسلم "نور أنى أراه" فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة فى أنى وتشديد النون وفتحها وأراه ، بفتح الهمزة ، هكذا رواه جميع الرواة فى جميع الأصول والروايات ومعناه : حجابه نور فكيف أراه، قال الإمام أبو عبد الله المازرى رحمه الله : الضمير فى أراه عائد على الله

---

(١) انظر ص ، ١٢٨ فما بعدها .

(٢) الحديث سبق تخريجه . انظر ص ، ١٨٤

سبحانه وتعالى ومعناه أن النور منعنى من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ماحالت بين الرائى وبينه . وقوله صلى الله عليه وسلم : "رأيت نوراً" معناه : رأيت النور فحسب ولم أر غيره"(١).

ولكن عبد الجبار لم تطب لنفسه رواية الحديث كما جاءت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل أبت بدعته إلا أن تحمله على تحريفها ثم تفسيرها تفسيراً يلائم تلك البدعة .

وحديث أبى ذر لايعارض حديث جرير السابق ، لأن حديث أبى ذر يتعلق بموضوع رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ليلة المعراج ، فإنه نفى صلى الله عليه وسلم أن يكون قد رأى ربه بعينى رأسه ، والذى منعه من ذلك النور وهو الحجاب المذكور فى رواية أبى موسى رضى الله عنه عندما قال :

"قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات ، فقال : "إن الله عز وجل لاينام ولاينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور [وفى رواية "النار"] لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ماانتهى إليه بصره من خلقه"(٢).

فقول النبى صلى الله عليه وسلم : "فأنى أراه؟" أى فكيف أراه والنور حجاب بينى وبينه يمنعنى من رؤيته؟(٣)

(ب) وأما رواية جابر فإنها لم ترو بهذا اللفظ عن أحد من أئمة الحديث .

وإنما الذى ورد عند مسلم : من حديث الدجال عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"(٤).

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٢/٣ .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه ، كتاب الإيمان (١) ، باب فى قوله عليه السلام : "إن الله لاينام" (٧٩) برقم ١٧٩ ، ١٦١/١-١٦٢ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص١٩٧ .

(٤) الحديث سبق تخريجه . انظر ص ١٨٤ .

فـــزيادة "ولافى الآخرة" زيادة منكـــرة لم ترد فى الحديث ، بل هـــى موضوعة أريد بها مناهضة الأدلـة الثـابتة فى إثبات الرؤية ، فـأمثالها لايجوز أن تنسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم(١).

والـذى يعجب له الإنسان مـن هؤلاء المعتزلة أنهـم يطعنون فى الثابت من الأحاديث بل والمتواتر منهـا إذا خالفـت بدعتهـم بينمـا يلجـأوون إلى الموضـوع والضعيف من الأحاديث للاستشهـاد به على باطلهـم ، ومـاذلك إلا للهـوى الـذى أعمـى أبصارهـم عـن رؤية الحق ، وعقـولهم عـن الهـدى ، فانقلبت عندهم الموازين واختلطـت عليهـم الأمـور ، فـأصبح الضلال هـدى والباطل حقاً ، وهكذا أصحاب البدع والأهواء ، فإنهـم يحدثون البدع أولاً فإذا استقرت فى أذهانهم بحثوا لها عما يسندها من أدلـة لايعبأون بصحتها أو ضعفهـا ، أو من قالها ، وإن وجدوا مـايخالف تلك البـدع من أدلة صحيحة لووا أعناقها فحرفوها وبدلوها وزادواونقصوا فيها لتكـون حجة لهم لاعليهم. والسلامة أن يعافيك الله ممـاابتلاهم به .

(٧) قولهم : "المراد بـ"سترون ربكم" : ستعلمون ربكم أو تعـرفون ربكم ، ولذا قال : "لاتضامون" أى لاتشكون .

والجواب على ذلك :

أولاً : لاشك إن "ترى" تكون بصرية وتارة تكون قلبية ، وتارة تكون من رؤيا الحلم ، وغير ذلك . ولايخلـو الكلام من وجود قـرينة تخلـص المعنى المراد .

والقرينة فى الحديث قوله : "سترون ربكم كما ترون القمر".

وفى الـرواية الأخرى : "كمـا ترون الشمـس فى الظهيرة ليـس دونهـا سحاب" . فدل على أن المراد بها "ترى" البصرية(٢).

---

(١) انظر : رؤية الله تعالى ص٢٣٤،٢٣٥ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢١١ .

ثانياً : إن "ترى" العلمية تنصب مفعولين بخلاف البصرية .

قال ابن التين :

"... إن الرؤية بمعنى العلم تتعدى لمفعولين تقول : رأيت زيداً فقيهاً أى علمته ، فإن قلت : رأيت زيداً منطلقاً لم يفهم منه إلا رؤية البصر ، ويزيده تحقيقاً قوله فى الخبر : "إنكم سترون ربكم عياناً" لأن اقتران الرؤية بالعيان لايحتمل أن يكون بمعنى العلم"(١).

ثالثاً : قوله : "تضامون" . قال النووى : "بتشديد الميم وتخفيفها فمن شددها فتح التاء ومن خففها ضم التاء ، ومعنى المشددة : هل تضامون وتتلطفون فى التوصل إلى رؤيته ، ومعنى المخففة : هل يلحقكم ضيم وهو المشقة والتعب"(٢).

فتفسير عبد الجبار للضيم بمعنى الشك لايستقيم .

قال الإمام الدارمى رحمه الله :

"وهذا التفسير - أى تفسير "تضامون" بمعنى تشكون - مع مافيه من معاندة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو محال خارج عن المعقول ، لأن الشك فى ربوبية الله زائل عن المؤمن والكافر يوم القيامة فكل مؤمن وكافر يومئذ يعلم أنه ربهم لايعتريهم فى ذلك شك فيقبل الله ذلك من المؤمنين ، ولايقبله من الكافرين ، ولايعذرهم بمعرفتهم ويقينهم به فى ذلك اليوم فما فضل المؤمن على الكافر يوم القيامة .. فى معرفة الرب؟ إذ مؤمنهم وكافرهم لايعتريه فى ربوبيته شك"(٣).

قال ابن حزم :

"ومحال أن تكون هذه الرؤية رؤية القلب لأن جميع العارفين به تعالى يرونه فى الدنيا بقلوبهم وكذلك الكفار فى الآخرة بلاشك"(٤).

---

(١) فتح البارى ٤٢٦/١٣ ، وانظر فى ذلك : النحو الوافى ١٤/٢-١٨ .

(٢) شرح النووى على مسلم ١٨/٣ .

(٣) رد الدارمى عثمان بن سعيد ضمن عقائد السلف ص٤١٤ .

(٤) الفصل فى الملل ٤/٣ .

وأما قول عبد الجبار :

"مانسب لعائشة إنها سمعت بأن القوم يقولون :بأن الله يرى ، فقالت : لقد قف شعرى مما قلتموه ، ودفعت ذلك بقوله تعالى : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}(١).

يجاب عن ذلك بالآتى :

أولاً: ذكره لحديث عائشة الصحيح بصيغة التمريض "نسب" مخالف للقاعدة العلمية عند المحدثين ، فإنهم يوردون الأحاديث الصحيحة بصيغة الجزم(٢).

ثانياً : لقد حرف عبد الجبار رواية عائشة رضى الله عنها ليتسنى له الاستدلال بها على نفى الرؤية فى الآخرة .

والحديث كما رواه مسلم فى صحيحه بسنده إلى مسروق(٣)قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : ياأبا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية ، قلت : ماهن؟ قالت من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ، قال وكنت متكئاً فجلست فقلت : ياأم المؤمنين أنظرينى ولاتعجلينى ألم يقل الله عز وجل {ولقد رآه بالأفق المبين}(٤)، {ولقد رآه نزلة أخرى}(٥). فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٠٣

(٢) انظر : تدريب الراوى ١٢٠/١ .

(٣) مسروق :

هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمدانى الوادعى ، أبوعائشة ، الكوفى ، ثقة فقيه عابد ، مخضرم . يروى عن أبى ، وعمر ، وعائشة . وعنه الشعبى ، وإبراهيم النخعى ، وأبو وائل . مات سنة ٦٢هـ وقيل ٦٣هـ .

انظر : الطبقات الكبرى ٧٦/٦ ، تاريخ بغداد ٢٣٢/١٣ ، تذكرة الحفاظ ٤٦/١ ، سير أعلام النبلاء ٦٣/٤-٦٩ ، تهذيب التهذيب ١٠٩/١٠ ، تقريب التهذيب ٢٤٢/٢ .

(٤) سورة التكوير : آية ٢٣

(٥) سورة النجم : آية ١٣

ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "إنما هو جبريل لم أره على الصورة التى خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه مابين السماء إلى الأرض ، فقالت : أولم تسمع أن الله يقول : {لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير} ..."(١)الحديث .

ثالثاً : إن عائشة رضى الله عنها لم تنف رؤية الله فى الآخرة ، وإنما نفت أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه فى الدنيا كما هو ظاهر من سياق الرواية.

ونفى عائشة رضى الله عنها لرؤية النبى صلى الله عليه وسلم لله سبحانه فى الدنيا بعينى رأسه هو القول الراجح عند أهل العلم وعليه جمهور أهل السنة ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم : "تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت"(٢)، ولحديث أبى ذر رضى الله عنه "نور أنى أراه"(٣)(٤).

ولايلزم من ذلك عدم رؤيته فى الآخرة .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب معنى قول الله عز وجل : {ولقد رآه نزلة أخرى} (٧٧) برقم ١٧٧ ، ١٥٩/١ .
وأخرج البخارى نحوه مختصراً فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب إذا قال أحدكم آمين (٧) ، ٨٣/٤،٨٤ .
وبنحوه فى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة ق (٥٣) ، باب (١) ، ٥٠/٦ .
وأخرجه مختصراً أيضاً فى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {عالم الغيب فلايظهر على غيبه أحداً} (٤) ، ١٦٦/٨ .

(٢) الحديث سبق تخريجه . انظر ص: ١٨٤

(٣) الحديث سبق تخريجه . انظر ص: ١٨٤

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢٣٠/٢ ، رؤية الله تعالى ص٥٣،٥٤ .

(٣) **أفعال العباد :**

هذا موضوع له علاقة وصلة وثيقة بموضوع قضاء الله وقدره . وأول من يذكر عنه أنه تحدث فى قدر الله تعالى معبد الجهنى(١)، ثم تبنى قوله واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد(٢)، ودعوا الناس إلى ذلك(٣).

وقد توسعت المعتزلة بعد ذلك فى موضوع القدر حتى جعلوه أصلاً من أصولهم الخمسة وأسموه بالعدل ، وتمدحوا بالتسمية به .

وقد عرفوا العدل بأنه تعالى لايفعل القبيح ولايختاره ، ولايخل بما هو واجب عليه ، وأن أفعاله كلها حسنة(٤).

وقد زعموا أن العقل هو الذى قادهم إلى ذلك ودفعهم إليه .

وأما نصوص الكتاب والسنة فلادخل لها فى شأن العدل .

قال عبد الجبار :

"فأما الكلام فى العدل فالعقل يدل عليه ، وذلك لأنه تعالى إذا كان عالماً بالقبيح وغنياً عنه ، لأن الحاجة إنما تصح على من يشتهى ويتغذى

---

(١) معبد الجهنى :

هو معبد بن عبد الله بن عويمر ، وقيل:عكيم - الجهنى . البصرى . أول من قال بالقدر فى زمن الصحابة بالبصرة . وكان عالماً مع بدعته . صدوق فى الحديث . قتل سنة ٨٠هـ .

انظر : التاريخ الكبير للبخارى ٣٩٩/٧ ، الجرح والتعديل ٢٨٠/٨ ، المجروحين ٣٦،٣٥/٣ ، ميزان الاعتدال ١٤١/٤ ، سير أعلام النبلاء ١٨٥/٤-١٨٧ ، تقريب التهذيب ٢٦٢/٢ .

(٢) عمرو بن عبيد : هو عمرو بن عبيد بن باب ، التميمى مولاهم ، أبو عثمان البصرى ، شيخ المعتزلة فى عصره ومفتيها ، وأحد الزهاد . كان داعية إلى بدعته . واتهمه جماعة . مات سنة ١٤٣هـ وقيل ١٤٤هـ .

انظر : المجروحين ٦٩/٢-٧١ ، تاريخ بغداد ١٦٢/١٢-١٧٨ ، ميزان الاعتدال ٢٧٣/٣-٢٨٠ ، سير أعلام النبلاء ١٠٤/٦-١٠٦ ، تهذيب التهذيب ٣٠/٨ ، تقريب التهذيب ٧٤/٢ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق ص١١٩ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص١٣٢،٣٠١ .

وتصح عليه الزيادة والنقصان ، ومن هذا حاله لايجوز أن يختار القبيح ، ولولا ذلك لما حصل الثقة بكلامه وقوله"(١).

وقد دفعهم ذلك إلى نفى قدر الله تعالى وعدم إثباته .

قال عبد الجبار :

"والذين يثبتون القدر هم المجبرة(٢)، فأما نحن فإنا ننفيه وننزه الله تعالى عن أن تكون الأفعال بقضائه وقدره"(٣).

وماورد من أخبار الآحاد دالاً على ذلك ضرب من ضروب الخطأ ، الذى يعلم بروايته أنه ارتكب عظيماً(٤).

والقول بأن الله لايفعل القبيح ولايختاره وهو ماعرفوا به العدل هى القاعدة التى انطلقوا منها فى نفيهم لخلق أفعال العباد وتقديرها وإرادتها من قبل الله تعالى زعماً منهم بأن ذلك تنزيه لله سبحانه(٥).

وهذه مقدمة نخلص من خلالها إلى عرض موقف المعتزلة من خلق أفعال العباد وإرادتها .

أولا : خلق أفعال العباد .

لقد أجمعت المعتزلة على أن أفعال العباد ليست من خلق الله تعالى(٦). طاعات كانت أم معاصى . وحجتهم أنها من القبائح والله لايفعل القبيح(٧).

---

(١) فضل الاعتزال ص١٤١ ، وانظر : المحيط بالتكليف ص٢٣٤،٢٥٩ .

(٢) المجبرة : أو الجبرية :مشتقة من الجبر ، وهو نفى الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى . وهم أصناف : فالجبرية الخالصة هى التى لاتثبت للعبد فعلاً ولاقدرة على الفعل أصلاً . والمتوسطة : هى التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . انظر : الملل والنحل ٨٥/١ ، التعريفات ص٤٠ .

(٣) شرح الأصول ص٧٧٦ .

(٤) انظر : فضل الاعتزال ص١٩٤ .

(٥) انظر : شرح الأصول ص٧٧٦ .

(٦) انظر : باب ذكر المعتزلة ص٦ ، الفرق بين الفرق ص١١٤-١١٥ .

(٧) انظر : المحيط بالتكليف ص٢٨٧ .

وهـى حجة عقلية إذ السمع لايصح أن يكون دليلاً فى هـذا المقام(١).

وقـد يعترض معترض بأن المعـاصى قبائح ولكن مـابال الطاعات تطوى من أن تكون خلقاً لله بهذه الحجة العقلية؟

يجيب على ذلك عبد الجبار بقوله :

"قد صح أن أفعال العباد قبائح ، وقد صح بما تقدم فى دليل العدل أنه تعـالى لايختار فعل القبيح ، فيجـب أن يكون حادثاً مـن جهته ، وإذا لم يكن بد من محدث له ،فليس إلا أن العبد هو الذى يحدثه ... ولافرق بين ذلك فى الأفعـال الحسنـة أو القبيحة فـالجميع لايخلقـه الله ، لأن الأفعـال الحسنـة قد يصح وجودها على وجه فتقبح وعلى وجه آخر فتحسن"(٢).

ومن ثم لايليق أن يوصف الله سبحانه وتعالى بأنه خالق للخير والشر والذين يقولون ذلك هم الذين قل تمييزهم(٣).

وقد أيدوا دليلهم العقلى بشبه عقلية ونقلية :

الشبه العقلية :

الأولى :لـو كـانت خلقاً للـه تعـالى لم تكن عملاً للعبـاد ، تقـف عليه أحوالهـم ، وتوجد وتنتهـى بحسـب اختيـارهم وإرادتهـم لاكـالألوان والصور(٤).

الثـانية : وجود الأمـر ببعضهـا والنهى عن بعض ، والمدح على بعـض والذم على بعض ، والثواب على بعض والعقاب على بعـض . فلو كانت خلقاً للـه مـاحسن شىء مما سبق . فـإثبات خلـق الله لهـا يوجب نفـى الأحكام السابقة ، ويلزم من ذلك أن يكون الله ظالماً جائراً(٥).

---

(١) انظر : شرح الأصول ص٣٥٤-٣٥٥ .

(٢) المحيط بالتكليف ص٣٦٦-٣٦٧ .

(٣) انظر : فضل الاعتزال ص١٧٩ .

(٤) انظـر : شـرح الأصول ص٧٧١،٧٧٨-٧٧٩ ، المحيـط بالتكليـف ص٣٤٠ ، شـرح قصيدة الصاحب بن عباد ص٦٠-٦١ .

(٥) انظـر : فضل الاعتزال ص١٦٩-١٧٠ ، شـرح الأصول ص٣٤٥ ، المحيـط بالتكليف ص٣٤٠ ، شرح قصيدة الصاحب ص٦١ .

الشبه النقلية :

وهـى تذكر على أنها موافقـة لأدلة العقل السابقة ومقـررة لها ، لاأنها تفرد للاستدلال بها ، لأن ذلك متعذر(١).

(١) {ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت}(٢).

فالباطل المتفاوت ليس من خلق الله .

(٢) {صنع الله الذى أتقن كل شىء}(٣).

الكفـر والظلم وغيرهما ليسـت من خلقه ، لأنها ليسـت بمتقنة ولامحكمة ولاحسنة .

(٣) {وماأصابك من سيئة فمن نفسك}(٤).

{قل هو من عند أنفسكم}(٥).

{حسداً من عند أنفسهم}(٦).

{وماهو من عند الله}(٧).

فهـذه الأمور قد لحقت العبـد من جهته لامن جهة اللـه فـدل على أنها ليست من خلقه .

(٤) قـوله تعـالى : "تفعلـون" ، "تصنعـون" ، "وتعلمـون"، "وتكسبـون" ، و"تخلقون إفكاً"(٨).

وفى ذلك إضافة الفعل إلى العبد بأقوى وجوه الإضافة .

(٥) {كيف تكفرون بالله}(٩).

---

(١) انظر : شرح الأصول ص٣٥٤-٣٥٥ .
(٢) سورة الملك : آية ٣
(٣) سورة النمل : آية ٨٨
(٤) سورة النساء : آية ٧٩
(٥) سورة آل عمران : آية ١٦٥
(٦) سورة البقرة : آية ١٠٩
(٧) سورة آل عمران : آية ٧٨
(٨) سورة العنكبوت : آية ١٧
(٩) سورة البقرة : آية ٢٨

{ومامنع الناس أن يؤمنوا}(١).

وفى هذا الزام للعبد وتوبيخ وذم له ، وتقريع له بالنعم وعدها عليه(٢).

(٦) {إن الله يأمر بالعدل والإحسان}(٣).

{وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشاء}(٤).

(٧) {وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}(٥).

فخلقهم للعبادة ولم يخلقهم للمعصية .

(٨) {وكل شىء فعلوه فى الزبر}(٦).

فقال : فعلوه ولم يقل فعله . وقال فى فعله : {الله خالق كل شىء}(٧)، أى كل شىء يكون ولم يقل خلق فعلهم(٨).

ثانيا : إرادة الأفعال .

قسموا الإرادة إلى قسمين :

(١) إرادة حتم وجبر ، كخلق السموات والجبال .. الخ

(٢) إرادة أمر ، ومعها تمكين كالأمر بالبر والإحسان .

فمكن الله عباده لفعل ذلك بما أعطاهم من استطاعات وآلات للاختيار ولم يلزمهم بالطاعات جبراً ، ولاصرفهم عن المعاصى قسراً(٩).

---

(١) سورة الكهف : آية ٥٥

(٢) انظر : المحيط بالتكليف ص٣٧٩ .

(٣) سورة النحل : آية ٩٠

(٤) سورة الأعراف : آية ٢٨

(٥) سورة الذاريات : آية ٥٦

(٦) سورة القمر : آية ٥٢

(٧) سورة الزمر : آية ٦٢

(٨) انظر : رسائل العدل ص٧١-٧٢ .

(٩) انظر : رسائل العدل ص١٨٣-١٨٥ ، المحيط بالتكليف ص٢٨٧ .

ثم فصلوا فى إرادة الله لتلك الأفعال ، فإن كانت طاعات فإنه يريدها ويعين عليها ، وإن كانت معاصى فإنه لايريدها ولايشاؤها ولايعين عليها ، وإن كانت مباحات أو أفعال غير المكلفين ، فهو لايريدها ولايكرهها(١).

ودليلهم العقلى على ذلك :

أما الطاعات فلأن كراهة الحسن قبيحة ، وأما المعاصى فلأن إرادة القبيح قبيحة ، وأما المباحات وأفعال غير المكلفين فلافائدةمن إرادتها أو كرهها(٢).

وأيدوا ذلك بشبه عقلية ونقلية :

الشبه العقلية :

(١) لو أرادها ماكان فعلها خطأ ولامعصية ، لأن المعقول من الطاعة فعل ماأراده المطاع ، والمعصية فعل ماكرهه المعصى(٣).

(٢) لايجوز أن يكون الله مريداً للمعاصى ، لأنه وجب حينئذ أن يكون محباً لها راضياً عنها ، لأن الإرادة والمحبة والرضا من باب واحد(٤).

(٣) لو كان يريدها لكان العاصى معذوراً عند الله ، لأنه فعل مايريده الله ، موافقاً لقضائه وقدره ، ولايوجد حينئذ عاصى على الأرض لأن الكل يسعى بقضائه وقدره .

والقول بأنه خلق قوماً للجنة وقوماً للنار كذب وضلال(٥).

(٤) لو كان الله مريداً لها مانهى عنها(٦).

(٥) لايمكن أن يقضى على خلقه بمعصية ، ثم يعذبهم عليها ، بل ذلك محال وباطل .

---

(١) انظر : شرح الأصول ص٧٧٨-٧٧٩ ، المحيط بالتكليف ص١٠٩ .

(٢) انظر : المحيط بالتكليف ص١٠٩،٢٨٨ .

(٣) انظر : شرح قصيدة الصاحب ص٦٢-٦٤ .

(٤) انظر : شرح الأصول ص٤٦٤،٧٧١ ، المحيط بالتكليف ص٤٢٠ .

(٥) انظر : رسائل العدل ص٩١ .

(٦) انظر : شرح الأصول ص٤٦٣ .

ولكان الطائع والعاصى يجريان فى طاعته ، ولم يكن المذنب أولى بالعقوبة من المهتدى(١).

وأما الشبه النقلية :

(١) قوله :{ومااللهيريد ظلماً للعالمين}(٢).

وقوله : {ومااللهيريد ظلماً للعباد}(٣).

وهذا نص فى موضع الخلاف .

(٢) قوله : {كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً}(٤).

فيستحيل أن يكون مريداً لشيء كارهاً له(٥).

(٣) قوله : {واللهلايحب الفساد}(٦).

{ولايرضى لعباده الكفر}(٧)(٨).

(٤) قوله : {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولاحرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون}(٩).

فقد أكذب الله المشركين فى قولهم ، ونفى عن نفسه مانسبوه إليه بظلمهم(١٠).

---

(١) انظر : رسائل العدل ص١٠٨،١٨٥ .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٨
(٣) سورة غافرة : آية ٣١
(٤) سورة الإسراء : آية ٣٨
(٥) انظر : شرح قصيدة الصاحب ص٦٢-٦٤ .
(٦) سورة البقرة : آية ٢٠٥
(٧) سورة الزمر : آية ٧
(٨) انظر : المحيط بالتكليف ص٢٨٦ .
(٩) سورة الأنعام : آية ١٤٨
(١٠) انظر : رسائل العدل ص٧١،٧٢ .

وأماموقفهم من أدلة الإثبات ، مثاله حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام[١]، فقد ردوا عليه بالآتى :

(١) هذا يوجب أن موسى كان قدرياً .

(٢) يوجب فى كل كافر ومشرك وفاجر أن لايلام لأن ماآتاه كان مكتوباً عليه .

وبالتالى من تعلق به وبأمثاله من الأحاديث فهو جاهل ويجب أن يلصق به كل ذم ، وكل لقب مذموم[٢].

وجوب الإيمان بقدر الله تعالى والجواب على شبه المعتزلة :

الإيمان بقدر الله واجب ، وهو أحد أركان الإيمان الستة التى لايتصف المؤمن بالإيمان إلا بتحقيقها كما قال صلى الله عليه وسلم : "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره"[٣].

والإيمان به من تمام التوحيد ، كما قال ابن عباس : "هو نظام التوحيد" ، فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده ، ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض توحيده[٤].

وهو سر الله فى خلقه لم يطلع عليه ملك مقرب ولانبى مرسل ولاعبد من عباد الله ، فالله أوجد وأفنى ، وأفقر وأغنى ، وأمات وأحيا ، وأضل وهدى ، وهو على كل شىء قدير ، وبكل أمر بصير[٥].

وأهل السنة والجماعة وحزب الله ورسوله هم أسعد الناس فى مسألة القدر من جميع الطوائف .

---

(١) يأتى الحديث والكلام عنه .

(٢) انظر : فضل الإعتزال ص١٦٨ .

(٣) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص٥١ .
والحديث سبق تخريجه انظر : ص: ٩١

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١١٣/٣ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٠ .

فإنهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات من الأعيان والأفعال ، ويثبتون مشيئته العامة وينزهونه أن يكون فى ملكه مالايقدر عليه ولاهو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون القدر السابق ، وأن العباد يعملون ماقدره الله وقضاه وفرغ منه ، وأنهم لايشاءون إلا أن يشاء الله ، ولايفعلون إلا من بعد مشيئته ، وأنه ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، ويؤمنون بأن من يهده الله فلامضل له ، ومن يضلل فلاهادى له(١).

ولقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات قدر الله تعالى وهى تؤيد ماذهب إليه أهل السنة والجماعة . من ذلك :

(١) قال سبحانه وتعالى :

{وخلق كل شىء فقدره تقديراً}(٢).

وقال : {إنا كل شىء خلقناه بقدر}(٣).

وقال : {وكان أمر الله قدراً مقدوراً}(٤).

وقال : {الذى خلق فسوى.والذى قدر فهدى}(٥).

روى مسلم بسنده إلى يحيى بن يعمر(٦)قال :

---

(١) شفاء العليل ص١١٤-١١٥ بتصرف .
وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٣٨/٢ ، جامع الرسائل ١٢٩/١ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٠ .

(٢) سورة الفرقان : آية ٢

(٣) سورة القمر : آية ٤٩

(٤) سورة الأحزاب : ٣٨

(٥) سورة الأعلى : آية ٢-٣

(٦) يحيى بن يعمر :
هو يحيى بن يعمر أبو سليمان العدوانى البصرى ، نزيل مرو وقاضيها ، ثقة فصيح وكان يرسل ، روى عن أبى ذر ، وعائشة وأبى هريرة . وعنه قتادة ، وعطاء الخراسانى ، وآخرون . مات سنة ١١٥هـ . وقيل غير ذلك.
انظر : الجرح والتعديل ١٩٦/٩ ، تذكرة الحفاظ ٧١/١ ، سير أعلام النبلاء ٤٤١/٤-٤٤٣ ، تهذيب التهذيب ١٧١/٤ ، تقريب التهذيب ٣٦١/٢ .

كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى (١) حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد فاكتنفته (٢) أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبى سيكل الكلام إلى ، فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفرون (٣) العلم - وذكر من شأنهم - وأنهم يزعمون أن لاقدر وأن الأمر أنف ، قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم براء منى ، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ماقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر ، ثم قال : حدثنى أبى عمر بن الخطاب ، قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يامحمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الإسلام أن تشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال صدقت، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، قال فأخبرنى عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم

---

(١) حميد بن عبد الرحمن :
هو حميد بن عبد الرحمن الحميرى البصرى ، ثقة فقيه . روى عن أبى هريرة وأبى بكر الثقفى وابن عمر . وعنه عبد الله بن بريدة ، ومحمد بن سيرين وقتادة.
انظر :الجرح والتعديل ٢٢٥/٣ ، سير أعلام النبلاء ٢٩٣/٤-٢٩٤ ، تهذيب التهذيب ٤٦/٣ ، تقريب التهذيب ٢٠٣/١ .

(٢) اكتنفته أنا وصاحبى : أى أحطنا به من جانبيه .
النهاية فى غريب الحديث ٢٠٥/٤ .

(٣) يتقفرون العلم : أى يتطلبونه . المرجع السابق ٩٠/٤ .

الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره . قال صدقت . قال فأخبرنى عن الإحسان . قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : ماالمسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرنى عن أمارتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان . قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ثم قال : ياعمر أتدرى من السائل؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم "(١).

والأحاديث فى إثبات القدر كثيرة جداً فى الصحيحين وغيرها عن جماعة من الصحابة(٢).

والإيمان بالقدر لايتم إلا بأربعة أمور :

الأول : الإيمان بأن الله عالم بكل مايكون جملة وتفصيلاً بعلم سابق ، لقوله تعالى : {ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير}(٣).

الثانى : إن الله كتب فى اللوح المحفوظ مقادير كل شىء لقوله تعالى {ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولافى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها}(٤). أى قبل أن نخلق الخليقة .

ولقوله صلى الله عليه وسلم : "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة قال :وعرشه على الماء"(٥).

---

(١) الحديث سبق تخريجه انظر ص: ٩١

(٢) انظر : صحيح البخارى ، كتاب القدر (٨٢) ، باب (١) ، باب جف القلم على علم الله (٢) ٢١٠/٧ ، وباب كان أمر الله قدراً مقدوراً (٤) ، ٢١١/١ .
صحيح مسلم ، كتاب القدر (٤٦) ، باب كيفية الخلق الآدمى (١) ، حديث رقم ٢٦٤٣ ، ٢٠٣٦/٤ ، وحديث رقم ٢٦٤٧ ، ٢٠٣٩/٤ ، وحديث رقم ٢٦٤٨ ، ٢٠٤٠/٤ ، وباب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢) ، حديث رقم ٢٦٥٢ ، ٢٠٤٢/٤ ، حديث رقم ٢٦٥٣ ، ٢٠٤٤/٤ ، وباب كل شىء بقدر (٤) ، حديث رقم ٢٦٥٥ ، ٢٠٤٥/٤ .

(٣) سورة الحج : آية ٧٠

(٤) سورة الحديد : آية ٢٢

(٥) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو فى كتاب القدر (٤٦) ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢) برقم ٢٦٥٣ ، ٢٠٤٤/٤ .

الثالث : إنه لايكون شيء فى السموات والأرض إلا بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة ، يهدى من يشاء برحمته ، ويضل من شاء بحكمته ، لايسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه وهم يسألون . وماوقع من ذلك فهو مطابق لعلم الله السابق ولما كتبه فى اللوح المحفوظ لقوله تعالى {إنا كل شيء خلقناه بقدر}(١)، {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً}(٢). فأثبت وقوع الهداية والضلال بإرادته .

الرابع : إن كل شيء فى السموات والأرض مخلوق لله تعالى لاخالق غيره ولارب سواه ، لقوله تعالى : {وخلق كل شيء فقدره تقديراً}(٣). وقال على لسان إبراهيم : {والله خلقكم وماتعملون}(٤)(٥).

وقد تناول العلماء من أهل السنة شبه المعتزلة السابقة فى موضوع القدر وأفعال العباد ففندوها وأوضحوا بطلانها لأنها لم تبن على نصوص الشرع وإنما بنيت على العقول القاصرة العاجزة فجاءت مخالفة للنصوص ، مناهضة لها ، ويتضح ذلك فيما يلى :

قولهم فى تعريف العدل : إن الله لايفعل القبيح ولايختاره ولايخل بما هوواجب عليه ، وإن أفعاله كلها حسنة .

وعلى ذلك دل العقل كما يرون .

---

(١) سورة القمر : آية ٤٩
(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٥
(٣) سورة الفرقان : آية ٢
(٤) سورة الصافات : آية ٩٦
(٥) شرح لمعة الاعتقاد ص٥١-٥٣ بتصرف .
وانظر : شفاء العليل ص٦٦ .

إن المعتزلة لما خاضوا بعقولهم فى شرع الله تعالى ، بعيدة عن هدى النصوص ، قذفت لهم تلك العقول بما يسمى بالتحسين والتقبيح العقلى ووجوب الأصلح على الله الذى كان علته وسببه قياسهم لأفعال الله سبحانه على أفعال العباد ، فحسنوا منه مايحسن منهم ، وقبحوا منه مايقبح منهم وأوجبوا عليه مايجب عليهم وحرموا عليه مايحرم عليهم وسموا ذلك عدلاً ، وماذلك إلا تشبيه لله بخلقه فى أفعاله . فهم فى الحقيقة مشبهة الأفعال .

والله سبحانه لايقاس بنا فى أفعاله ، فليس ماوجب أو حرم علينا يجب ويحرم عليه ، وليس ماحسن أو قبح منا يحسن أو يقبح منه(١).

فهو سبحانه منزه عن فعل القبائح ، لايفعل السوء ولاالسيئات ، مع أنه سبحانه خالق كل شىء : أفعال العباد وغيرها . والعبد إذا فعل القبيح المنهى عنه كان قد فعل سوءاً وظلماً وقبيحاً وشراً ، والرب قد جعله فاعلاً لذلك ، وذلك منه سبحانه عدل وحكمة وصواب ووضع للأشياء فى مواضعها ، فخلقه سبحانه لما فيه نقص أو عيب للحكمة التى خلقه لها هو محمود عليه ، وهو منه عدل وحكمة وصواب وإن كان فى المخلوق عيباً ، ومثل ذلك موجود فى مفعول المخلوقين ، فإن الصانع إذا أخذ الخشبة المعوجة والحجر الردىء واللبنة الناقصة فوضعها فى موضع يليق بها ويناسبها كان ذلك منه عدلاً ، واستقامة وصواباً وهو محمود ، وإن كان فى تلك عوج وعيب هى به مذمومة ، ومن أخذ الخبائث فجعلها فى المحل الذى يليق بها كان ذلك حكمة وعدلاً ، وإنما السفه والظلم أن يضعها فى غير موضعها ، ومن وضع العمامة على الرأس والنعلين فى الرجلين فقد وضع كل شىء موضعه ، ولم يظلم النعلين إذ هذا محلهما المناسب لهما ، فهو سبحانه لايضع شيئاً إلا فى موضعه ، فلايكون إلا عدلاً ، ولايفعل إلا خيراً ، فلايكون إلا محسناً جواداً رحيماً ، وهو سبحانه له الخلق والأمر(٢).

---

(١) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٤٨ ، مفتاح دار السعادة ص٤٩-٥٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٨ .

(٢) جامع الرسائل ١/١٣٠ بتصرف .

والله يختص بحكمة لايشاركه فيها غيره ، ولهذا يحسن منه مايقبح من المخلوقين لانتفاء تلك الحكمة فى حقهم ، مثال لذلك يحسن منه مدح نفسه والثناء عليها ويقبح من أكثر خلقه ذلك . ويليق به الكبرياء والعظمة ويقبح ذلك من خلقه كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم إنه حكى عن الله تعالى أنه قال : "العز إزاره ، والكبرياء رداؤه . فمن ينازعنى عذبته"(١).

كما يحسن منه إماتة خلقه وابتلاؤهم وامتحانهم بأنواع المحن ويقبح ذلك من الخلق ، فليس بين الله وخلقه جامع يوجب أن يحسن منه ماحسن منهم ويقبح منه ماقبح منهم(٢).

والعقول وإن كانت تقف على حسن بعض الأمور وقبحها فى الجملة فهى قاصرة عن اكتساب المعقولات بأسرها عاجزة عن الاهتداء إلى المصلحة الكلية الشاملة لنوع الإنسان تفصيلاً ، فوجب من حيث الحكمة أن يكون بين الناس شرع يحملهم على الإيمان بالغيب جملة ويهديهم إلى مصالح معاشهم ومعادهم تفصيلاً ، فيحملهم على التوجه إلى الخير المحض والإعراض عن الشر المحض استبقاء لنوعهم واستدامة لنظام العالم(٣).

وأما إيجاب شىء على الله أو تحريمه عليه ، فإن جمهور العلماء ذهبوا إلى أنه سبحانه إنما أمر عباده بما فيه صلاحهم ونهاهم وحذرهم عما فيه فسادهم ، وأرسل لهم الرسل للمصلحة العامة ، وإن كان فى إرسالهم ضرر على بعض الناس ، ففيه حكم ، وإن كان فى بعض مايخلفه ضرر كالذنوب ، فلابد من وجود الحكمة فى ذلك والمصلحة التى لأجلها خلقه سبحانه(٤).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى سعيد وأبى هريرة ، كتاب البر والصلة (٤٥) ، باب تحريم الكبر (٣٨) ، برقم ٢٦٢٠ ، ٤/٢٠٢٣ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار ١/٣٣٣ .

(٣) انظر : مفتاح دار السعادة ٢/٥٦، ١١٧، ١١٨ .

(٤) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٣ .

والله سبحانه قد يوجب على نفسه ويحرم بعض الأمور كقوله سبحانه : {كتب ربكم على نفسه الرحمة}(١)، وقوله : {وكان حقاً علينا نصر المؤمنين}(٢)، وفى الحديث : "ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى"(٣)، وهو لايخل بما أوجبه أو حرمه على نفسه ، أما أن يوجب أو يحرم عليه الخلق بعقولهم فلا(٤).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :

"وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى ، والتحريم بالقياس على خلقه ، فهذا قول القدرية(٥)، وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول ، وأهل السنة متفقون على أنه سبحانه خالق كل شىء ومليكه ، وأن ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وأن العباد لايوجبون عليه شيئاً ، ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب ، قال : إنه كتب على نفسه ، وحرم على نفسه ، لاأن العبد نفسه يستحق على الله شيئاً ، كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فإن الله هو المنعم على العباد بكل خير ، فهو الخالق لهم ، وهو المرسل إليهم الرسل ، وهو الميسر لهم الإيمان ، والعمل الصالح ، ومن توهم من القدرية والمعتزلةونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس مايستحقه الأجير على من استأجره فهو جاهل فى ذلك.

---

(١) سورة الأنعام : آية ٥٤

(٢) سورة الروم : آية ٤٧

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث أبى ذر رضى الله عنه فى كتاب البر والصلة (٤٥) ، باب تحريم الظلم (١٥) ، برقم ٢٥٧٧ ، ١٩٩٤/٤ .

(٤) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٥/٢-٧٧٦ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٤٩،٥٠ .

(٥) القدرية :

هم الذين كانوا يخوضون فى القدر ويذهبون إلى إنكاره ، ويزعمون أن كل عبد خالق لفعله ، ولايرون الكفر والمعاصى بتقدير الله .

انظر : التعريفات ص٩٢ ، منهاج السنة النبوية ٩/١ الهامش .

وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلة إليه إلا بما من به من فضله وإحسانه ، والحق الذى لعباده هو من فضله وإحسانه ، ليس من باب المعاوضة ولامن باب ماأوجبه غيره عليه ، فإنه سبحانه هو يتعالى عن ذلك"(١).

فالله لايجب عليه فعل الأصلح والأنفع لعباده خلافاً للمعتزلة ، لأنه يلزم من قولهم لوازم فاسدة مثل :

(١) إن القربات من النوافل صلاح ، فلو كان الصلاح واجباً ، لوجبت وجوب الفرائض .

(٢) إن خلود أهل النار فيها يجب أن يكون صلاحاً لهم والواقع خلافه .

(٣) إن عدم خلق إبليس وجنوده أصلح للخلق وأنفع وقد خلقه البارى . والأمثلة على ذلك كثيرة جداً(٢).

نخلص من هذا إلى الإجابة عن شبه المعتزلة حول خلق الأفعال وإرادتها :

أولاً : خلق أفعال العباد .

زعمهم إن الله منزه أن يكون خالقاً لأفعال العباد ، وإنماهم المحدثون لها .

الذى عليه أهل السنة والجماعة إن أفعال العباد خيرها وشرها ، طاعاتها ومعاصيها ، مخلوقة لله تعالى ، فهو سبحانه خالقهم وخالق حركاتهم وعباداتهم وإراداتهم ، منفرد بخلق ذلك ، لاخالق له سواه(٣).

وقد نقل الإمام اللالكائى رحمه الله إجماع الصحابة والتابعين والخالفين لهم من علما الأمة على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله عز وجل طاعاتها ومعاصيها(٤).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٧٧٧ .

(٢) انظر : لوامع الأنوار ١/٣٢٩-٣٣٢ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٢/١١٥-١١٦ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٩،٤٣٧ .

(٤) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/٥٣٤ .

وهـذا الـذى دلت عليه الأدلـة مـن الكتاب والسنـة ، وأقـوال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم . وهذا طرف من ذلك :

(١) قال تعالى :

{الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل}(١).

وهـذا على عمـومه لايخرج ولايستثنى منـه شـيء مـن العـالم ، أعيـانه وأفعـاله وحركـاته وسكناته ، وليـس مخصوصاً بذاته وصفـاته ، فـإنه الخالق بذاته وصفاته وماسواه مخلوق له(٢).

قـال البيهقـى رحمه الله حول قـوله تعـالى : {أم جعلـوا للـه شركاء خلقـوا كخلقه فتشابه الخلـق عليهم ، قل اللـه خالـق كل شيء}(٣). قال : "فنفـى أن يكون خالق غيره ، ونفى أن يكون شيء سـواه غير مخلوق ، فلو كانت الأفعال غير مخلوقة لكان الله سبحانه خالق بعض الأشياء دون جميعها وهـذا خلاف الآية ، ومعلوم أن الأفعـال أكثر من الأعيـان ، فلو كان الله خالـق الأعيـان والناس خالقـى الأفعال لكان خلق النـاس أكثر مـن خلقه ، ولكانوا أتم قوة منه وأولى بصفة المدح من ربهم سبحانه"(٤).

(٢) قوله تعالى :

{والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبـال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم}(٥).

أخبر سبحـانه أنه جعل السرابيل ، وهى الدروع والثيـاب المصنوعة ، ومـادتها لاتسمـى سرابيل إلا بعـد أن تحيلها صنعة الآدميين وعملهـم ، فـإذا كانت مجعولة لله فهى مخلـوقة لـه بجملتهـا ، صورتهـا ومـادتها وهيـآتها(٦).

---

(١) سورة الزمر : آية ٦٢

(٢) شفاء العليل ص١١٧ بتصرف .

(٣) سورة الرعد : آية ١٦

(٤) الاعتقاد ص٩١ .

(٥) سورة النحل : آية ٨١

(٦) شفاء العليل ص١٢٠ بتصرف .

(٣) قوله تعالى :

{وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون . وخلقنا لهم من مثله مايركبون}(١).

فأخبر سبحانه أنه خالق الفلك المصنوع للعباد(٢).

(٤) قوله تعالى :

{أتعبدون ماتنحتون.والله خلقكم وماتعملون}(٣).

"ما" موصولة ، أى والله خلقكم وخلق معبوداتكم التى عملتموها بأيديكم ، فهى مخلوقة له وليست شريكة معه .

فأخبر أنه خلق معمولهم وقد حله عملهم وصنعهم ، ولايقال المراد مادته، فإن مادته غير معمولة لهم ، وإنما يصير معمولاً بعد عملهم(٤).

(٥) قوله تعالى :

{وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور.ألا يعلم من خلق}(٥).

فأخبر أن قولهم وسرهم وجهرهم خلقه ، وهو بجميع ذلك عليم(٦).

(٦) قوله تعالى : {وأنه هو أضحك وأبكى}، {وأنه هو أمات وأحيا}(٧).

قال البيهقى : "فكما كان مميتاً محيياً بأن خلق الموت والحياة كان مضحكاً مبكياً، بأن خلق الضحك والبكاء ، وقد يضحك الكافر سروراً بقتل المسلمين وهو منه كفر ، وقد يبكى حزناً لظهور المسلمين وهو منه كفر ، فثبت أن الأفعال كلها خيرها وشرها صادرة عن خلقه وإحداثه إياها"(٨).

---

(١) سورة يس : آية ٤١-٤٦

(٢) المرجع السابق ص١٢٠ .

(٣) سورة الصافات : آية ٩٥-٩٦

(٤) المرجع نفسه ص١٢٠ بتصرف .

(٥) سورة الملك : آية ١٣-١٤

(٦) الاعتقاد ص٩٢ .

(٧) سورة النجم : آية ٤٣،٤٤ .

(٨) المرجع السابق ص٩٢ .

(٧) روى البخارى بسنده إلى حذيفة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : "إن الله يصنع كل صانع وصنعته"(١).

قال البخارى رحمه الله :

"حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة"(٢).

وكون سبحانه خالقاً لأفعال العباد لاينفى ذلك أن يكونوا فاعلين لها حقيقة ، فقد أخبر سبحانه أن العباد يفعلون ويعملون ويؤمنون ويكفرون ويصدقون ويكذبون فى مواضع جمة . فأفعالهم مستندة إليهم وهم الفاعلون لها حقيقة وأنها تنسب إليهم وتضاف لهم وهى مفعولة لله حقيقة ومخلوقة له وليست فعلاً له ولايتصف بأنه فاعلها ، لأن هنالك فرقاً بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق ، فهى فعل العباد ومفعولة له سبحانه(٣).

وإلى هذا أشار الطحاوى رحمه الله بقوله : "وأفعال العباد خلق لله وكسب من العباد"(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"والتحقيق ماعليه أئمة السنة ، وجمهور الأمة ، من الفرق بين الفعل والمفعول ، والخلق والمخلوق ، فأفعال العباد هى كغيرها من المحدثات

---

(١) خلق أفعال العباد برقم ١١٧ .
وأورده موقوفاً على حذيفة بلفظ : "إن الله خلق كل صانع وصنعته ، إن الله خالق صانع الخزم وصنعته" برقم ١١٨ ، ص٣٩-٤٠ .
وأخرج المرفوع الحاكم فى المستدرك ولفظه : "إن الله خالق كل صانع وصنعته" وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى ٣١/١-٣٢ وذكره الخطيب فى تاريخ بغداد من طريق البخارى ٣١/٢ .
والهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : "رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير أحمد ابن عبد الله أبو الحسين بن الكردى وهو ثقة" . ٢٠٠/٧ .
والحديث إسناده صحيح . انظر : خلق أفعال العباد ص٤٠ الهامش .

(٢) خلق أفعال العباد ص٤٢ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١٦/٢،١١٧،١١٩،١٢٠ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٤٢،١٤٣،١٥٣ ، شفاء العليل ص١١٥ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٧،٤٤٤ .

(٤) متن العقيدة الطحاوية ص١٧ .

المخلوقة ، مفعولة لله ، كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله ، بل هى مخلوقة مفعولة ، وهذه الأفعال هى فعل العبد القائم به ، ليست قائمة بالله ، ولايتصف بها فإنه لايتصف بمخلوقاته ومفعولاته ، وإنما يتصف بخلقه وفعله ، كما يتصف بسائر مايقوم بذاته ، والعبد فاعل لهذه الأفعال ، وهو المتصف بها ، وله عليها قدرة ، وهو فاعلها باختياره ومشيئته ، وذلك كله مخلوق لله ، فهى فعل العبد وهى مفعولة الرب"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله مبيناً هذه القاعدة العظيمة فى الفرق بين فعل الله وفعل العبد ، ومنشأ ضلال القدرية والجبرية فى ذلك فقال :

"قوله تعالى : {فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة}(٢)، وقوله : {وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة}(٣).وهذا الإغراء والإلقاء محض فعله سبحانه ، والتعادى والتباغض أثره ، وهو محض فعلهم. وأصل ضلال القدرية والجبرية من عدم اهتدائهم إلى الفرق بين فعله سبحانه وفعل العبد . فالجبرية جعلوا التعادى والتباغض فعل الرب دون المتعادين والمتباغضين . والقدرية جعلوا ذلك محض فعلهم الذى لاصنع لله فيه ولاقدرة ولامشيئة ، كما قال تعالى : {هو الذى يسيركم فى البر}(٤)، فالتسيير فعله، والسير فعل العباد ، وهو أثر التسيير . وكذلك الهدى والإضلال فعله ، والاهتداء والضلال أثر فعله ، وهما أفعالنا القائمة بنا ، فهو الهادى والعبد المهتدى ، وهو الذى يضل من يشاء والعبد الضال . وهذا حقيقة وهذا حقيقة ، والطائفتان عن الصراط المستقيم ناكبتان"(٥).

وقول المعتزلة فى أفعال العباد يتضمن الإشراك والتعطيل لأنه يتضمن إخراج بعض الحوادث أن يكون لها فاعل ، وإثبات فاعل مستقل غير الله .

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/١١٩-١٢٠ .
(٢) سورة المائدة : آية ١٤
(٣) سورة المائدة : آية ٦٤
(٤) سورة يونس : آية ٢٢
(٥) شفاء العليل ص١٢٨ .

والتعطيل والشرك من شعب الكفر(١).

وأما زعمهم بأنه لايوصف بأنه خالق للخير والشر .

يجاب عليه إضافة إلى ماسبق ذكره :

إن الخير والشر هو بالنسبة للمقدور وعاقبته ، فإن منه مايكون خيراً كالطاعات والصحة والغنى . ومنه مايكون شراًكالمعاصى والمرض والفقر . أما بالنسبة لفعل الله فلايقال إنه شر لقول النبى صلى الله عليه وسلم فى دعاء القنوت الذى علمه الحسن بن على : "وقنى شر ماقضيت"(٢).

---

(١) انظر المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٥٦ .

(٢) هو جزء من حديث دعاء القنوت .

أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الصلاة ، باب القنوت فى الوتر برقم ١٤٢٥ ، ٦٣/٢ .

والترمذى فى سننه ، كتاب الصلاة ، أبواب الوتر (٣) ، باب ماجاء فى القنوت فى الوتر (١٠) برقم ٤٦٤ . وقال : "هذا حديث حسن ، لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبى الحوراء السعدى ... ولانعرف عن النبى صلى الله عليه وسلم فى القنوت فى الوتر شيئاً أحسن من هذا" . ٣٢٩،٣٢٨/٢ .

والنسائى فى سننه ، كتاب قيام الليل ، باب الدعاء فى الوتر ٢٠٦/٣ .

وابن ماجه فى سننه ، كتاب إقامة الصلاة (٥) ، باب ماجاء فى القنوت فى الوتر (١١٧) ، برقم ١١٧٨ ، ٣٧٢/١ .

والدارمى فى سننه ، كتاب الصلاة ، باب الدعاء فى القنوت ٣٧٣/١-٣٧٤ .

والبيهقى فى سننه ، كتاب الصلاة ، باب دعاء القنوت ٢١٠،٢٠٩/٢ .

وابن الجارود فى المنتقى ، باب القنوت فى الوتر ، برقم ٢٧٢ ، ص١٠٣،١٠٤ .

وأحمد فى مسنده ١٩٩/١،٢٠٠ . وهو فى المسند بتحقيق أحمد شاكر برقم ١٧١٨،١٧٢٣،١٧٢٧ . وقال : إسناده صحيح . ١٦٧/٣،١٦٩،١٧١ .

والحاكم فى المستدرك وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ١٧٢/٣ .

وأورده الزيلعى فى نصب الراية ١٢٥/٢-١٢٦ .

والحافظ ابن حجر فى تلخيص الحبير وذكر طرقه ٢٦٣/١-٢٦٦ .

والشيخ ناصر الدين الألبانى فى إرواء الغليل برقم ٤٢٩ وذكر طرقه ومن خرجه من الأئمة . وقال عنه : صحيح ١٧٢/٢-١٧٥ .

وانظر: صحيح سنن أبى داود ٢٦٧/١ .

فأضاف الشر إلى ماقضاه لاإلى قضائه(١).

وقد أوضح شارح الطحاوية رحمه الله إضافة خلق الشر لله سبحانه أو نسبته إليه إيضاحاً تاماً ، وأزال مايعلق بالأذهان من إشكال فقال :

"فاعلم أن الشر كله يرجع إلى العدم ، أعنى عدم الخير وأسبابه المفضية إليه ، وهو من هذه الجهة شر . وأما من جهة وجوده المحض فلاشر فيه.

مثاله : إن النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هى موجودة ،وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها ، فإنها خلقت فى الأصل متحركة ، فإن أعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت به ، وإن تركت تحركت بطبعها إلى خلافه وحركتها من حيث هى حركة خير وإنما تكون شراً بالإضافة ، لامن حيث هى حركة ، والشر كله ظلم ، وهو وضع الشىء فى غير محله ،فلو وضع فى موضعه لم يكن شراً ، فعلم أن جهة الشر فيه نسبية إضافية ، ولهذا كانت العقوبات الموضوعة فى محالها خيراً فى نفسها ، وإن كانت شراً بالنسبة إلى المحل الذى حلت به ، لما أحدثت فيه من الألم الذى كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة، مستعدة له ، فصار ذلك الألم شراً بالنسبة إليها ، وهو خير بالنسبة إلى الفاعل حيث وضعه فى موضعه ، فإنه سبحانه لم يخلق شراً من جميع الوجوه والاعتبارات ، فإن حكمته تأبى ذلك ، فلايكون فى جناب الحق تعالى أن يريد شيئاً يكون فساداً من كل وجه ، لامصلحة فى خلقه بوجه ما ، هذا من أبين المحال ، فإنه سبحانه الخير كله بيديه ، الشر ليس إليه ، بل كل ماإليه فخير ، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه ، فلو كان إليه لم يكن شراً ، فتأمله . فانقطاع نسبته إليه هو الذى صيره شراً .

فإن قيل : لم تنقطع نسبته إليه خلقاً ومشيئة؟

قيل : هو من هذه الجهة ليس بشر ، فإن وجوده هو المنسوب إليه ، وهو من هذه الجهة ليس بشر ، والشر الذى فيه من عدم إمداده بالخير وأسبابه ، والعدم ليس بشىء حتى ينسب إلى من بيده الخير .

---

(١) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص٥١ .

فإن أردت مزيد إيضاح لذلك ، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة : الإيجاد والإعداد ، والإمداد . فإيجاد هذا خير ، وهو إلى الله ، وكذلك إعداده وإمداده ، فإن لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذى ليس إلى الفاعل ، وإنما إليه ضده"(١).

وأما ماستدلوا به من شبه عقلية ونقلية زاعمين أنها تدل على عدم خلق الله لأفعال العباد طاعاتها ومعاصيها . يجاب عنها بالآتى :

(١) **الشبه العقلية :**

الدليل العقلى :

أفعال العباد قبائح والله لايختار فعل القبيح .

وقد سبق الرد على هذا عند الحديث عن العدل(٢).

والخلاصة :إن الفعل القبيح قبيح من الخلق لامن الله سبحانه ، كما إنه ضار لهم لاله(٣). فلايقاس الله تعالى بخلقه فى ذلك .

وأيدوا دليلهم العقلى بأمرين :

الأول : لو كانت خلقاً لله لم تكن عملاً للعباد تقف عليه أحوالهم ، وتوجد وتنتهى بحسب اختيارهم لاكالألوان والصور .

والجواب على ذلك :

إن أهل السنة لم ينفوا أن للعبد اختياراً وقدرة ومشيئة وعملاً ، ولايسمونه مجبوراً ، لأن المجبور من أكره على خلاف اختياره ، والله سبحانه هو الذى جعل العبد مختاراً لما يفعله ، وهو سبحانه الذى خلقه وخلق اختياره(٤).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٥-٢٥٦ ،
ولمزيد بيان انظر : جامع الرسائل ١٣١/٢ .

(٢) انظر ص : **٢٤٣ فما بعدها .**

(٣) انظر : المنتقى من منهاج الإعتدال ص١٣٩ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣٧٤/٣ .

فالعبد يفعل فعله حقيقة ، وإنه مريد ومختار له حقيقة ، وإضافته ونسبته إليه حقيقة . وإن ذلك وقع بمشيئة الله وقدرته سبحانه.(١) وقدرة العبد لها تأثير فى إيجاد فعله لاباستقلال ولااستبداد بل بالإعانة والإذن والتمكين من الله سبحانه وتعالى(٢).

وأهل السنة متفقون على أن لله على عبده المطيع نعمة دينية خصه بها دون الكافر ،وأنه أعانه على الطاعة . قال تعالى : {ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان}(٣). وقال : {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}(٤)(٥).

وأفعال العبد نوعان :

نوع يكون منه من غير اقتران قدرته وإرادته به ، فيكون صفة له ولايكون فعلاً ، كحركات المرتعش .

ونوع يكون منه تقارنه قدرته واختياره . فيوصف بكونه صفة وفعلاً وكسباً له ، كالحركات الاختيارية(٦).

فالنوع الأول لم يخلقه الله بتوسط قدرة العبد ومشيئته ، بخلاف النوع الثانى فإنه خلقه بتوسط مشيئة العبد وقدرته ، كما خلق غير ذلك من المسببات بوساطة أسباب أخر(٧).

وبعد هذا يمكن أن نوفق بين كون فعل العبد مخلوقاً لله ، وكونه عملاً وكسباً للفاعل بأمرين :

أ- إن فعل العبد من صفاته والعبد وصفاته مخلوقان لله تعالى .

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٧ .
(٢) انظر : لوامع الأنوار ٢٩٦/١ .
(٣) سورة الحجرات : آية ٧
(٤) سورة الأنعام : آية ١٢٥
(٥) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٣٤،١٣٥ .
(٦) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٣ بتصرف .
(٧) انظر : مجموع الفتاوى ١٢٠/٢ .

٢- إن فعل العبد صادر عن إرادة قلبية وقدرة بدنية ولولاهما لم يكن فعلاً له، والذى خلق هذه الإرادة والقدرة هو الله تعالى ، وخالق السبب خالق للمسبب ، فنسبة فعل العبد إلى خلق الله له نسبة مسبب إلى سبب لانسبة مباشرة لأن المباشر حقيقة هو العبد ، فلذلك نسب الفعل إليه كسباً وتحصيلاً ونسب إلى الله خلقاً وتقديراً ، فلكل من النسبتين اعتبار (١).

وأفعال العبد الاختيارية تكسبه صفات محمودة وصفات مذمومة بخلاف لونه وقصره فإنها لاتكسبه ذلك (٢).

الثانى : حسن الأمر والنهى وغيرهما من الأحكام .

فوجود الأمر ببعضها والنهى عن بعض ، والمدح على بعض والذم على بعض ، والثواب على بعض والعقاب على بعض . فلو كانت خلقاً لله ماحسن شىء مما سبق .

ويوجب ذلك أن لاأمر ولانهى ولاتكليف ولاثواب ولاعقاب، ويلزم أن يكون الله ظالماً جائراً . تعالى الله عن قولهم .

والجواب على هذا :

إن أهل السنة والجماعة متفقون على أن العبد مأمور منهى ، مثاب معاقب ، موعود متوعد ، والله خالقه وخالق فعله ، ولاتنافى وتناقض بين ذلك . ولم يقل أحد إن الله هو الذى يركع ، ويسجد ، ويقوم بالأوامر ويجتنب النواهى ، بل الأمة متفقة على أن العبد هو الذى يفعل ذلك (٣).

وهو إنما يفعل ذلك باختياره ومشيئته التى خلقها الله فيه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد ص٥٤-٥٥ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٣١ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١٦/٢، ١١٧ .

"إن عقلاء بنى آدم متفقون على مافطرهم الله عليه ، من أن العبد الحى يؤمر وينهى ، ويحمد ويذم على أفعاله الاختيارية ، متفقون على أن من احتج بالقدر على ظلمه وفواحشه لم يقبل ذلك منه ، فلو ظلم ظالم لغيره لم يقبل أحد منه أن يدفع عن نفسه الملام بالقدر"(١).

وجهة خلق الله وتقديره غير جهة أمره وتشريعه ، فإن أمره وتشريعه مقصودة ببيان ماينفع العباد ، ومايضرهم. وخلقه وتقديره يتعلق به وبجملة المخلوقات ، فيفعل ماله فيه حكمة متعلقة بعموم خلقه وإن كان فى ضمن ذلك مضرة لبعض الخلق . فهو سبحانه إذا قدر على العبد الكافر الكفر إنما قدره عليه لما فى ذلك من الحكمة والمصلحة العامة ، ثم إذا عاقبه على ذلك إنما عاقبه لاستحقاقه العقاب على فعله الاختيارى ولما فى ذلك العقاب من الحكمة والمصلحة العامة .

فإنه سبحانه إن أمر عباده بأمر إنما أمرهم بما ينفعهم وإن نهاهم عن نهى إنما نهاهم عما يضرهم ، فإن أعانهم على فعل المأمور فقد تمت نعمته وله فى ذلك حكمة ، وإن خذلهم ولم يعنهم حتى فعلوا الذنب فله فى ذلك حكمة أخرى وإن كان فى ذلك تألمهم ، وهم إنما يتألمون بأفعالهم التى تورثهم النعيم أو العذاب . وذلك الإيراث بقضاء الله وقدره ، ولامنافاة بين هذا وهذا .

وأما تلك الحكمة فليس على الناس معرفتها ، وإنما عليهم التسليم والطاعة واجتناب المعاصى(٢).

قال ابن القيم رحمه الله فى بيان قول هود عليه السلام : {إن ربى على صراط مستقيم}(٣)قال :

---

(١) المرجع السابق ١١٨/٢ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الإعتدال ص١٣٣،١٣٤ .

(٣) سورة هود : آية ٥٦

"أى مع كونه مالكاً قاهراً متصرفاً فى عباده ، نواصيهم بيده فهو على صراط مستقيم . وهو العدل الذى يتصرف به فيهم فهو على صراط مستقيم فى قوله وفعله وقضائه وقدره وأمره ونهيه وثوابه وعقابه . فخبره كله صدق ، وقضاؤه كله عدل ، وأمره كله مصلحة ، والذى نهى عنه كله مفسدة ، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ، ورحمته وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته"(١).

والله سبحانه إنما يعذب العبد على فعله الاختيارى وذلك مستقر فى الفطر والعقول ولايعد ذلك ظلماً ، لأنه لو قيل إن خلق الفعل مع العقوبة عليه ظلم ، لقيل إن خلق السم ثم حصول الموت به ظلم ، فكما أن هذا سبب للموت فذلك سبب للعقوبة(٢).

والله جل وعلا عادل فى كل ماخلقه ، واضع للأشياء فى مواضعها وهو قادر على أن يظلم ، لكنه سبحانه منزه عن الظلم فلايفعله، لأنه السلام القدوس المستحق للتنزيه عن السوء(٣).

وهو سبحانه لو قدر أن يعذب أحداً لم يكن لأحد أن يمنعه عن ذلك كما قال : {قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً}(٤). ولكنه سبحانه إذا عذب أحداً فلايعذبه إلا بحق لتعاليه عن الظلم(٥).

وكونه سبحانه لم يعن الكافر أو العاصى على الطاعة ومنعه من ذلك ، فليس فى ذلك ظلم ، لأن الظلم أن تمنع غيرك حقه ، وقد حرم الله ذلك على نفسه ، وأما إذا منع غيره ماليس له فذلك عدل . فهو يتفضل على من يشاء

---

(١) الفوائد ص٤٧ .
(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٣٠،١٣١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٤ .
(٣) جامع الرسائل ص١/١٢٩ بتصرف .
(٤) سورة المائدة : آية ١٧
(٥) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٣،٥٤ .

ويمنع ذلك من يشاء كما قال :{ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}(١)، وقال : {لئلا يعلم أهل الكتاب ألّايقدرون على شيء من فضل الله ، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم}(٢). وفى حديث تخصيص هذه الأمة بزيادة الأجر دون اليهود والنصارى ، قال :

"فهو فضلى أوتيه من أشاء"(٣)(٤).

والله جل ذكره قد مدح نفسه بنفى الظلم عنه فقال : {إن الله لايظلم الناس شيئاً}(٥)، وقال :{وماأنا بظلام للعبيد}(٦). والآيات فى ذلك كثيرة .

وكونه من على المؤمن بالهداية دون الكافر فليس ذلك ظلماً فإنه يمن على من يشاء برحمته وفضله كما قال :{بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين}(٧)، وقالت الأنبياء : {إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده}(٨)، فهو لايضع العقوبة إلا فى محلها ، وهو فى ذلك عدل(٩).

قال ابن القيم رحمه الله :

---

(١) سورة الحديد : آية ٢١

(٢) سورة الحديد : آية ٢٩

(٣) جزء من حديث أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، كتاب المواقيت (٩) ، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب (١٧) ، ١٣٩/١ ، وفى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب فى المشيئة والإرادة (٣١) ، ١٩١/٨ ، وفى باب قول الله تعالى : {فأتوا بالتوارة فاتلوها} (٤٧) ، ٢١١/٨ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٤٢،٢٤٣ .

(٥) سورة يونس : آية ٤٤

(٦) سورة ق : آية ٢٩

(٧) سورة الحجرات : آية ١٧

(٨) سورة إبراهيم : آية ١١

(٩) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٣٨ .

".. وأما أهل السنة فهم مثبتون للأمرين - القدر ، والعدل - والظلم عندهم هو وضع الشيء فى غير موضعه كتعذيب المطيع ومن لاذنب له ، وهذا قد نزه الله نفسه عنه فى غير موضع من كتابه ، وهو سبحانه وإن أضل من شاء وقضى بالمعصية والغى على من شاء ، فذلك محض العدل فيه ، لأنه وضع الإضلال والخذلان فى موضعه اللائق به ، وكيف ومن أسمائه الحسنى العدل ، الذى كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق ، وهو سبحانه قد أوضح السبل ، وأرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وأزاح العلل ، ومكن من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول ، وهذا عدله ووقف من شاء بمزيد عناية ، وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه ، فهذا فضله ، وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله ، وخلى بينه وبين نفسه ، لم يرد سبحانه من نفسه أن يوفقه ، فقطع عنه فضله ، ولم يحرمه عدله ، وهذا نوعان :

أحدهما : مايكون جزاء منه للعبد على إعراضه عنه ، وإيثار عدوه فى الطاعة ، والموافقة عليه ، وتناسى ذكره وشكره ، فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه .

والثانى : أن لايشاء له ذلك ابتداء لما يعلم منه أنه لايعرف قدر نعمة الهداية ، ولايشكره عليه ، ولايثنى عليه بها ، ولايحبه ، فلايشاؤها له لعدم صلاحية محله . قال تعالى : {وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين}(١)، وقال : {ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم}(٢)، فإذا قضى على هذه النفوس بالضلال والمعصية ، كان ذلك محض العدل ، كما إذا قضى على الحية بأن تقتل وعلى العقرب وعلى الكلب العقور ، كان ذلك عدلاً فيه ، وإن كان مخلوقاً على هذه الصفة"(٣).

---

(١) سورة الأنعام : آية ٥٣

(٢) سورة الأنفال : آية ٢٣

(٣) الفوائد ص٤٨-٤٩ .

(٢) **الشبه النقلية :**

(١) قوله تعالى :{ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت}(١).

الباطل المتفاوت ليس من خلقه .

والجواب : لقد سبق بيان أن الخلق بخلاف المخلوق ، فخلق الله وهو فعله لاعيب فيه ولانقص ، وقد يوجد العيب والنقص فى بعض مخلوقاته ، وذلك حكمة منه وعدل ووضع للأشياء فى مواضعها ، ولاينفى ذلك خلقه لها .

(٢) قوله تعالى : {صنع الله الذى أتقن كل شىء}(٢).

الكفر والظلم وغيرهما ليس من خلقه ، لأنها ليست بمتقنة ولامحكمة ولاحسنة .

والجواب : هذه الآية كسابقتها فى بيان فعل الله ولاشك فى إحكامه وإتقانه .

قال القرطبى : "هذا من فعل الله وماهو فعل منه فهو متقن"(٣).

وهذا بخلاف مفعول الله تعالى ، فإن أفعال العباد من مفعوله لامن فعله ، فالكفر والظلم وغيرهما هى من فعل العباد لامن فعل الله وإنما من مفعولاته سبحانه(٤).

والله إذ خلقها أحسن رتبتها وإيقاعها فى النفوس والأجساد وإنما قبحت من الإنسان لامن خلقه لها سبحانه(٥).

{ومأأصابك من سيئة فمن نفسك}(٦)، {قل هو من عند أنفسكم}(٧)،

---

(١) سورة الملك : آية ٣

(٢) سورة النمل : آية ٨٨

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٣/١٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٤ .

(٥) انظر : الفصل فى الملل ٦٦/٣ .

(٦) سورة النساء : آية ٧٩

(٧) سورة آل عمران : آية ١٦٥

{حسداً من عند أنفسهم}(١)، {وماهو من عند الله}(٢). فهذا قد لحق العبد من جهته لامن جهة الله فدل على أنها ليست بخلقه .

والجواب على هذا :

قوله تعالى : {ماأصابك من حسنة فمن الله وماأصابك من سيئة فمن نفسك} أى ماأصابك من نعمة تحبها كالنصر والرزق فالله أنعم عليك بذلك وماأصابك من نقم تكرهها فبسبب ذنوبك وخطاياك(٣)، وليس المراد بالحسنة والسيئة الطاعة والمعصية وإنما المراد النعم من خصب ورخاء ، والنقم من جدب وشدة(٤).

روى ابن جرير عن أبى صالح(٥)أنه قال :"وماأصابك من سيئة فمن نفسك" بذنبك وأنا قدرتها عليك"(٦).

قوله تعالى : {أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شىء قدير}(٧).

والآية توجيه للمسلمين فيما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم وقد قتلوا فى بدر من المشركين سبعين وأسروا سبعين ، ولكن ماحل بهم يوم أحد إنما كان بسبب عصيانهم لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك

---

(١) سورة البقرة : آية ١٠٩

(٢) سورة آل عمران : آية ٧٨

(٣) المتنقى من منهاج الاعتدال ص٣٨ بتصرف .

(٤) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٨٦/٥ .

(٥) أبو صالح :

هو ذكوان بن عبد الله أبو صالح السمان الزيات ، مولى أم المؤمنين جويرية . كان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة . ثقة ثبت . روى عن عائشة وأبى هريرة وابن عباس وجماعة من الصحابة . وعنه ابنه سهيل والأعمش والزهرى . مات سنة ١٠١هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٤٥٠/٣ ، تذكرة الحفاظ ٨٩/١ ، سير أعلام النبلاء ٣٧،٣٦/٥ ، تهذيب التهذيب ٢١٩/٣ ، تقريب التهذيب ٢٣٨/١ .

(٦) جامع البيان ١٧٦/٥ ، تفسير القرآن العظيم ٥٢٨/١ .

(٧) سورة آل عمران : آية ١٦٥

لما خالف الرماة أمره لهم بالبقاء فى أماكنهم(١).

فماأصابهم من قتل فهى مصيبة قدرها الله عليهم بسبب معصيتهم . والله خالق السبب والمسبب . وليس فى الآية دلالة على أنهم خالقون لأفعالهم .

قوله تعالى : {ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم}(٢).

يحذر تعالى عباده المؤمنين من سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم فى الباطن والظاهر وماهم مشتملين عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم(٣)، فليس فى الآية دليل على أن أهل الكتاب يخلقون حسدهم للمؤمنين ، فالحسد ليس مخلوقاً لهم وإنما هو فعل من أفعالهم وأفعالهم تنسب لهم حقيقة لأنهم فعلوها وهى من خلق الله.ولامنافاة بين فعلهم إياها وخلق الله لها . وقد سبق بيان هذا(٤).

قوله تعالى : {وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون}(٥).

قال أبو محمد بن حزم رحمه الله :

"فلاحجة لهم فى هذا لأن أول الآية فى قوم كتبوا كتاباً وقالوا هذامن عند الله فأكذبهم الله تعالى فى ذلك وأخبر أنه ليس منزلاً من عنده ولاممما أمر به عز وجل ولم يقل هؤلاء القوم إن هذا الكتاب مخلوق فأكذبهم الله تعالى فى ذلك وقال تعالى إن ذلك الكتاب ليس مخلوقاً لله تعالى فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة.ولاشك عند المعتزلة وعندنا فى أن ذلك الكتاب

---

(١) انظر المرجع السابق ١/٤٢٤،٤٢٥ .
(٢) سورة البقرة : آية ١٠٩
(٣) انظر المرجع السابق ١/١٥٣ .
(٤) انظر ص: ٢٤٩ وما بعدها .
(٥) سورة آل عمران : آية ٧٨

مخلوق لله تعالى لأنه قرطاس أو أديم ومداد وكل ذلك مخلوق بلاشك"(١).

قوله تعالى : "تفعلون" ، "وتعملون" ، "وتصنعون"، "وتكسبون" "وتخلقون إفكاً"(٢)وفى ذلك إضافة الفعل إلى العبد بأقوى وجوه الإضافة .

والرد على هذا :

إن إضافة هذه الأفعال إلى العباد فعلاً وكسباً لاينفى إضافتها إلى الله سبحانه خلقاً ومشيئة ، فهو سبحانه الذى شاءها وخلقها وهم الذين فعلوها وكسبوها حقيقة ، فلو لم تكن مضافة إلى مشيئته وقدرته وخلقه لاستحال وقوعها منهم ، إذ العباد أعجز وأضعف من أن يفعلوا مالم يشأه الله ولم يقدر عليه ولاخلقه(٣).

وقوله : {وتخلقون إفكاً} .

يقول ابن حزم رحمه الله :

"إن لفظة الخلق مشتركة تقع على معنيين:أحدهما لله تعالى لاأحد دونه ، وهو الإبداع من عدم إلى وجود ، والثانى الكذب فيما لم يكن أو ظهور فعل لم يتقدم لغيره أو نفاذ فيما حاول.وهذا كله موجود من الحيوان والله تعالى خالق كل ذلك"(٤).

وقد فسرت الآية بتفسريين وذلك لتعدد المعانى للفظة "تخلقون" .

قال الحسن : معنى "تخلقون"تنحتون . ويكون المعنى : إنما تعبدون أوثاناً وأنتم تصنعونها .

---

(١) الفصل فى الملل ٣/٦٢-٦٣ .
وانظر معنى الآية فى الجامع لأحكام القرآن ٤/١٢١ ، تفسير القرآن العظيم ١/٣٧٦
(٢) سورة العنكبوت : آية ١٧
(٣) شفاء العليل ص١١٨-١١٩ بتصرف .
(٤) الفصل فى الملل ٣/٦٥ .

وقال مجاهد(١): الإفك الكذب . ويكون المعنى : تعبدون الأوثان وتخلقون الكذب . أى وتكذبون الكذب(٢).

واختار ابن جرير المعنى الأول وذكره عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره(٣).

ماألزم به العبد من التوبيخ والذم وماقرعه به من نعم وقرره عليه بقوله {كيف تكفرون بالله}(٤).

وقوله : {ومامنع الناس أن يؤمنوا}(٥).

والجواب :

فى الآيتين دليل على المذهب الحق وهو أن للعبد اختياراً وقدرة ومشيئة وأن فعله ينسب إليه حقيقة ولاينفى ذلك خلق الله لفعله واختياره وقدرته .

وقد بينت ذلك فيما سبق(٦).

قوله :{إن الله يأمر بالعدل والإحسان}(٧)، وقوله : {وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لايأمر بالفحشاء}(٨).

---

(١) مجاهد :
هو مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج ، المخزومى مولاهم ، المكى ، ثقة إمام فى التفسير والعلم . روى عن أبى هريرة وابن عباس وسعد .وعنه قتادة وابن عون وسيف بن سليمان . مات سنة ١٠١هـ . وقيل غير ذلك.
انظر : الجرح والتعديل ٣١٩/٨ ، الكاشف ١٢٠/٣ ، تذكرة الحفاظ ٨٦/١ ، تهذيب التهذيب ٤٢/١٠ ، تقريب التهذيب ٢٢٩/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٥/١٣ ، تفسير أبى السعود ٣٤/٧ .

(٣) انظر : جامع البيان ١٣٧/٢٠ ، تفسير القرآن العظيم ٤٠٧/٣ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٨

(٥) سورة الكهف : آية ٥٥

(٦) انظر ص: ٢٤٩ فما بعدها.

(٧) سورة النحل : آية ٩٠

(٨) سورة الأعراف : آية ٢٨

والجواب :

الآيتان فى أمر الله للعباد بما ينفعهم وأنه لايأمر إلا بما فيه خير للعباد ومصلحة ، وهذا من جهة التشريع وهى غير جهة الخلق والتقدير . وقد بينت ذلك من قبل(١)فلاحجة فيهما للمعتزلة .

قوله : {وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}(٢)فخلقهم للعبادة لاللمعصية .

والجواب : قال ابن كثير رحمه الله بعد ذكره لأقوال السلف فى تفسير الآية :

"ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لاشريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه أشد العذاب"(٣).

فعلى هذا المعنى تكون الآية من باب الإخبار بأن الناس ماخلقوا إلا لعبادة الله ، أو من باب الإنشاء أى أنه أمرهم بعبادته وحده لاشريك له . ثم منهم من يطيع ومنهم من يعصى ، وفى ذلك إثبات لاختيارهم وقدرتهم على الطاعة والمعصية ، ولاينافى ذلك خلق الله لأعمالهم . وقد سبق تفصيله(٤).

قوله تعالى : {وكل شىء فعلوه فى الزبر}(٥). فقال فعلوه ، ولم يقل فعله ، وقال فى فعله {الله خالق كل شىء}(٦)أى كل شىء يكون ولم يخلق فعلهم .

---

(١) انظر ص: ٢٥٥ فما بعدها .
(٢) سورة الذاريات : آية ٥٦
(٣) تفسير القرآن العظيم ٢٣٨/٤ .
(٤) انظر ص: ٢٥٣ فما بعدها .
(٥) سورة القمر : آية ٥٢
(٦) سورة الزمر : آية ٦٢

الجواب :

أما الآية الأولى فهى دالة على مذهب أهل السنة فى إثبات فعل العبد وأنه ينسب إليه حقيقة خلافاً للجبرية ، وكونه فاعلاً لفعله لايدل على خلقه له ، وقد سبق بيان ذلك(١).

وأما الآية الثانية ففيها دلالة واضحة على تناقض أهل الاعتزال حيث عمموا الآية فى كلام الله ، وخصصوها فى أفعال العباد ، وقد أخطأوا فى الموضعين .

قال ابن أبى العز رحمه الله :

"قوله تعالى : {الله خالق كل شىء} : أى الله خالق كل شىء مخلوق ، فدخلت أفعال العباد فى عموم كل . ومأأفسد قولهم ـ أى المعتزلة ـ فى إدخال كلام الله تعالى فى عموم كل ، الذى هو صفة من صفاته ، يستحيل عليه أن يكون مخلوقاً! وأخرجوا أفعالهم التى هى مخلوقة من عموم كل!! وهل يدخل فى عموم كل إلا ماهو مخلوق؟ فذاته المقدسة وصفاته غير داخلة فى هذا العموم ، ودخل سائر المخلوقات فى عمومها"(٢).

فالآية حجة عليهم لالهم .

ثانيا : إرادة أفعال العباد :

إن كل مايقع فى الكون فهو بتقدير الله ومشيئته ، لامشيئة للعباد إلا ماشاء لهم ، فما شاءه كان ومالم يشأه لم يكن ، ولايكون فى ملكه مالايشاؤه سبحانه(٣).

فمن شاء له الهداية اهتدى فضلاً منه ، ومن شاء له الغواية والضلال ضل وغوى ، عدلاً منه(٤). {لايسأل عما يفعل وهم يسألون}(٥).

---

(١) انظر ص٢٥٤ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٩ .
(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص١٤٦ .
(٤) انظر المرجع السابق ص١٤٨ .
(٥) سورة الأنبياء : آية ٢٣

والأدلة على ذلك من كتاب الله كثيرة جداً . وهذه طائفة منها :

(١) قال تعالى :

{والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم}(١).

(٢) وقال سبحانه :

{وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقاً فى الأرض أو سلماً فى السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلاتكونن من الجاهلين}(٢).

(٣) وقال تعالى :

{ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلاً ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون}(٣).

(٤) وقال تعالى :

{فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون}(٤).

(٥) وقال تعالى :

{ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين}(٥).

(٦) وقال تعالى على لسان نوح عليه السلام :

{ولاينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون}(٦).

---

(١) سورة الأنعام : آية ٣٩
(٢) سورة الأنعام : آية ٣٥
(٣) سورة الأنعام : آية ١١١
(٤) سورة الأنعام : آية ١٢٥
(٥) سورة يونس : آية ٩٩
(٦) سورة هود : آية ٣٤

(٧) وقال تعالى :

{ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين}(١).

(٨) وقال تعالى :

{وماتشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيماً}(٢).

(٩) قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله :

{كما بدأكم تعودون.فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة}(٣) قال : "إن الله سبحانه بدأ خلق بنى آدم مؤمناً وكافراً ثم قال : {هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن}(٤)ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمن وكافر"(٥).

وقال فى قوله : {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}(٦): "من شاء الله له الإيمان آمن ، ومن شاء الله أن يكفر كفر وهو قوله : {وماتشاءون إلا أن يشاء الله}"(٧)(٨).

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدى رحمه الله :

"والآيات فى هذه المعانى كثيرة تدل دلالة يشهد بها الكون والواقع أن جميع الكائنات مفتقرات إلى ربها فى خلقها ورزقها وتدبيرها ، وأنه لاواسطة بينه وبين الخلق ، فبإرادته وقدرته العامتين الشاملتين خلق الموجودات كلها

---

(١) سورة السجدة : آية ١٣
(٢) سورة الإنسان : آية ٣٠
(٣) سورة الأعراف : آية: ٢٩- ٣٠
(٤) سورة التغابن : آية ٢
(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥٤٧/٢ .
(٦) سورة الكهف : آية ٢٩
(٧) سورة التكوير : آية ٢٩
(٨) المرجع السابق ٥٥١/٢ .

وبإرادته وقدرته حفظها ، وبإرادته وقدرته وحكمته سيرها ودبرها ، وبعنايته ورحمته وسعة علمه أعطى كل شيء خلقه وهداه لمصالحه المتنوعة ، واعتنى بتدبيره الخاص وسوق الأرزاق والمنافع والمصالح كلها إلى مفرداته وكلياته ، والكون له بانتظامه واتساقه واحتياج بعضه إلى بعض ، وارتباط بعضه ببعض ، وتعاونه المتنوع جميعه يشهد شهادة واضحة بالقدرة والإرادة التي لايشذ عنها شيء ، والحكمة التي شملت جميع الكائنات والعلم المحيط(١).»

وهذا لاينفي أن يكون للعبد مشيئة وإرادة ، فإن الله جعل العبد مريداً قادراً فاعلاً ، فله قدرة حقيقية وله مشيئة وإرادة ولكنها لاتكون إلا بمشيئة الله تعالى كما قال سبحانه : {وماتشاءون إلا أن يشاء الله}(٢)، والله خالق العبد وخالق مشيئته وقدرته(٣).

---

(١) الرياض الناضرة ص١٥١-١٥٢ .

(٢) سورة الإنسان : آية ٣٠

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١١٢/٢ ، ٣٧٤/٣ ، المنتقى من منهاج الإعتدال ص١٤٢،١٤٣،١٥٣ ، لوامع الأنوار ٣١٤/١ .

الجواب على شبههم على عدم إرادة الله لأفعال العباد :

وقبل الإجابة على ماأوردوه من شبه عقلية ونقلية على عدم إرادة الأفعال لابد من بيان أنواع الإرادة فى كتاب الله ، لأن منشأ الضلال عندهم من تسويتهم بين نوعى الإرادة ، فنفوا أن تكون المعاصى بقضاء الله وقدره بحجة أنها ليست محبوبة ولامرضية له(١).

والذى عليه أهل السنة والجماعة أن الإرادة فى كتاب الله نوعان :

(١) إرادة قدرية كونية خلقية ، وهى التى بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات كقوله تعالى : {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء}(٢)، وكقوله : {ولاينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم}(٣)، وقوله : {ولكن الله يفعل مايريد}(٤).

(٢) إرادة دينية أمرية شرعية ، وهى المتضمنة للمحبة والرضا . كقوله : {يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر}(٥)، وقوله : {يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم}(٦)، وقوله : {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}(٧).

والأولى يلزم وقوع المراد فيها ولايلزم أن يكون محبوباً لله ، بخلاف الثانية فإنه يلزم فيها أن يكون المراد محبوباً له سبحانه ولايلزم من ذلك

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥١ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٢٥
(٣) سورة هود : آية ٣٤
(٤) سورة البقرة : آية ٢٥٣
(٥) سورة البقرة : آية ١٨٥
(٦) سورة النساء : آية ٢٦
(٧) سورة الأحزاب : آية ٣٣

وقوعه(١). وهـذا هو الفرق بين الإرادتين الذى ضل بسبب الخلط فيه طائفة أهل الاعتزال .

(١) **الجواب على الشبه العقلية :**

١ ـ لـو أرادها ماكان فعلهـا خطأ ولامعصية، لأن المفعـول مـن الطاعة فعل ماأراده المطاع، والمعصية فعل ماكرهه المعصى .

٢ ـ لايجوز أن يكـون اللـه مـريداً للمعـاصى ، لأنه وجب حينئـذ أن يكـون محباً لها راضياً عنها ، لأن الإرادة والمحبـة والـرضا مـن باب واحد .

ويجاب على هـذين بما سبـق ذكـره فى الفـرق بين الإرادة الكـونية والشرعية .

والسلف رضى الله عنهم لم يقولوا بأن الله يحب المعاصى ويرضاها ، وإنما قالوا : إنه يبغضها ويكرهها ويسخطها وينهى عنها(٢).

وقد جاء ذلك صراحة فى الكتاب والسنة . قال سبحانه : {والله لايحب الفساد}(٣)، وقال : {ولايرضى لعباده الكفر}(٤)، وقال عقب مانهى عنه من الشـرك والظلم والفـواحش والكبر : {كـل ذلـك كـان سيئـه عنـد ربك مكروهاً}(٥)، وقـال صلى الله عليه وسلم : "إن اللـه كره لكـم ثلاثاً : قيـل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال"(٦).

---

(١) انظـر : المنتقـى من منهاج الاعتـدال ص١٢٨ ، شرح العقيـدة الطحـاوية ص١١٤ ، لوامع الأنوار ١٤٥/١ مع الهامش ، شرح لمعة الاعتقاد ص٥٦ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٢٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١١٣،١١٤ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٠٥

(٤) سورة الزمر : آية ٧

(٥) سورة الإسراء : آية ٣٨

(٦) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه من حديث المغيرة بن شعبـة ، كتاب الزكاة (٢٤) ، باب قـول الله تعالى {لايسـألون الناس الحافاً} (٥٣) ، ١٣١/٢ ، وأخرجه بلفـظ مقارب فى كتاب الاستقـراض (٤٣) ، باب ماينهى عـن إضاعة المال (١٩) ، ٨٧/٣ ، وأخرجه فى كتـاب الـرقاق (٨١) ، باب مايكره مـن قيـل وقال (٢٢) ، ١٨٤/٧ .

=

وهى مع ذلك لاتخرج من مشيئة الله وقدره ، لأنه لـو لم يريدها كوناً ماوقعت ، لأنه لايقع فى ملكـه إلا ماشاءه وأراده كما قـال : {وماتشاءون إلا أن يشاء الله}(١).

ولكن كيف يريد الله أمراً ولايرضاه ولايحبه؟ فكيف تجتمع مشيئته فيه وبغضه له؟

أجاب على ذلك الإمام ابن أبى العز رحمه الله فقال :

"فاعلم أن المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره .

فـالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته ومافيه من الخير ، فهـو مراد إرادة الغايات والمقاصد .

والمراد لغيره ، قد لايكون مقصوداً لما يريد ، ولافيـه مصلحة له بالنظر إلى ذاته ، وإن كـان وسيلـة إلى مقصوده ومراده ، فهـو مكروه له من حيث نفسـه وذاته ، مـراد له من حيـث قضـاؤه وإيصاله إلى مـراده . فيجتمـع فيه الأمران : بغضه ، وإرادته . ولايتنافيان ، لاختلاف متعلقهما . وهذا كالدواء الكـريه ، إذا علم المتناول له أن فيه شفاءه ، وقطع العضـو المتآكل ، إذا علم أن فى قطعـه بقـاء جسده ، وكقطـع المسافة الشاقة ، إذا علم أنهـا توصـل إلى مراده ومحبوبه . بل العاقـل يكتفـى فى إيثـار هـذا المكـروه وإرادته بالظـن الغـالب ، وإن خفيـت عنه عـاقبته ، فكيف ممن لايخفـى عليـه خافية . فهو سبحانه يكره الشىء ، ولاينافى ذلك إرادته لأجل غيره ، وكونه سبباً إلى أمر هو أحب إليه من فوقه"(٢).

= وأخرجه مسلم فى صحيحـه ، كتاب الأقضيـة (٣٠) ، باب النهى عن كثرة المسـائل من غير حاجة (٥) برقم ١٧١٥ ، ٣/١٣٤٠-١٣٤١ .

(١) سورة الإنسان : آية ٣٠

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٢-٢٥٣ .

وأما الطاعات فإنه سبحانه يحبها ويرضاها ولايلزم من ذلك إرادتها ووقوعها وإعانة العبد على فعلها ، لأنه قد يستلزم حصول محبوب له أعظم من تلك الطاعة . وقد يتضمن وقوعها مفسدة هى أكره عنده سبحانه من محبته لتلك الطاعة . مثال ذلك قوله تعالى فى شأن المنافقين : {ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين}(١)، فإن خروجهم للغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة ، ولكنه ثبطهم عنها ولم يعنهم عليها لما يترتب على خروجهم من مفاسد عظيمة هى أكره عند الله من محبته لتلك الطاعة ، وهى قوله : {لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين}(٢).

فيحدث من فسادهم وسعيهم بالشر والفتنة بين المؤمنين واستجابة بعض المؤمنين إليهم ، من الشر ماهو أعظم من خروجهم للقتال ، فاقتضت حكمته أن أقعدهم(٣). فلله فى عباده حكم قد تخفى على خلقه وهو بها عليم .

وهذا بخلاف فعله سبحانه ، فإن محبته لما يريد أن يفعله ورضاه به يوجب وقوعه بمشيئته واختياره ، وكراهيته وبغضه له يمنع وقوعه منه مع قدرته عليه لو شاء ، وأما فعل العبد كما سبق فمحبته أو كراهيته له لاتوجب وقوعه ولاامتناعه ، فإنه يحب الطاعة والإيمان من عباده كلهم وإن لم تكن محبته موجبة لطاعتهم وإيمانهم جميعاً إذ لم يحب فعله الذى هو إعانتهم وتوفيقهم وخلق ذلك لهم ، ويبغض معاصيهم وكفرهم وفسوقهم ولم تكن هذه الكراهة والبغض مانعة من وقوع ذلك منهم إذ لم يكره سبحانه خذلانهم وإضلالهم لما له فى ذلك من الغايات المحبوبة التى فواتها يستلزم فوات ماهو أحب إليه من إيمانهم وطاعتهم(٤).

---

(١) سورة التوبة : آية ٤٦

(٢) سورة التوبة : آية ٤٧

(٣) انظر المرجع السابق ص٢٧٥ .

(٤) انظر : مفتاح دار السعادة ص١١١ .

(٣) زعمهم لو كان يريدها لكان العاصى معذوراً عند الله ، لأنه فعل مايريد الله ، موافقة لقضائه وقدره .

ويجاب على هذا :

إن العاصى ليس معذوراً على عصيانه لأن له قدرة ومشيئة وأنه مختار وليس بمجبور على أفعاله الاختيارية . فالله خلق للعبد اختياراً وإرادة(١).

والاحتجاج بالقدر على الذنوب مما يعلم بطلانه بالعقل ، فالظالم لغيره لو احتج بالقدر لاحتج ظالمه بالقدر أيضا، فالاحتجاج به على فعل المعاصى باطل باتفاق الملل والعقلاء . ولو كان القدر حجة لفاعل الفواحش لم يحسن أن يلوم أحد أحداً ، ولاأن يعاقب أحد أحداً . فلاعذر لأحد فى ترك مأمور ولافعل محظور بكون ذلك مقدراً عليه ، بل لله الحجة البالغة على خلقه(٢).

ومما يدل على عدم عذر العاصى على فعل المعصية الآتى :

١ ـ إن الله أضاف عمل العبد إليه وجعله كسباً له فقال : {اليوم تجزى كل نفس بما كسبت}(٣)، ولو لم يكن له اختيار فى الفعل وقدرة عليه مانسب عمله إليه .

٢ ـ إن الله أمر العبد ونهاه ولم يكلفه إلا مايستطيع لقوله تعالى : {لايكلف الله نفساً إلا وسعها}(٤)، {فاتقوا الله مااستطعتم}(٥)، ولو كان مجبوراً على العمل ماكان مستطيعاً على الفعل أو الكف لأن المجبور لايستطيع التخلص .

٣ ـ إن كل واحد يعلم الفرق بين العمل الاختيارى والإجبارى وأن الأول يستطيع التخلص منه بخلاف الثانى .

---

(١) انظر : الفتاوى ٣/٣٧٤ .
(٢) انظر : المنتقى ص١٣٠ .
(٣) سورة غافر : آية ١٧
(٤) سورة البقرة : آية ٢٨٦
(٥) سورة التغابن : آية ١٦

٤ ـ إن العاصى قبل أن يقدم على المعصية لايدرى ماقدر له وهو باستطاعته أن يفعل أو يترك،فكيف يسلك طريق الخطأ ويحتج بالقدر المجهول أليس من الأحرى أن يسلك الطريق الصحيح ويقول هذا ماقدر لى؟

٥ ـ إن الله أخبر أنه أرسل الرسل لقطع الحجة {لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}(١)، ولو كان القدر حجة للعاصى لم تنقطع بإرسال الرسل(٢).

وزعمهم بأنه خلق قوماً للجنة وقوماً للنار كذب وضلال :

هذا رد صريح وتكذيب لما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك منها :

مارواه أحمد بسنده إلى عبد الرحمن بن قتادة السلمى مرفوعاً : "إن الله عز وجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره ، وقال : هؤلاء فى الجنة ولاأبالى ، وهؤلاء فى النار ولاأبالى" قال : فقال قائل يارسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال :"على مواقع القدر"(٣).

وروى بسنده إلى أبى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى ، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر ، وضرب كتفه اليسرى ، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذى فى يمينه : إلى الجنة ولاأبالى ، وقال للذى فى كتفه اليسرى : إلى النار

---

(١) سورة النساء : آية ١٦٥

(٢) شرح لمعة الاعتقاد ص٥٣،٥٤ بتصرف .

(٣) مسند أحمد ١٨٦/٤ .

وأخرجه الحاكم فى المستدرك بلفظ مقارب ، وقال : "هذا حديث صحيح قد اتفقا على الاحتجاج برواته عن آخرهم إلى الصحابة" . ووافقه الذهبى ٣١/١ .

وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٣٠/١ ، ٤١٧/٧ .

وصححه الشيخ ناصر الدين الألبانى فى السلسلة الصحيحة ٧٧/١ ورقمه ٤٨ .

ولاأبالى "(١).

فهذه الأحاديث لاتدل على الجبر كما يزعم أهل الاعتزال ، وتوجيه ذلك :

إن الله سبحانه ليس كمثله شيء لافى ذاته ولاصفاته ، فهو إذا قبض قبضة فهى بعلمه وعدله وحكمته ، فقبض باليمين على من علم أنه سيطيعه ، وقبض بالأخرى على من علم أنه سيعصيه ، فلم يقبض باليمنى أو الأخرى على من هو مستحق أن يكون من القبضة الأخرى لكمال عدله سبحانه ، وأنه لايظلم مثقال ذرة .

وليس فى القبضتين دلالة على إجبار أصحابهما ، بل هو حكم منه تعالى بما يصدر من إيمان يستلزم الجنة أو كفر يقتضى النار ، والإيمان والكفر أمران اختياريان لايكره الله أحداً من خلقه على واحد منهما كما قال : {فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}(٢)(٣).

---

(١) مسند أحمد ٤٤١/٦ .
قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "وإسناده صحيح" . المرجع السابق ٧٧/١ برقم ٤٩
وروى مسلم بسنده إلى عائشة أم المؤمنين قالت : دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبى من الأنصار . فقلت : يارسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة ، لم يعمل السوء ولم يدركه . قال : "أو غير ذلك ياعائشة ، إن الله خلق للجنة أهلاً ، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم . وخلق للنار أهلاً ، خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم". كتاب القدر (٤٦) ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة (٦) برقم ٢٦٦٢ ، ٢٠٥٠/٤ .
وهذا فى معنى الأحاديث السابقة.
وروى أحمد بسنده إلى أبى نضرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة بيمينه فقال هذه لهذه ولاأبالى ، وقبض قبضة أخرى - يعنى بيده الأخرى - فقال هذه لهذه ولاأبالى ..." الحديث .
المسند ٧٨/٥ . قال الشيخ ناصر الدين الألبانى : "وإسناده صحيح" . سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٨/١ برقم ٥٠ .
(٢) سورة الكهف : آية ٢٦
(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٧٨/١-٧٩ بتصرف .

(٤) قولهم لو كان مريداً لهامانهى عنها .

الأمر والنهى إنما يتعلقان بالإرادة الشرعية لاالإرادة الكونية كما سبق بيانه(١).

(٥) قولهم : لايمكن أن يقضى على خلقه بمعصية ، ثم يعذبهم عليها ، بل ذلك محال وباطل .

ويجاب على هذا بأن الله سبحانه إنما يعذب العبد على فعله الاختيارى فهو إذا قدر على الكافر أو العاصى معصية قدرها لما فى ذلك من الحكمة والمصلحة العامة ، ثم إذا عاقبه على تلك المعصية إنما عاقبه لاستحقاقه ذلك العقاب على فعله الذى اختاره ، ولما فى ذلك العقاب من الحكمة والمصلحة العامة(٢).

والله سبحانه إذا قضى على أحد بالمعصية أو الغى ، فذلك محض عدل فيه ، لأنه وضع الإضلال والخذلان فى موضعه اللائق به .

والله جل فى علاه قد أقام الحجج على العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب ومكن لهم أسباب الهداية ، فإن أعان من شاء ووفقه إلى الطاعات فذلك فضله ، وإن خذل من شاء وحرمه توفيقه وخلى بينه وبين نفسه فذلك عدله(٣).

دخل عبد الجبار الهمدانى على الصاحب بن عباد(٤)، وعنده أبوإسحاق

---

(١) انظر ص: ٢٧٠ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٣٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٤٤ .

(٣) انظر : الفوائد ص٤٨،٤٩ .

(٤) الصاحب بن عباد :

هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس الطالقانى . الأديب الكاتب . الملقب بالصاحب لصحبته الملك مؤيد الدولة من صباه . كان شيعياً معتزلياً مبتدعاً . له تصانيف منها: "الوزراء" ، "الكشف عن مساوىء شعر المتنبى" ، "عنوان المعارف وذكر الخلائف" . مات سنة ٣٨٥هـ .

انظر : وفيات الأعيان ٢٢٨/١-٢٣٣ ، سير أعلام النبلاء ٥١١/١٦-٥١٥ ، البداية والنهاية ٣١٤/١١-٣١٦ ، لسان الميزان ٤١٣/١-٤١٦ ، شذرات الذهب ١١٣/٣-١١٦ الأعلام ٣١٦/١ .

الإسفراييني (١)، فلما رأى الأستاذ قال: "سبحان من تنزه عن الفحشاء".

فقال الأستاذ فوراً: "سبحان من لايقع فى ملكه إلا مايشاء"، فقال القاضى: "أيشاء ربنا أن يعصى"؟ قال الأستاذ: "أيعصى ربنا قهراً"؟ فقال القاضى: "أرأيت إن منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء"؟ فقال الأستاذ: "إن منعك ماهو لك فقد أساء، وإن منعك ماهو له فهو يختص برحمته من يشاء". فبهت القاضى عبد الجبار (٢).

ولو أراد الله أن يعذب من يشاء لم يكن لأحد من الخلق منعه، ولكنه سبحانه إذا عذب أحداً فلايعذبه إلا بحق لكمال عدله وتنزهه عن الظلم (٣).

(٢) **الشبه النقلية :**

وأما استدلالهم بالآيات، فلامتمسك لهم فيها، لأنهم إنما نظروا إليها بعين واحدة، فتناقضت عندهم الأدلة واضطرب عليهم الفهم، وذلك شأن أهل البدع دائماً، فإنهم يأخذون جانباً من الأدلة ويزعمون أنه يؤيد بدعتهم ويغضون الطرف عن جانب آخر يكون فيه كشف بدعتهم وبيان بطلانها.

وهكذا فعل أهل الاعتزال هنا، فإنهم أخذوا بعض الآيات التى ظنوا أنها تؤيد نفى إرادة الله لأفعال العباد وتركوا الآيات الصريحة التى تثبت

---

(١) أبو إسحاق الإسفراييني :
هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران، الإسفراييني الأصولى الشافعى الملقب بركن الدين. أحد المجتهدين، كان متكلماً، ثبتاً فى الحديث.
من تصانيفه : "الجامع" فى أصول الدين، ورسالة فى أصول الفقه. مات سنة ٤١٨هـ.
انظر : الأنساب ٢٢٥/١، وفيات الأعيان ٢٨/١، سير أعلام النبلاء ٣٥٣/١٧-٣٥٦، البداية والنهاية ٢٤/١٢، طبقات السبكى ٢٥٦/٤-٢٦٢، الوافى بالوفيات ١٠٤/٦-١٠٥، شذرات الذهب ٢٠٩/٣-٢١٠، الأعلام ٦١/١.

(٢) طبقات الشافعية ٢٦١/٤-٢٦٢، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٥١ الهامش.

(٣) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٣، ٥٤.

الإرادة لتلك الأفعال ، ولو جمعوا بين النصوص لبان لهم الحق واتضح لهم الطريق ، كما بان واتضح لأهل السنة والجماعة ففازوا بلزوم الصراط المستقيم ، والهدى القويم، {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم}(١).

فاستدلال المعتزلة بالآيات التى تنفى الظلم عن الله كقوله : {ومايريد الله ظلماً للعباد}(٢)، {ومايريد الله ظلماً للعالمين}(٣)على نفى تقدير المعاصى ، استدلال ساقط ، بعيد عن موطن الخلاف ، فالسلف رضوان الله عليهم نزهوا الله تعالى عن الظلم كما نزه نفسه عنه ، وحرمه على نفسه ،فالله لايظلم ولايضع أمراً فى غير موضعه وذلك هو الظلم ، بل هو العدل فى قوله وفعله وأمره ونهيه وثوابه وعقابه .

وقد سبق التفصيل فى ذلك بحيث يغنى عن الإعادة مرة أخرى (٤).

وأما استدلالهم بقوله تعالى : {كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً}(٥)، وقوله : {والله لايحب الفساد}(٦)، {ولايرضى لعباده الكفر}(٧). فهذه الآيات وأمثالها إنما تخص الإرادة الشرعية التى لايلزم وقوع مرادها ، وهى المتعلقة بالأوامر والنواهى ، وقد بين الفرق بينها وبين الإرادة الكونية التى هى ملزمة لوقوع مرادها(٨). ولو أن المعتزلة فرقوا بين الإرادتين وفصلوا بينهما ماوقعوا فى هذا الزيغ والضلال .

---

(١) سورة المائدة : آية ٥٤
(٢) سورة غافر : آية ٣١
(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٨
(٤) انظر ص. ٢٥٨ فما بعدها.
(٥) سورة الإسراء : آية ٣٨
(٦) سورة البقرة : آية ٢٠٥
(٧) سورة الزمر : آية ٧
(٨) انظر ص : ٢٧٠ .

ولعل من أقوى مايتمسكون به قوله تعالى : {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا ولاحرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون}(١).

قال ابن أبي العز : "وقد أجيب على هذا بأجوبة ، من أحسنها :

أنه أنكر عليهم ذلك لأنهم احتجوا بمشيئته على رضاه ومحبته ، وقالوا : لو كره ذلك وسخطه لما شاءه ، فجعلوا مشيئته دليل رضاه ، فرد الله عليهم ذلك .

أو أنه أنكر عليهم اعتقادهم أن مشيئة الله دليل على أمره به .

أو أنه أنكر عليهم معارضته شرعه وأمره الذى أرسل به رسله وأنزل به كتبه بقضائه وقدره ، فجعلوا المشيئة العامة دافعة للأمر ، فلم يذكروا المشيئة على جهة التوحيد ، وإنما ذكروها معارضين بها لأمره ، دافعين بها لشرعه ، كفعل الزنادقة ، والجهال إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر . وقد احتج سارق على عمر رضى الله عنه بالقدر ، فقال : وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره . يشهد لذلك قوله تعالى : {كذلك كذب الذين من قبلهم}(٢). فعلم أن مرادهم التكذيب ، فهو من قبل الفعل ، من أين له أن الله لم يقدره؟ اطلع الغيب؟"(٣).

يقول ابن القيم رحمه الله :

"أنكر سبحانه عليهم ماهم فيه أكذب الكاذبين وأفجر الفاجرين ولم ينكر عليهم صدقاً ولاحقاً ، بل أنكر عليهم أبطل الباطل ، فإنهم لم يذكروا ماذكروه إثباتاً لقدره وربوبيته ووحدانيته وافتقاراً إليه وتوكلاً عليه

---

(١) سورة الأنعام : آية ١٤٨

(٢) سورة الأنعام : آية ١٤٨

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص١٤٦-١٤٧ .

وانظر تفسير الآية فى : زاد المسير ٩٩/٣ ، الجامع لأحكام القرآن ١٢٨/٧-١٢٩ ، تفسير القرآن العظيم ١٨٦/٢، ١٨٧ ، فتح البارى ٤٤٩/١٣ .

واستعانة به ، ولو قالوا كذلك لكانوا مصيبين ، وإنما قالوه معارضين لشرعه ودافعين به لأمره ، فعارضوا شرعه وأمره ، ودفعوه بقضائه وقدره ، ووافقهم على ذلك كل من عارض الأمر ودفعه بالقدر ، وأيضاً فإنهم احتجوا بمشيئته العامة وقدره على محبته لما شاء ورضاه به وإذنه فيه ، فجمعوا بين أنواع من الضلال ، معارضة الأمر بالقدر ، ودفعه به ، والإخبار عن الله أنه يحب ذلك منهم ويرضاه حيث شاءه وقضاه ، وأن لهم الحجة على الرسل بالقضاء والقدر"(١).

ثم قال : "وتأمل قوله سبحانه بعد حكايته عن أعدائه واحتجاجهم بمشيئته وقدره على إبطال ماأمرهم به رسوله ، وأنه لولا محبته ورضاه به لما شاءه منهم {قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين}(٢)، فأخبر سبحانه أن الحجة له عليهم برسله وكتبه ، وبيان ماينفعهم ويضرهم وتمكنهم من الإيمان بمعرفة أوامره ونواهيه ، وأعطاهم الأسماع والأبصار والعقول فثبتت حجته البالغة عليهم بذلك واضمحلت حجتهم الباطلة عليه بمشيئته وقضائه"(٣).

موقفهم من أحاديث اثبات القدر :

ونمثل لذلك بحديث واحد وهو حديث احتجاج آدم وموسى ، وكيف رده أهل الاعتزال بحجج عقلية واهية ، وطعنوا فى نحره بأنواع الشبه ، وهكذا شأنهم مع كل حديث يخالف بدعهم .

وسياق الحديث كما أورده الإمام البخارى بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :« احتج آدم وموسى ، فقال له موسى : ياآدم أنت أبونا ، خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ، قال له آدم : ياموسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده ، أتلومنى على أمر قدر الله

---

(١) شفاء العليل ص٣٣ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٤٩
(٣) المرجع السابق ص٣٧-٣٨ .

على قبل أن يخلقنى بأربعين سنة؟ فحج آدم موسى ثلاثاً"(١).

وقد ردوه بأمرين :

الأول : هذا يوجب أن موسى كان قدرياً .

الثانى : يوجب فى كل كافر ومشرك وفاجر أن لايلام لأن ماآتاه كان مكتوباً عليه .

ثم زعموا أن من تعلق به وبأمثاله من الأحاديث فهو جاهل ويجب أن يلصق به كل ذم ، وكل لقب مذموم .

ويجاب عليهم بالآتى :

أولاً : هذا الحديث صحيح ثابت فى كتب السنة بالاتفاق .

رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم أبو هريرة وغيره ،وقد ذكر الحافظ ابن حجر أنه من طريق أبى هريرة رواه عشرة من التابعين ثم ذكرهم وذكر من خرج لهم من الأئمة(٢).

قال ابن القيم رحمه الله :

"وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة ... وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته ، فإن هذا حديث صحيح متفق على صحته ، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرناً بعد قرن وتقابله بالتصديق والتسليم ، ورواه أهل الحديث فى كتبهم وشهدوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاله ، وحكموا بصحته ، فما لأجهل الناس

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب القدر (٨٢) ، باب تحاج آدم وموسى عند الله عز وجل (١١) ٢١٤/٧ .

وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب وفاة موسى وذكره بعد (٣١) ١٣١/٤ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قوله {وكلم الله موسى تكليماً} (٣٧) ٢٠٣/٨ .

وأخرجه مسلم بلفظ مقارب ، كتاب القدر (٤٦) ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام (٢) برقم ٢٦٥٢ ، ٢٠٤٢/٤-٢٠٤٤ .

(٢) انظر فتح البارى ٥٠٦/١١ .

بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها والشهادة عليهم بأنهم مجسمة ومشبهة حشوية وهذا الشأن؟ ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين برد أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة كما ردوا أحاديث الرؤية"(١).

ثانياً : ليس فى الحديث احتجاج بالقدر على المعاصى كما يزعم المعتزلة. وآدم عليه السلام لم يحتج بالقدر لأن أنبياء الله عليهم السلام من أعلم الناس بالله وبأمره ونهيه فلايسوغ لأحدهم أن يعصى الله بالقدر ثم يحتج على ذلك(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"ومعاذ الله أن يحتج آدم أو من هو دونه من المؤمنين على المعاصى بالقدر ، فإنه لو ساغ هذا لساغ أن يحتج إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك ، ويحتج به قوم نوح وعاد وثمود ، وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان ولم يعاقب أحد . وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعاً وعقلا"(٣).

بل فى الحديث إثبات لقدر الله السابق . وفيه حجة لأهل السنة فى إثبات القدر وخلق أفعال العباد(٤).

قال ابن عبد البر رحمه الله :

"هذا الحديث أصل جسيم لأهل الحق فى إثبات القدر وأن الله قضى أعمال العباد فكل أحد يصير لما قدر له بما سبق فى علم الله"(٥).

---

(١) شفاء العليل ص٢٩ .

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٣١ ، شفاء العليل ص٣٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٤٧ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ٨٤٨/٢ .

(٤) فتح البارى ٥١٢/١١ .

(٥) المرجع السابق ٥٠٩/١١ .

ثالثاً : وقد ذكر فى احتجاج آدم بالقدر عدة أقوال المتجه منها قولان:

الأول : إنما لام موسى عليه السلام آدم عليه السلام على المصيبة التى أخرجته وذريته من الجنة بسبب أكله من الشجرة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة لاعلى المعصية ، لأن العبد مأمور أن يحتج بالقدر عند المصائب ويستغفر ويتوب عند المعايب ، كما قال سبحانه : {فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك}(١).

وقال : {ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولافى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير}(٢).

وهذا جواب شيخ الإسلام ابن تيمية واستحسنه شارح الطحاوية(٣).

الثانى : إن الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع فى موضع ويضر فى موضع ، فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم،ويضر الاحتجاج به فى الحال والمستقبل ، بأن يرتكب فعلاً محرماً أو يترك واجباً فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره ، فيبطل بالاحتجاج به حقاً ويرتكب باطلاً ، كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم لغير الله فقالوا : {لو شاء الله ماأشركنا ولاآباؤنا}(٤).

وخلاصة ذلك إن اللوم إذا ارتفع صح الاحتجاج بالقدر وإذا كان اللوم واقعاً فالاحتجاج بالقدر باطل(٥).

وقال القرطبى :

---

(١) سورة غافر : آية ٥٥

(٢) سورة الحديد : آية ٢٢

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٤٨/٢ ، شفاء العليل ص٣٨ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص١٣١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص١٤٧ .

(٤) سورة الأنعام : آية ١٤٨

(٥) شفاء العليل ص٣٨،٣٩ بتصرف .

"إنما غلبه بالحجة لأنه علم من التوراة أن الله تاب عليه فكان لومه على ذلك نوع جفاء كما يقال ذكر الجفاء بعد حصول الصفاء جفاء ، ولأن أثر المخالفة بعد الصفح ينمحى حتى كأنه لم يكن فلايصادف اللوم من اللائم حينئذ محلا" .

قال الحافظ ابن حجر :

"وهو محصل ماأجاب به المازرى وغيره من المحققين ، وهو المعتمد"(١).

---

(١) فتح البارى ٥١٠/١١ .

وقول القرطبى موجود بمعناه فى الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/١١ .

(٤) **مرتكب الكبيرة :-**

أمر مرتكب الكبيرة من الأمور التى دار حولها الجدل فى عصر مبكر من عصور الإسلام الأولى . وقد كان للمعتزلة القسط الأكبر والنصيب الأوفر فى تبنى هذه المسألة ، وتقعيد القواعد لها، وإطلاق الأحكام على من تلبس بها ، حتى عدها بعض العلماء رأس مسائل المعتزلة التى عنوا بها ، وأنها كانت السبب فى إطلاق اسم المعتزلة عليهم(١).

والمعتزلة لايعتمدون على نص من القرآن أو السنة فى إطلاقهم الأحكام على صاحب الكبيرة ، وإنما اعتمادهم على العقل .

قال عبد الجبار بعد ذكره لبعض الأحاديث التى تدل على خلود أصحاب الكبائر فى النار :

"إنما نذكر هذه الأخبار ، وإن كان أكثرها أخبار آحاد ، ليعرف من قرأ كتابنا أن التمسك بالسنة طريقتنا ، وأن هؤلاء القوم إذا احتجوا بذلك فقد أخطأوا ، وإلافطريقتنا فى هذا الجنس ، التعلق بأدلة قاطعة"(٢).

فالعمدة عندهم العقل كما هو الحال دائماً ، وأما أحاديث الآحاد فلامجال لها ههنا فى الاحتجاج كما يزعمون .

ولقد عرفوا الكبيرة من الذنوب تعريفاً يلائم ماأطلقوه على صاحبها من أحكام ، ومهدوا به السبيل لكى يستوعب تلك الأحكام .

فقالوا عنها : إن كل ماأتى فيه وعيد فهو كبيرة(٣).

حكم صاحب الكبيرة فى الدنيا :

إن صاحب الكبيرة فى الدنيا لايسمى كافراً ولامؤمناً وإنما يسمى فاسقاً ، وتلك عندهم منزلة وسطى بين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر ، ولذا أطلقوا عليها اسم المنزلة بين المنزلتين .

---

(١) انظر : تاريخ المذاهب الإسلامية ص١٠٢ .

(٢) فضل الاعتزال ص١٥٦ .

وقد يتوهم من كلام عبد الجبار أنه يحتج بالسنة ، والأمر ليس كذلك .

(٣) انظر : مقالات الإسلاميين ٣٣٢/١ .

والدليل العقلى على ذلك :

إنه لايسمى كافراً لأن أحكام الكفار فى الدنيا لاتجرى عليه ، فلايمنع عن المناكحة والموارثة والدفن وغيرها . كما أنه لايسمى مؤمناً لأنه بارتكابه الكبيرة استحق الذم واللعن والاستخفاف والإهانة ، وقد ثبت أن اسم المؤمن لمن يستحق المدح والتعظيم والمولاة(١).

وأول من نادى بالمنزلة بين المنزلتين وأظهر القول بها واصل بن عطاء الغزال(٢).

وأصبحت هذه المسألة نواة لمذهب الاعتزال(٣). واجتمعت كلمتهم عليها(٤)حتى بالغ أبو الحسين فى تمجيدها وتعظيمها فقال :

"وهل يكون قول أوضح صواباً ولاأصح معنى من قول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين ، ولو كان شىء من الدين يعلم صوابه باضطرار لعلم قول المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين باضطرار"(٥).

ولعل أيضاًمما دفعهم إلى هذا القول فهمهم لقضية الإيمان .

فالإيمان عندهم هو فعل جميع ماافترض الله على عباده ، وترك جميع مانهى عنه(٦)، أو هو أداء الطاعات بما فيها من فرائض ونوافل ، واجتناب المقبحات ، وهو القول الصحيح المختار عندهم(٧).

---

(١) انظر : شرح الأصول ص١٣٩،١٤٠،٦٩٧،٧٠١،٧٠٢،٧١٢ ، فضل الاعتزال ص٣٥٠ ، الانتصار ص١١٩ .

(٢) انظر : الملل والنحل ٤٨/١ ، موقف المعتزلة من السنة ص٤٦ .

(٣) المرجع السابق ص٤٦ .

(٤) انظر : باب ذكر المعتزلة ص٦ ، مقالات الإسلاميين ٣٣١/١ ، الفرق بين الفرق ص١١٥ .

(٥) الانتصار ص١١٩ .

(٦) انظر : فضل الاعتزال ص٢٥٠ .

(٧) انظر : شرح الأصول ص٧٠٧ .
وانظر اختلافهم فى تعريف الإيمان فى مقالات الإسلاميين ٣٢٩/١-٣٣١ .

ومن هنا لايستحق أحد اسم الإيمان إلا إذا قام بجميع الطاعات بما فيها من فرائض ونوافل ، واجتنب جميع المعاصى .

حكم مرتكب الكبيرة فى الآخرة :

وأما فى الآخرة فإنهم حكموا عليه بالخلود فى النار كالكافر، وإن كان حاله فى العقاب دون الكافر ، فعقابه أخف ، ولكنه مع ذلك خالد مؤبد فيها(١).

دليلهم العقلى على ذلك :

قال عبد الجبار :

"إن العاصى لايخلو حاله من أحد أمرين : إما أن يعفى عنه ، أو لايعفى عنه ، فإن لم يعف عنه فقد بقى فى النار خالداً ، وهو الذى نقوله ، وإن عفى عنه فلايخلو إما أن يدخل الجنة أو لا ، فإن لم يدخل الجنة لم يصح ، لأنه لادار بين الجنة والنار ، فإذا لم يكن فى النار وجب أن يكون فى الجنة لامحالة . وإذا دخل الجنة فلايخلو ، إما أن يدخلها مثاباً ، أو متفضلاً عليه . لايجوز أن يدخل الجنة متفضلاً عليه لأن الأمة اتفقت على أن المكلف إذا دخل الجنة فلابد من أن يكون حاله متميزاً عن حال الولدان المخلدين وعن حال الأطفال والمجانين ، ولايجوز أن يدخل الجنة مثاباً لأنه غير مستحق ، وإثابة من لايستحق الثواب قبيح ، والله تعالى لايفعل القبيح"(٢).

ومن هنا يتضح أن لهذه المسألة ارتباطاً وثيقاً بموضوع الوعد والوعيد الذى عده المعتزلة أصلاً من أصولهم ، وهو ينبثق من موضوع العدل الذى سبق بيانه وتوضيحه(٣).

---

(١) انظر : فضل الاعتزال ص٢١٠، ٣٥٠ ، مقالات الإسلاميين ٣٣٤/١ ، الملل والنحل ٤٥/١ .

(٢) شرح الأصول ص٦٦٦-٦٦٧ .

(٣) انظر موقف المعتزلة من السنة ص٦٨ . وانظر ص: ٢٤٣ فما بعدها.

فزعموا فى تعريف الوعد والوعيد إن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب ، وأنه يفعل ماوعد به وتوعد عليه لامحالة ، ولايجوز عليه الخلف والكذب ، والكذب قبيح والله لايفعل القبيح(١).

ولذا أوجبوا على الله أن يعذب العاصين ولايعفو عنهم ، كما أوجبوا عليه أن يثيب الطائعين ، ولو لم يفعل الله ذلك لكان قبيحاً منه سبحانه وتعالى(٢).

وللمعتزلة البغدادية تفريق فى نوعية الوجوب بالنسبة للمطيع والعاصى . فالعقاب عندهم أعلى حالاً من الثواب ، لأن الثواب لايجب إلا من حيث الجود ، وليس هذا قولهم فى العقاب ، فإنه يجب فعله فى كل حال ولايجوز أن يعفو الله عن العصاة بل يجب عليه أن ينزل بهم مايستحقونه من عذاب لامحالة(٣).

وهذا العقاب يستحقه العاصى على طريق الدوام ، فهو لو لم يستحق على طريق الدوام لكان لايحسن من الله أن يعذب الفساق بالنار ويخلدهم فيها ، كما أن العقاب كالذم يثبتان فى الاستحقاق معاً ويزولان معاً ، والفاسق يستحق الذم على طريق الدوام ، فكذلك يجب أن يستحق العقاب على طريق الدوام(٤).

ووعيد الله بالعقاب حق لايجوزعليه الخلاف ولاالكذب ، لأن الله قد خوف بوعيد قاطع وليس تخويفاً،ولو لم يفعله لما كان ذلك الوعيد صدقاً . ولايجوز أن يكون خلفه كرماً لأنه إن وجب ذلك فى الفساق وجب مثله فى الكفار ، ومتى قيل فى الكفار إنه يحسن منه وقوع الوعيد عليهم مع أن خلافه كرم ، فكذلك فى الفساق(٥).

---

(١) انظر : شرح الأصول ص١٣٦ .
(٢) انظر : شرح الأصول ص٦٤٧-٦٥٠ ، وانظر ص٥٩٨،٦١٤-٦١٥ .
(٣) انظر المصدر السابق ص٦٤٤،٦٤٥ .
(٤) انظر المصدر نفسه ص٦٦٧ .
(٥) انظر : فضل الاعتزال ص٢١١ .

بل من زعم أن خلف الوعيد كرم وأن الله يمكن أن يخلف فى وعيده كفر ، لأنه أضاف القبيح إلى الله تعالى(١).

والتوبة عندهم لاتصح إلا إذا كانت من جميع المعاصى وأما إن تاب عن بعض ولم يتب عن البعض الآخر ، لم تستقم توبته . يقول عبد الجبار : "لاتصح التوبة عن بعض القبائح مع الإصرار على البعض وهو الصحيح من المذهب ، والذى يدل على صحته أن التوبة عن القبيح يجب أن تكون ندماً عليه لقبحه وعزماً على أن لايعود إلى أمثاله فى القبح"(٢).

ومادامت قد بقيت كبيرة واحدة فهى كافية فى إسقاط جميع مالديه من ثواب ، لأنه لاثواب البتة يستحقه الإنسان مع وجود الكبيرة(٣).

وقد استدلوا بأدلة الوعيد من القرآن والسنة فأيدوا بها حججهم العقلية فى تخليد صاحب الكبيرة فى النار ، ومن ذلك :

قوله تعالى : {ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين}(٤).

فالله تعالى أخبر أن العصاة يعذبون فى النار ويخلدون فيها، والعاصى اسم يتناول الفاسق والكافر جميعاً فيجب حمله عليهما ، لأنه تعالى لو أراد أحدهما دون الآخر لبينه ، فلما لم يبين دل على ماذكرناه .

وقوله تعالى : {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً}(٥).

وقوله : {ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها}(٦).

---

(١) انظر شرح الأصول ص١٣٢ .
(٢) المرجع السابق ص٧٩٤-٧٩٥ .
(٣) انظر المصدر السابق ص٦٩١ ، مقالات الإسلاميين ٣٣٢/١ .
(٤) سورة النساء : آية ١٤
(٥) سورة الجن : آية ٢٣
(٦) سورة النساء : آية ٩٣

ووجه الاستدلال: إن من قتل مؤمناً متعمداً جازاه الله وعاقبه وغضب عليه ولعنه وذلك يؤيد خلوده فى النار .

وقوله أيضا : {إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون}(١).

ووجه الدلالة : إن المجرم اسم يتناول الكافر والفاسق جميعاً وهما مرادان بالآية ، ولو أراد الله أحدهما لبينه فلما لم يبينه دل على أنه أرادهما جميعاً .

وقوله سبحانه : {من يعمل سوءاً يجز به}(٢).

وقوله : {وإن الفجار لفى جحيم}(٣)(٤).

موقفهم من الآيات والأحاديث التى تعارض ماذهبوا إليه :

ونمثل لذلك بآية وحديث :

الآية : قوله تعالى : {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء}(٥).

يبين عبد الجبار أن المراد بقوله "مادون ذلك" صغائر المعاصى (٦).

الحديث : قوله صلى الله عليه وسلم : "فخرج من النار قوم بعدما امتحشوا وصاروا فحماً وحمماً"(٧).

يبدأ عبد الجبار إيراده بصيغة التضعيف روى .

ثم يقول :

"وجوابنا ، أن هذا الخبر لم تثبت صحته ، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد ، وخبر الواحد مما لايوجب القطع ، ومسألتنا طريقها العلم فلايمكن

---

(١) سورة الزخرف : آية ٧٤

(٢) سورة النساء : آية ١٢٣

(٣) سورة الانفطار : آية ١٤

(٤) شرح الأصول ص٦٥٧-٦٦٣ بتصرف .

(٥) سورة النساء : آية ٤٨، ١١٦

(٦) انظر : فضل الاعتزال ص١٥٤ .

(٧) يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

الاحتجاج به ... ثم إنا نعارضهم بأخبار رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب من جملتها قوله صلى الله عليه وسلم : "لايدخل الجنة مدمن خمر ولانمام ولاعاق"(١).

---

(١) هذا الحديث ورد عن جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم وهم :
١ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص :
وحديثه أخرجه النسائى فى سننه بلفظ : "لايدخل الجنة منان ولاعاق ولامدمن خمر" .
كتاب الأشربة ، باب الرواية فى المدمنين فى الخمر ٢٨٤/٨ .
والدارمى فى سننه ، كتاب الأشربة ، باب فى مدمن الخمر ١١٢/٢ .
وأحمد فى المسند ٢٠١/٢ وزاد فى رواية عنه : "ولاولد زنية" ٢٠٣/٢ .
وابن حبان فى كتاب الزكاة (١١) ورقمه ٣٣٨٤ ، ١٧٨/٨ .
وبالزيادة السابقة عند أحمد برقم ٣٣٨٣ ، ١٧٥/٨-١٧٦ "الإحسان" .
وعبد الرزاق فى المصنف برقم ١٣٨٥٩ ، ٤٥٤/٧ ، وفيه الزيادة السابقة.
وابن خزيمة فى التوحيد ص٢٣٦-٢٣٧ .
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٦٠/٦ وفيه الزيادة .
والشيخ ناصر الدين الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٨٥/٢ برقم ٦٧٣ ، وصحيح الجامع .وقال صحيح ٢٢٨/٦ .
٢ ـ عبد الله بن عمر :
وحديثه أخرجه النسائى بلفظ مقارب لحديث ابن عمرو ، فى كتاب الزكاة ، باب المنان بما أعطى ٦/٥ .
وأحمد فى المسند . وذكر بدل المنان : الديوث الذى يقر فى أهله الخبث . ١٢٨،٦٩/٢ . وانظر ١٣٤/٢ .
٣ ـ أبو سعيد الخدرى :
وحديثه أخرجه أحمد فى المسند ٤٤،٢٨/٣ .
٤ ـ أنس بن مالك :
وحديثه فى مسند أحمد أيضا ٢٢٦/٣ .
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧٧/٥ .
٥ ـ أبو الدرداء:
وحديثه فى مسند أحمد إلا أنه ذكر بدل المنان : مكذب بالقدر ٤٤١/٦ .
وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد إلا أنه ذكر "مكذب بالقدر" بدل "مدمن خمر" ٢٠٥/٧-٢٠٦ .
=

وهذا يدفع مااحتجوا به فى المسألة .

ومن ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من تردى من جبل فهو يتردى من جبل فى نار جهنم خالداً مخلداً"(١).

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : "من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها بطنه فى نار جهنم خالداً أبداً"(١).

أو قوله أيضا : "من يحتسى سماً يحتسى سماً فى نار جهنم خالداً أبدا"(١)

إلى غير ذلك من الأخبار المروية فى هذا الباب .

... إنا نتأول هذا الخبر ... على وجه يوافق الأدلة ، فنقول : إن المراد يخرج من النار ، أى يخرج من عمل أهل النار قوم"(٢).

= ٦ - ابن عباس :

أورده الهيثمى فى المجمع ٧٧/٥ .

٧ - مولى أبى قتادة :

وحديثه أخرجه الطحاوى فى مشكل الآثار وفيه زيادة "ولاولد زنية" ٣٩٥/١ .

والحديث أخرجه عبد الرزاق فى المصنف عن مجاهد مرسلاً ، وزاد فيه : ولامن أتى ذات محرم ولامرتد أعرابياً بعد هجرة . ورقمه ٢٠١٢٩ ، ١٣٦/١١ .

وأورده أبو نعيم فى الحلية من حديث أبى هريرة ، وأبى سعيد ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عباس ، ومولى لأبى قتادة ، ومجاهد مرسلاً ، وذكر طرقه إلى هؤلاء انظر ٣٠٧/٣-٣٠٩ .

ولم يرد لفظ النمام فى شىء من رواياته .

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، من حديث أبى هريرة رضى الله عنه ولفظه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن تحسى سماً فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً ، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبدا" .

فى كتاب الطب (٧٦) ، باب شرب السم والدواء به (٥٦) ، ٣٢/٧ .

وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظ مقارب للفظ البخارى مع تقديم وتأخير. فى كتاب الإيمان (١) ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (٤٧) برقم ١٠٩ ، ١٠٣/١-١٠٤ .

(٢) شرح الأصول ص٦٧٢-٦٧٣ .

مذهب السلف فى حكم صاحب الكبيرة والجواب عن شبه المعتزلة :

إن القول الأمثل فى تعريف الكبيرة ، ماترتب عليها حد أو توعد عليها بالنار ، أو اللعنة ، أو الغضب(١).

والمراد بصاحب الكبير هو أن يرتكب المؤمن كبيرة غير مكفرة بلااستحلال ويموت بلاتوبة(٢).

والمذهب الحق الذى عليه أهل السنة والجماعة أن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فهم لايخرجونه عن الإيمان بملابسته لكبائر الذنوب . وهذا حكمه فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فهو تحت مشيئة الله عز وجل إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه ، مع القطع بأنه لايخلد فى النار إلا المشرك لقوله تعالى : {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء}(٣)(٤).

وهذا القول هو الذى دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم .

أما الأدلة التى تدل على عدم خروجه من زمرة المؤمنين ، منها :

(١) قوله تعالى :

{ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم}(٥).

فلم يخرج الله تعالى القاتل من المؤمنين وجعله أخاً لولى القصاص والأخوة هنا أخوة الدين بلاريب(٦).

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٠ .

(٢) لوامع الأنوار ٣٨٩/١ .

(٣) سورة النساء : آية ٤٨،١١٦

(٤) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ٢٢٠/١ ، مجموع الفتاوى ١٥٢،١٥١/٣ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢١،٣٦٩،٣٧٠ ، لوامع الأنوار ٣٦٨/١،٣٧١،٣٨٩،٤١٠

(٥) سورة البقرة : آية ١٧٨

(٦) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢١ .

(٢) قوله تعالى :

{وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون}(١).

فأثبت سبحانه أخوة الإيمان مع وجود القتال بينهم وهو من الكبائر ولو كان كفراً لانتفت الأخوة الإيمانية(٢).

(٣) روى البخارى بسنده إلى أبى هريرة :

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها ، فإنه ليس ثم دينار ولادرهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه"(٣).

فثبت بهذا الحديث أن الظالم تكون له حسنات يستوفى المظلوم منها حقه(٤).

وأما مايدل من الأدلة على عدم خلود أصحاب الكبائر فى النار حاشا المشركين :

(١) قوله تعالى :

{إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء}(٥).

---

(١) سورة الحجرات : آية ٩،١٠

(٢) انظر : شرح لمعة الاعتقاد ص٩٩ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب القصاص يوم القيامة (٤٨) ، ١٩٧/٧ ، وبلفظ مقارب فى كتاب المظالم (٤٦) ، باب من كانت عنده مظلمة عند الرجل فحللها له (١٠) ، ٩٩/٣ .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢٢ بتصرف .

(٥) سورة النساء : آية ٤٨،١١٦

(٢) روى البخارى بسنده إلى أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

"يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن شعيرة ، ثم يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن برة ثم يخرج من النار من قال لاإله إلا الله وكان فى قلبه من الخير مايزن ذرة"(١).

(٣) روى مسلم بسنده إلى أبى ذر قال :

أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم عليه ثوب أبيض ثم أتيته فإذا هو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فجلست إليه فقال مامن عبد قال لاإله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى وإن سرق؟ قال : وإن زنى وإن سرق ، قلت : وإن زنى وإن سرق؟ ، قال : وإن زنى وإن سرق ـ ثلاثاً ـ ثم قال فى الرابعة "على رغم أنف أبى ذر" .

قال : فخرج أبو ذر وهو يقول : وإن رغم أنف أبى ذر(٢).

---

(١) صحيح البخارى ، فى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى : {لما خلقت بيدى} (١٩) ، وهو جزء من حديث طويل فى شأن الشفاعة ١٧٣/٨ .
وبمعناه فى باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٣٦) ، ٢٠٠/٨-٢٠٢ .
وبلفظ مقارب فى كتاب الإيمان (٢) ، باب زيادة الإيمان ونقصانه (٣٣) ، ١٦/١ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بلفظه وبمعناه فى كتاب الإيمان (١) ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) برقم ١٩٣ ، ١٨٢/١-١٨٤ .

(٢) صحيح مسلم فى كتاب الإيمان (١)، باب تحريم الكبر وبيانه (٣٩) برقم ٩٤ ، ٩٥/١
وأخرج نحوه فى كتاب الزكاة (١٢) ، باب الترغيب فى الصدقة (٩) بالرقم السابق ٦٨٧/٢-٦٨٩ .
وأخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ مقارب فى كتاب اللباس (٧٧) ، باب الثياب البيض (٢٤) ، ٤٣/٧-٤٤ ، وأخرج نحوه فى كتاب الجنائز (٢٣) ، باب فى الجنائز ، ومن كان آخر كلامه لاإله إلا الله (١) ، ٦٩/٢ . وفى كتاب الاستئذان (٧٩) ، باب من أجاب بلبيك وسعديك (٣٠) ، ١٣٧/٧ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب المكثرون هم المقلون (١٣) ، ١٧٦/٧-١٧٧ ، وفى كتاب التوحيد (٩٧) ، باب كلام الرب مع جبريل (٣٣) ، ١٩٦/٨ .

قال النووى فى شرحه للحديث :

"قوله صلى الله عليه وسلم : "وإن زنى وإن سرق" فهو حجة لمذهب أهل السنة أن أصحاب الكبائر لايقطع لهم بالنار وأنهم إن دخلوها أخرجوا منها وختم لهم بالخلود فى الجنة"(١).

والأدلة على عدم خلود صاحب الكبيرة فى النار كثيرة جداً . والأحاديث فى ذلك متواترة(٢).

وأما مايدل على أنه تحت المشيئة، قوله تعالى فى الآية السابقة : {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء}(٣). وفى حديث عبادة ابن الصامت : أنه صلى الله عليه وسلم قال وحوله عصابة من أصحابه : "بايعونى على أن لاتشركوا بالله شيئاً ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا أولادكم ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولاتعصوا فى معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب فى الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه . فبايعناه على ذلك"(٤).

وأما أقوال أهل العلم فإننا نقتصر على قولين جامعين لإمامين جليلين أولهما الإمام الطحاوى إذ يقول :

---

(١) شرح النووى على مسلم ٢/٩٧ .

(٢) انظر الشفاعة .ص: ١٣٠

(٣) سورة النساء : آية ٤٨،١١٦

(٤) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الإيمان (٢) ، باب (١١) ، ١/١٠ .
وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب مناقب الأنصار (٦٣) ، باب وفود الأنصار إلى النبى صلى الله عليه وسلم (٤٣) ، ٤/٢٥١ ، وفى كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة الممتحنة (٦٠) ، باب {إذاجاءك المؤمنات يبايعنك} (٣) ، ٦/٦١-٦٢ ، وفى كتاب الحدود (٨٦) ، باب توبة السارق (١٤) ، ٨/١٨ ، وفى كتاب الأحكام (٩٣) ، باب بيعة النساء (٤٩) ٨/١٢٥ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بألفاظ مقاربة ، فى كتاب الحدود (٢٩) ، باب الحدود كفارات لأهلها (١٠) برقم ١٧٠٩ ، ٣/١٣٣٣-١٣٣٤ .

"وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى النار لايخلدون ، إذا ماتوا وهم موحدون ، وإن لم يكونوا تائبين ، بعد أن لقوا الله عارفين . وهم فى مشيئته وحكمه إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله ، كما ذكر عز وجل فى كتابه : {ويغفر مادون ذلك لمن يشاء}(١) وإن شاء عذبهم فى النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ، ثم يبعثهم إلى جنته . وذلك بأن الله تولى أهل معرفته ، ولم يجعلهم فى الدارين كأهل نكرته ، الذين خابوا من هدايته ، ولم ينالوا من ولايته. اللهم ياولى الإسلام وأهله ، ثبتنا على الإسلام حتى نلقاك به"(٢).

والثانى : الإمام النووى رحمه الله فإنه قال :

"واعلم أن مذهب أهل السنة وماعليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال ، فإن كان سالماً من المعاصى كالصغير والمجنون والذى اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصى إذا لم يحدث معصية بعد توبته والموفق الذى لم يبتلى بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولايدخلون النار أصلاً .. وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو فى مشيئة الله تعالى فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً وجعله كالقسم الأول ، وإن شاء عذبه القدر الذى يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة ، فلايخلد فى النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصى ماعمل، كما أنه لايدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ماعمل . هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق فى هذه المسألة وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعى"(٣).

---

(١) سورة النساء : آية ٤٨، ١١٦

(٢) متن العقيدة الطحاوية ص١٥ .

(٣) شرح النووى على مسلم ١/٢١٧ .

وأما شبه المعتزلة فيجاب عنها بما يلى :

(١) تعريفهم للكبيرة تعريف قاصر عن تحديد الكبيرة ، والحد يجب أن يكون جامعاً مانعاً .

ولذا يمكن أن يدخل فى تعريفهم بعض الصغائر التى جاء فيها وعيد من الشارع ، ولذلك خص السلف وعيد صاحب الكبير بما ترتب عليه حد ، أو وعيد بالنار ، أو اللعنة أو الغضب(١).

(٢) سلب الإيمان من العاصى من البدع القبيحة التى دل على خلافها القرآن والسنة وإجماع السلف رضوان الله عليهم(٢).

والمعتزلة انما سلبوا إيمان الفاسق بناء على أن الأعمال عندهم شرط فى صحة الإيمان ، وهذا بخلاف المعهود عن السلف فإن الأعمال عندهم شرط فى كمال الإيمان . وهو الذى تؤيده النصوص(٣).

فعصاة المسلمين وفساقهم معهم بعض الإيمان وأصله ، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذى يستوجبون به الجنة(٤)، ولذا لايعطون اسم الإيمان المطلق ولايسلب عنهم مطلق الاسم . وأخوة الإيمان ثابتة لهم مع وجود المعاصى(٥).

قال صلى الله عليه وسلم : "من صلى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله وذمة رسوله فلاتخفروا الله فى ذمته"(٦).

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٧٠،٣٧٢ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١٥١/٣ ، لوامع الأنوار ٤١٠/١ .

(٣) لوامع الأنوار ٤٠٥/١ بتصرف .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣٧٥/٣ .

(٥) انظر المرجع السابق ١٥١/٣ .

(٦) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب الصلاة (٨) ، باب فضل استقبال القبلة (٢٨) ، من حديث أنس بن مالك ١٠٢/١ . =

وقال الإمام الطحاوى رحمه الله :

"ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم معترفين ، وله بكل ماقاله وأخبر مصدقين"(١).

وأدلة الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزانى والسارق والقاذف لايقتل ، بل يقام عليه الحد ، فدل على أنه ليس بمرتد ولايخرج من الإيمان بما فعل (٢).

والقول بخلوده فى النار من البدع أيضا المخالفة للكتاب والسنة واتفاق السلف رحمهم الله(٣).

وحكمهم عليه بالخلود فى النار يوم القيامة يلزم منه تكفيره فى الدنيا ، وقد صرح بذلك الخوارج ، والمعتزلة وإن لم يحكموا عليه بالتكفير إلا أن قولهم وقول الخوارج سواء والخلاف بينهم لفظى(٤).

(٣) إن إنفاذ الوعيد والوجوب على الله الذى دندن به المعتزلة وخلدوا به صاحب الكبيرة فى النار ، إنما هو أمر عقلى محض لاسند له من النصوص ولامن العقول السليمة .

فمن أين للعقول أن توجب وتحرم عليه سبحانه ، وكيف علمت أنه يجب عليه أن يمدح ويذم ويثيب ويعاقب على الفعل ، وأنه رضى عن فاعل، وسخط على فاعل؟ وهل ذلك إلا غيب عنا ، وإقحام للعقل فيما لاعلم له ، وتجنى على نصوص الشرع ، وقياس لله بخلقه فى أفعاله .

= قال النووى رحمه الله :

"واتفق أهل السنة ... على أن المؤمن الذى يحكم بأنه من أهل القبلة ولايخلد فى النار لايكون إلا من اعتقد بقلبه دين الإسلام اعتقاداً جازماً خالياً من الشكوك ، ونطق بالشهادتين" . شرح النووى على مسلم ١٤٩/١ .

(١) متن العقيدة الطحاوية ص١٣ .

(٢) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢١،٣٢٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص٣٢١ ، لوامع الأنوار ٤١٠/١ .

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٣٢ .

وهل كلما حسن من الخلق حسن منه وقبح منهم قبح منه؟ أم هو القياس الفاسد أيضا؟(١)

وقد سبق بيان هذا فى أفعال العباد(٢)، والحجة العقلية عندهم واحدة فكما تمخض عنها من قبل خلق العباد لأفعالهم وعدم إرادتها من الله ، تمخض عنها ههنا خلود أصحاب الكبائر فى النار ونفى الشفاعة عنهم فلاداعى للاعادة .

ولاشك إن الله وعد الطائعين بالثواب ، وأوعد العاصين بالعقاب ، وماوعد به عباده الطائعين لابد من تحققه ، كرماً منه سبحانه وفضلاً ، لأنه لايخلف الميعاد كما ذكر(٣).

وليس معنى ذلك أن العباد يستحقون دخول الجنة على ربهم بأعمالهم كما يزعم أهل الاعتزال ، بل إنما يدخلهم الجنة برحمته وفضله ، كما قال صلى الله عليه وسلم : "لن يدخل أحداً عمله الجنة" ، قالوا : ولاأنت يارسول الله؟ قال : "ولاأنا إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة ..."(٤) الحديث .

---

(١) انظر : مفتاح دار السعادة ص٥١،٥٢ .

(٢) انظر ص : ٢٤٣ فما بعدها .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٧٧٦/٢ ، المنتقى من منهاج الاعتدال ص٥٣ . من ذلك قوله تعالى : {ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد" سورة آل عمران : آية ٩

وقوله تعالى : {ولاتخزنا يوم القيامةإنك لاتخلف الميعاد} . سورة آل عمران : آية ١٩٤

وقوله سبحانه : {إن الله لايخلف الميعاد} . سورة الرعد : آية ٣١

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، من حديث أبى هريرة فى كتاب المرضى (٧٥) ، باب تمنى المريض الموت (١٩) ، ١٠/٧ ، وأخرجه بلفظ مقارب فى كتاب الرقاق (٨١) ، باب القصد والمداومة على العمل (١٨) ، ١٨١/٧-١٨٢ . =

وذلك بخلاف الوعيد ، فإن خلفه مدح لاذم ، ويجوز عليه سبحانه أن يخلف وعيده ، لأنه حقه ، فإخلافه له عفو وكرم وجود وإحسان . ولهذا مدح به كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال :

انبئت أن رسول الله أوعدنى

والعفو عند رسول الله مأمول(١)

عن عبد الملك بن قريب الأصمعى(٢)قال : جاء عمرو بن عبيد إلى أبى عمرو بن العلاء(٣)فقال : ياأبا عمرو ، أيخلف الله وعده؟ قال : لا . قال : أفأرأيت من وعده الله على عمل عقاباً أيخلف الله وعده؟

= وأخرجه مسلم فى صحيحه بألفاظ مقاربة فى كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) باب لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله تعالى (١٧) برقم ٢٨١٦ من حديث أبى هريرة ، وبرقم ٢٨١٧ من حديث جابر وبرقم ٢٨١٨ من حديث عائشة رضى الله عنها ٤/٢١٦٩-٢١٧١ .

وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٧٧٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٣٨ .

(١) انظر : لوامع الأنوار ١/٣٧٠ .

وبيت الشعر من قصيدة كعب بن زهير فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى شرح قصيدة كعب بن زهير ص٢٤٨ ،وشرح ديوان كعب ص١٩ .

(٢) الأصمعى :

هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك أبو سعيد الباهلى ، الأصمعى البصرى ، أحد الأعلام . لغوى إخبارى ، صدوق فى الحديث ، سنى ، روى عن ابن عون ، وسليمان التيمى ، ومسعر بن كدام . وعنه : يحيى بن معين وإسحاق بن إبراهيم الموصلى وجماعة آخرون . مات سنة ٢١٦هـ وقيل غير ذلك .

انظر : الجرح والتعديل ٥/٣٦٣ ، تاريخ بغداد ١٠/٤١٠-٤٢٠ ، ميزان الاعتدال ٢/٦٦٢ ، سير أعلام النبلاء ١٠/١٧٥-١٨١ ، تهذيب التهذيب ٦/٤١٥ ، تقريب التهذيب ١/٥٢١،٥٢٢ .

(٣) أبو عمرو بن العلاء :

هو أبوعمرو بن العلاء بن عمار بن العريان ، المازنى النحوى ، القارى ، اسمه زبان أو العريان . ثقة من علماء العربية . روى عن أنس ، ويحيى بن يعمر ، ومجاهد . وعنه شعبة ، وحماد بن زيد ، وأبو أسامة . مات سنة ١٥٤هـ .

انظر : تاريخ البخارى ٩/٥٥ ، تذهيب التهذيب ٤/٢٢٥ ، سير أعلام النبلاء ٦/٤٠٧-٤١١ ، تهذيب التهذيب ١٢/١٧٨ ، تقريب التهذيب ٢/٤٥٤ .

فقال أبوعمرو بن العلاء : من العجمة أتيت ، أبا عثمان ، إن الوعد غير الوعيد ، إن العرب لاتعد عاراً ولاخلفاً أن تعد شراً ثم لاتفعل ، ترى ذلك كرماً وفضلاً ، إنما الخلف أن تعد خيراً ثم لاتفعل . قال : فأوجدنى فى هذا فى كلام العرب . قال : نعم . أما سمعت قول الأول :

لايرهب ابن العم ماعشت صولتى
ولاأختتى (١) من صولة المتهدد
وإنى وإن أوعدته أووعدته
لمخلف إيعادى ومنجز موعدى (٢)

هذا إضافة إلى ماذكر من أمور تمنع من إنفاذ الوعيد .

يقول الإمام السفارينى رحمه الله :

"وعلى كل حال قد قام الدليل على ذكر الموانع من إنفاذ الوعيد بعضها بالإجماع وبعضها بالنص ، فالتوبة مانع بالإجماع ، والتوحيد مانع بالنصوص المتواترة التى لامدفع لها ، الحسنات العظيمة الماحية مانعة ، والمصائب المكفرة مانعة ، وإقامة الحدود فى الدنيا مانع بالنص ، فلاتعطل هذه النصوص وأضعاف أضعافها ، فلابد من إعمال النصوص فى الجانبين ، ومن ثم قامت الموازنةبين الحسنات والسيئات اعتباراً لمقتضى العقاب ومانعة إعمالاً لأرجحهما ، وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما ، وبناء الأحكام الشرعية والأحكام القدرية وهو مقتضى الحكمة السارية فى الوجود وبه ارتباط الأسباب ومسبباتها خلقاً وأمراً ، وقد جعل تعالى لكل ضد ضداً يدافعه ، ومانعاً يمانعه ، ويكون الحكم للأغلب منهما .

---

(١) أختتى : أى أتصاغر وانكسر .
انظر لسان العرب ، مادة (ختت) ٢٨/٢ .

(٢) أخبار عمرو بن عبيد ص١٤ .
والبيتان لعامر بن الطفيل فى ديوانه ص٥٨ .
وسياقهما فيه :

لايرهب ابن العم منى صولة ولاأختتى من صولة المتهدد
وإنى إن أوعدته أو وعدته لأخلف إيعادى وأنجز موعدى

والحاصل والله أعلم كون المذنب الملى وإن كثرت ذنوبه وعظمت خطاياه فى مشيئة مولاه إن شاء عذبه وإن شاء عفاه ، وعلى كل حال خلود أهل التوحيد فى النار من المحال فالصواب اجتنابه وعدم الالتفات إليه والتعويل على مذهب أهل الحق والركون إليه وبالله التوفيق"(١).

وزعمهم بأن التوبة لاتقبل إذا تاب عن ذنب وهو مصر على غيره ، زعم لايصح ، بل الذى عليه أهل السنة خلاف ذلك .

قال النووى رحمه الله :

"وقد أجمع العلماء رضى الله عنهم على قبول التوبة مالم يغرغر كما جاء فى الحديث(٢)، وللتوبة ثلاثة أركان : أن يقلع عن المعصية ، ويندم على فعلها ، ويعزم أن لايعود إليها ، فإن تاب من ذنب ثم عاد إليه لم تبطل توبته ،وإن تاب من ذنب وهو متلبس بآخر صحت توبته ، هذا مذهب أهل الحق وخالفت المعتزلة فى المسألتين والله أعلم"(٣).

---

(١) لوامع الأنوار ٣٧١/١ .
وانظر فى أسباب سقوط العقوبة شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢٧-٣٣٠ .

(٢) روى الترمذى بسنده إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر" .
سنن الترمذى ، كتاب الدعوات (٤٩) ، باب فضل التوبة والاستغفار (٩٩) برقم ٣٥٣٧ ، ٥١١/٥ .
وأخرجه ابن ماجه فى سننه ، فى كتاب الزهد (٣٧) ، باب فى ذكر التوبة (٣٠) برقم ٤٢٥٣ ، ١٤٢٠/٢ .
والإمام أحمد فى المسند ١٥٣،١٣٢/٢ ، ٤٢٥/٤ . قال الشيخ أحمد محمد شاكر : "إسناده صحيح" . مسند أحمد بتحقيق أحمد محمد شاكر ١٦١،١٧/٩ .
والحاكم فى المستدرك . وقال :"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" . ووافقه الذهبى ٢٥٧/٤ . وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : رجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن - بن البيلمانى - وهو ثقة . ٢٠١،٢٠٠/١٠ .
والشيخ ناصر الدين الألبانى فى صحيح الجامع . وقال حسن ١٥١/٢ .

(٣) شرح النووى على مسلم ٤٥/٢ ، وانظر : مجموع الفتاوى ٤٨٤/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢٧ ، لوامع الأنوار ٣٨٣/١ .

والقول بأن من فعل كبيرة حبط إيمانه ، هذا نوع من الظلم الذى نزه الله نفسه عنه كما قال سبحانه : {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره.ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره}(١)(٢).

(٤) مااستدلوا به من الآيات فهى من نصوص الوعيد التى وجهها السلف توجيهاً يتفق ونصوص الوعد الأخرى التى غض عنها المعتزلة الطرف ، وهذا من شأن أهل البدع فإنهم يأخذون من النصوص مايظنون أنه يوافق بدعهم ويتركون غيرها مما يخالف تلك البدع . وهكذا فعل أهل الاعتزال فى هذا المقام .

وقد ذكر العلماء توجيهات أربع فى هذه النصوص وأمثالها :

الأول : إن هذا فى حق المستحل .

الثانى : إن الاستدلال بنصوص الوعيد مبنى على العموم وليس فى اللغة ألفاظ عامة .

الثالث : هذا جزاؤه إن جازاه، أى على إضمار الشرط .

الرابع : هذا وعيد وخلفه مدح لاذ م(٣).

والقول الثالث هو الذى تؤيده أقوال العلماء . قال الإمام النووى رحمه الله فى شرحه لحديث "ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"(٤)قال :

---

(١) سورة الزلزلة : آية ٧-٨

(٢) انظر : المنتقى من منهاج الاعتدال ص٣٨ .

(٣) انظر : لوامع الأنوار ٣٧٠/١ .

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب العلم (٣) ، باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم (٣٨) ، ٣٥/١ ، وفى كتاب الأنبياء (٦٠) ، باب ماذكر عن بنى إسرائيل (٥٠) ، ١٤٥/٤ ، وفى كتاب الأدب (٧٨) ، باب من سمى بأسماء الأنبياء (١٠٩) ، ١١٨/٧ .

وأخرجه مسلم بألفاظ مقاربة فى مقدمة صحيحه ، باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) برقم ٤،٣،٢ ، ١٠/١ .

وفى كتاب الزهد (٥٣) ، باب التثبت فى الحديث (١٦) برقم ٣٠٠٤ ، ٢٢٩٩/٤ .

"هـذا جزاؤه وقد يجازى به وقد يعفو الله الكريم عنـه ولايقطع عليه بدخول النـار ، وهكذا سبيل كـل ماجاء من الوعيد بالنـار لأصحاب الكبائر غير الكفـر فكلها يقال فيهـا هذا جزاؤه وقد يجازى وقـد يعفى عنه ، ثم إن جوزى وأدخل النار فلايخلد فيها بل لابد من خروجه منهـا بفضل الله تعالى ورحمتـه ولايخلد فى النار أحد مات على التوحيد ، وهـذه قاعدة متفق عليها عند أهل السنة"(١).

وقـال الحافـظ ابن كثير رحمـه اللـه عند تفسير قـوله سبحـانه : {ومن يقتل مؤمناً متعمداً}(٢)الآية . قال :

"فقـد قـال أبو هـريرة وجمـاعة مـن السلف هذا جزاؤه إن جازاه ... ومعنى هـذه الصيغة أن هذا جزاؤه إن جوزى عليـه ، وكـذا كل وعيد على ذنب لكـن قد يكون ذلك معارضاً من أعمال صالحة تمنـع وصول ذلك الجزاء إليه ... وهذا أحسن مايسلك فى باب الوعيد"(٣).

وأهل السنة متفقون على أن العاصى مستحق للوعيد المترتب على ذلك الـذنب ، كما وردت به النصـوص ، لاكما يقول المرجئـة من أنه لايضر مع الإيمان ذنب ، ولاينفع مع الكفر طاعة .

وإذا اجتمعـت نصـوص الوعـد التى استـدلت بها المرجئـة ، ونصـوص الـوعيد التى استـدلت بهـا الخوارج والمعتزلـة ، تبين لـك فسـاد القـولين ، ولافـائدة فى كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كـل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى"(٤).

والخلـود الـذى جاء فى الآيات لايقتضـى الـدوام ، قـال اللـه تعالى : {وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد}(٥).

---

(١) شرح النووى على مسلم ١/٦٨-٦٩ .
(٢) سورة النساء : آية ٩٣
(٣) تفسير القرآن العظيم ١/٥٣٧ ، وانظر : الاعتقاد ص١٢٤ .
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٣٢٢ بتصرف .
(٥) سورة الأنبياء : آية ٣٤

وقال سبحانه : {يحسب أن ماله أخلده}(١).

وفى قول زهير بن أبى سلمى :

ألا لاأرى على الحوادث باقياً

ولاخالداً إلا الجبال الرواسيا(٢)

وفى هذا دلالة على أن الخلد يطلق على غير التأبيد ، فإن هذا يزول بزوال الدنيا . والعرب تقول : لأخلدن فلاناً فى السجن ، والسجن ينقطع ويزول ، وكذلك من سجن ، ومثله قولهم فى الدعاء : خلد الله ملكه وأبد أيامه(٣).

(٥) قولهم إن المرار فى قوله : {إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء}(٤)صغائر المعاصى .

ترده الآية ، فإن الله عز وجل لم يستثن من الذنوب سوى الشرك ، فدل ذلك على أن الغفران المعلق بالمشيئة شامل لجميع الذنوب كبائر كانت أو صغائر .

قال ابن جرير رحمه الله :

"قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففى مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه ذنبه ، وإن شاء عاقبه عليه مالم تكن كبيرته شركاً بالله تعالى"(٥).

وقد سبقت الأدلة على دخول صاحب الكبيرة سوى الشرك تحت المشيئة(٦).

---

(١) سورة الهمزة : آية ٣

(٢) ديوان زهير بن أبى سلمى ص١٠٧ ، شرح ديوان زهير ص٢٨٨ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/٥ بتصرف .

(٤) سورة النساء : آية ٤٨،١١٦

(٥) جامع البيان ١٦/٥ الجامع لأحكام القرآن ٢٤٥/٥ .

(٦) انظر ص: ٢٩٧

وأما صغائر الذنوب فإنها تكفر بكثير من الأمور ، ومن ذلك اجتناب الكبائر كما قال سبحانه : {إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً}(١).

أى : إذا اجتنبتم كبائر الآثام التى نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة(٢).

وأما الحديث فقد أخرجه البخارى ومسلم بطرق عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، ولفظ البخارى : "أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يقول الله : من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه ، فيخرجون قد امتحشوا(٣)، وعادوا حمماً(٤)، فيلقون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل ، أو قال : حمية السيل . وقال النبى صلى الله عليه وسلم : ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية"(٥). ولفظ مسلم مقارب له .

والجواب عما أثاروه من شبه حول الحديث :

(١) ذكر الحديث بصيغة التمريض روى لايتناسب مع صحته ، لأنها من صيغ التضعيف والحديث صحيح ثابت(٦).

---

(١) سورة النساء : آية ٣١

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٨٠/١ بتصرف

(٣) امتحشوا : أى احترقوا. والمحش : احتراق الجلد وظهور العظم .
النهاية فى غريب الحديث ٣٠٢/٤ .

(٤) حمماً : أى صاروا سود الأجساد كالحمم وهو الفحم .
انظر المرجع السابق ٤٤٤/١ .

(٥) صحيح البخارى فى كتاب الرقاق (٨١) ، باب صفة الجنة والنار (٥١) ، ٢٠٢/٧ .
وبلفظ مقارب فى كتاب الإيمان (٢) ، باب تفاضل أهل الإيمان (١٥) ، ١١/١ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بألفاظ مقاربة فى كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (٨٢) برقم ١٨٤ ، ١٧٢/١ .

(٦) انظر : تدريب الراوى ١٢٠/١، ١٢١ .

(٢) قولهم :الحديث لم يثبت :

خلاف الحق ، بل الحديث صحيح ثابت اتفق على صحته الإمامان الجليلان البخارى ومسلم . فهو بذلك فى أعلى مراتب الصحيح(١).

(٣) قولهم : بأنه حديث آحاد لايوجب القطع ، وإن المسألة طريقها العلم فلايمكن الاحتجاج به .

الكلام عن حديث الآحاد وحجيته سبق مستوفى(٢).

أضف إلى ذلك أن أحاديث خروج أهل الكبائر غير الشرك من النار متواترة ، فبطلت حجتهم من كل وجه .

(٤) زعمهم أنه معارض بحديث :

(أ) "لايدخل الجنة مدمن خمر ولانمام ولاعاق"(٣).

لامعارضة بين الحديثين ، وذلك لأن السلف لهم جوابان فى معنى "لايدخل الجنة" :

أحدهما : أنه محمول على من يستحل مع علمه بالتحريم فهذا كافر لايدخل الجنة أصلاً .

والثانى : معناه جزاؤه أن لايدخلها وقت دخول الفائزين إذا فتحت أبوابها لهم بل يؤخر ، ثم قد يجازى وقد يعفى عنه فيدخلها أولاً(٤).

(ب) "من تردى من جبل ..." الحديث(٥).

قال النووى رحمه الله فى شرح الحديث :

"وأما قوله صلى الله عليه وسلم "فهو فى نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً" فقيل فيه أقوال :

---

(١) انظر : المرجع السابق ، فى مراتب الصحيح وأقسامه ١/١٢٢،١٢٣ .

(٢) انظر ص : ١١٢ فما بعدها .

(٣) سبق تخريجه ص : ٢٩٢ ، ٢٩٣

(٤) انظر : شرح النووى على مسلم ٢/١٧،٥٢،٩١،١١٣ .

(٥) سبق تخريجه ص : ٢٩٣ .

أحدها : أنه محمول على من فعل ذلك مستحلاً مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته .

والثانى : أن المراد بالخلود طول المدة والإقامة المتطاولة لاحقيقة الدوام كما يقال : خلد الله ملك السلطان .

والثالث : أن هذا جزاؤه ولكن تكرم سبحانه وتعالى فأخبر أنه لايخلد فى النار من مات مسلماً"(١).

وقد دلت الأحاديث على أن قاتل نفسه لايخلد فى النار ، من ذلك : حديث جابر أن الطفيل بن عمرو الدوسى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل لك فى حصن حصين ومنعة ، قال : حصن كان لدوس فى الجاهلية ، فأبى ذلك النبى صلى الله عليه وسلم للذى ذخر الله للأنصار ، فلما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هاجرَ إليه الطفيل بن عمرو وهاجر معه رجل من قومه فاجتووا المدينة فمرض فجزع فأخذ مشاقص(٢) فقطع بها براجمه فشخبت(٣) يداه حتى مات ، فرآه الطفيل بن عمرو فى منامه فرآه وهيئته حسنة ، ورآه مغطياً يديه ، فقال له : ماصنع بك ربك؟ فقال : غفر لى بهجرتى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال : مالى أراك مغطياً يديك؟ قال : قيل لى : لن نصلح منك ماأفسدت ، فقصها الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "اللهم وليديه فاغفر"(٤).

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٢٥/٢ .

(٢) مشاقص :جمع مشقص وهو نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض .
انظر النهاية فى غريب الحديث ٤٩٠/٢ .

(٣) شخبت : أى سالت من الشخب وهو السيلان .
انظر المرجع السابق ٤٥٠/٢ .

(٤) الحديث : أخرجه مسلم فى صحيحه ، فى كتاب الإيمان (١) ، باب الدليل على أن قاتل نفسه لايكفر (٤٩) برقم ١١٦ ، ١٠٨/١-١٠٩ .

قال النووى رحمه الله :

"ففيه حجة لقاعدة عظيمة لأهل السنة ، أن من قتل نفسه أو ارتكب معصية غيرها ومات من غير توبة فليس بكافر ولايقطع له بالنار بل هو فى حكم المشيئة ، وقد تقدم بيان القاعدة وتقريرها ، وهذا الحديث شرح للأحاديث التى قبله الموهم ظاهرها تخليد قاتل النفس وغيره من أصحاب الكبائر فى النار وفيه إثبات عقوبة بعض أصحاب المعاصى فإن هذا عوقب فى يديه ، ففيه رد على المرجئة القائلين بأن المعاصى لاتضر والله أعلم"(١).

(٥) زعمهم أن الحديث يجب أن يأول ليوافق الأدلة ثم أولوه .

يجاب على ذلك بالآتى :

أولاً : لاتوجد أدلة تخالف الحديث كما يزعمون وإنما الأدلة جاءت تعضده وتؤيده وقد سبق ذكر طرف منها(٢).

ثانياً : التأويل يلجأ إليه إذا دعت الضرورة وقام دليل على ذلك ، فأين هى الضرورة التى دعت إلى تأويل الحديث عن ظاهره ، وإخراجه عن مراد النبى صلى الله عليه وسلم به؟ بل ظاهر الحديث هو المراد وهو الذى تسنده الأدلة .

ثالثاً : ماذكروه من تأويل وهو فى الحقيقة تحريف للنص وإبطال لدلالته . وإيضاح ذلك :

قولهم يخرج من عمل أهل النار أو حكمهم هذا يكون صحيحاً فى حالة تعلق الحكم بأمر الدنيا إذ هى دار العمل ، والحديث يتعلق بخروج صاحب الكبيرة من النار فى الآخرة ، وفى الآخرة لايقال يخرج من عمل أهل النار لأنه لاعمل هنالك ، وإنما هو العقاب أو الثواب ، فناسب الخروج من النار .

---

(١) شرح النووى على مسلم ١٣١/٢-١٣٢ .

(٢) انظر ص: ٢٩٥ فما بعدها.

(٥) **الشفاعة :**

إن تشبث أهل الاعتزال بوجوب تحقق الوعيد الذى ابتدعوه أدى بهم إلى نفى الشفاعة لأهل الكبائر يوم القيامة،وأنكروها أيما إنكار وصاحوا على القائلة بها من كل حدب وصوب ورموه بكل سبة وداهية ، وليس لهم دليل يستندون إليه إلا بدعة تحقق الوعيد ومايتبعها من ذيول وحواشى .

يقول ابن المنير فى تعليقه على الزمخشرى :

"ماأنكرها - أى الشفاعة - القدرية إلا لايجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصى على المعصية إيجاباً عقلياً على زعمهم فهذه الحالة فى إنكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة"(١).

وهذا مارددته شفاه أهل الاعتزال ، ونطقت به ألسنتهم .

يقول أبو على الجبائى :

"إن أهل النار إذادخلوا النار ، لم يصح خروجهم منها ، لأنهم من أهل العقاب ، ولايجوز مع ذلك أن يكونوا من أهل الثواب ، لأن ذلك كالمتضاد ، لو تخلصوا بالشفاعة لم يخل حالهم إذا أدخلهم الله الجنة ، من أن يكون من أهل الثواب أوالتفضل ، والعقل قد دل على أن لاثواب لهم ، والسمع قد دل على أن المكلف فى الجنة لايجوز أن يكون بمنزلة أهل التفضل وأن يكون من خدم أهل الجنة ، فهذا أيضاً يمنع مماقالوه فى الشفاعة"(٢).

فالشفاعة للفساق الذين ماتوا على فسوقهم ولم يتوبوا لاتجوز ، بل مثالها مثال الشفاعة لمن قتل ولد الغير وظل يتربص للآخر حتى يقتله فكما أن هذا قبيح فهى قبيحة أيضاً(٣).

والنبى صلى الله عليه وسلم لايشفع لصاحب الكبيرة ، ولايجوز له ذلك لأن إثابة من لايستحق الثواب قبيحة(٤).

---

(١) الإنصاف على هامش الكشاف ١٥٢/١ .
(٢) فضل الاعتزال ص٢٠٩ .
(٣) انظر : شرح الأصول ص٦٨٨ .
(٤) المصدر السابق ص٦٨٩ .

والفاسق إنما يستحق العقوبة على الدوام ، فكيف يخرج من النار بشفاعته صلى الله عليه وسلم(١).

وأهل النار يستحقون اللعن والغضب والسخط ، فكيف يجوز للنبى صلى الله عليه وسلم أن يشفع فيهم ، لأن من حق الشافع أن يكون محباً وراضياً عن من يشفع له ، وهذا يستلزم أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم-إن شفع لهم-محباً لهم وراضياً عنهم وذلك لايصح .

والشفاعة إنما تكون لأهل الثواب دون العقاب ، ولأولياء الله دون أعدائه ، وللمؤمنين دون أهل الكبائر . وهى إنما تكون بزيادة الثواب ، وذلك تفضلاً عظيماً من الله عليهم(٢).

وفائدتها بالنسبة للمؤمنين : رفع مرتبة الشفيع ، والدلالة على منزلته من المشفوع(٣).

يقول عبد الجبار :

"لاخلاف بين الأمة فى أن شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم ثابتة للأمة وإنما الخلاف فى أنها تثبت لمن؟

فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين ، وعند المرجئة(٤)أنها للفساق من أهل الصلاة"(٥).

---

(١) انظر المصدر السابق ص٦٨٩ .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص٢٩٨ .

(٣) انظر : شرح الأصول ص٦٨٩ .

(٤) المرجئة :

من الإرجاء وهو التأخير .

والمرجئة لقب أطلق على طائفة تؤخر العمل عن الإيمان ، بمعنى أنهم لايدخلون العمل فى مسمى الإيمان ، وقصروا الإيمان على المعرفة . وأكثرهم يرى أن الإيمان لايتبعض ، ولايزيد ولاينقص ، وزعم بعضهم أنه لايضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة.

انظر : مقالات الإسلاميين ١٣٢/١ ، الملل والنحل ١٣٩/١ فما بعدها .

(٥) شرح الأصول ص٦٨٨ .

وقال الزمخشرى :

"الشفاعة لاتكون إلا فى زيادة التفضل ، وأهل التفضل وزيادته إنما هم أهل الثواب . بدليل قوله تعالى : {ويزيدهم من فضله}"(١)(٢).

وقد تعلقوابعض الآيات التى ينفى ظاهرها الشفاعة ، وأما مايثبتها فقد أغمضوا عيونهم وصموا آذانهم عنها إلا من تأويل(٣).

ومما استدلوا به :

قوله تعالى : {واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة}(٤).

يقول الزمخشرى :

"فإن قلت هل فيه دليل على أن الشفاعة لاتقبل للعصاة؟ قلنا : نعم لأنه نفى أن تقضى نفس عن نفس حقاً أخلت به من فعل أو ترك ثم نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لاتقبل للعصاة"(٥).

وقال فى قوله تعالى : {ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة}(٦)الآية .

قال : "وإن أردتم أن يحط عنكم مافى ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم حط الواجبات لأن الشفاعة ثمة فى زيادة الفضل لاغير"(٧).

ومن ذلك أيضاقوله تعالى : {ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع}(٨).

ووجه الدلالة : إن الله قد نفى أن يكون للظالمين شفيع البتة ، فلو كان النبى صلى الله عليه وسلم شفيعاً للظلمة لكان لأجل وأعظم منه .

---

(١) سورة النساء : آية ١٧٣

(٢) الكشاف ٣٦٦/٣ .

(٣) انظر موقف المعتزلة من السنة ص٦٩ .

(٤) سورة البقرة : آية ٤٨

(٥) الكشاف ٦٧/١ .

(٦) سورة البقرة : آية ٢٥٤

(٧) الكشاف ١٥٢/١ .

(٨) سورة غافر : آية ١٨

ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى : {أفأنت تنقذ من فى النار}(١)، وقوله :{ولايشفون إلا لمن ارتضى}(٢)(٣).

وقوله تعالى : {ومالظالمين من أنصار}(٤)، ولانصرة أعظم من أن يخلصهم من النار الدائمة، فإذا نفاها ثبت أن لاشفيع لهم .

وأما الأحاديث التى تثبت الشفاعة فقد أطلق عليها عبد الجبار حكماً عاماً وهو أن أكثرها مضطرب ، ومايعرف منها فهو ماروى "إن شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى"(٥)(٦).

ثم أجاب عنه بأجوبة :

١ - إن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً ، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبى ، ومسألتنا طريقها العلم ، فلايصح الاحتجاج به .

٢ - إنه معارض بأخبار رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى باب الوعيد نحوقوله : "لايدخل الجنة نمام ولامدمن خمر ولاعاق"(٧)، وقوله : "من قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها بطنه يوم القيامة فى نار جهنم خالداً مخلداً"(٨).

فليس بأن يوجد بما أوردوه أولى من أن يوجد بما رويناه ، فيجب اطراحهاجميعاً ، أو حمل أحدهما على الآخر ، فنحمله على مايقتضيه كتاب الله وسنة رسوله فيكون :

---

(١) سورة الزمر : آية ١٩

(٢) سورة الأنبياء : آية ٢٨

(٣) انظر : شرح الأصول ص٦٨٩ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٧٠ ، آل عمران :آية ١٩٢ ، المائدة : آية : ٧٢

(٥) سوف يأتى تخريج الحديث والكلام عنه .

(٦) انظر : فضل الاعتزال ص٢٩٨ .

(٧) الحديث سبق تخريجه انظر: ص: ٢٩٢ ، ٢٩٣

(٨) الحديث سبق تخريجه . انظر: ص: ٢٩٣

"المراد به شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى إذا تابوا ، فإن ماستحقه التائب من الثواب قد انحبط بارتكابه الكبيرة ، ولاثواب له إلا مقدار ماقد استحقه بالتوبة فبه حاجة إلى نفع التفضل عليه"(١).

الجواب على ماأثاروه من شبه :

إن الحديث عن الشفاعة فرع عن الحديث عن أهل الكبائر ، لأنها تتعلق بحكمهم فى الآخرة .

والناس فى الشفاعة ثلاث فرق ، طرفان ووسط :

فالمشركون والمبتدعة الغلاة من عباد القبور والمشايخ جعلوا من يعظمونهم شفعاء ووسطاء بينهم وبين الله سبحانه وصرفوا لهم من أجل ذلك شيئاً من العبادات .

والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره فى أهل الكبائر .

وأما أهل السنة والجماعة فأقروا بشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم وشفاعة غيره فى أهل الكبائر(٢).

وقالوا : بأنه لايخلد فى النار من أهل التوحيد أحد(٣).

والذى ذهب إليه أهل السنة والجماعة من إثبات الشفاعة هو الذى تؤيده أدلة الكتاب والسنة ، وعلى ذلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان ، بل والإجماع منعقد عليه قبل ظهور المبتدعة ، والعقل الصريح لايحيل إثباتها(٤).

ويمكن أن نجمل شبه المعتزلة فيما يلى :

* الأحاديث فى الشفاعة أكثرها مضطرب ، ومايعرف منها فهو ماروى "إن شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى"(٥)ثم ردوه بالآتى :

---

(١) شرح الأصول ص٦٩٠،٦٩١ بتصرف .

(٢) وسوف تأتى بعض الأدلة على ذلك .

(٣) انظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٨٢١/٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٥ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١١٦/١،١٤٩،١٥٤،٣١٨ ، لوامع الأنوار ٢٠٨/٢،٢١٨ .

(٥) سوف يأتى تخريجه والكلام عنه .

(أ) إنه لم تثبت صحته .

(ب) لو صح فهو خبر آحاد ومسألة الشفاعة طريقها العلم ، فلايصح الاحتجاج به .

(ج) إنه معارض بأخبار أخرى :

١ - "لايدخل الجنة نمام ولامدمن خمر ولاعاق"(١).

٢ - "من قتل نفسه بحديدة ..." الحديث(٢).

فإما أن تطرح جميعاً أو يحمل أحدها على الآخر ، فنحمله على مايقتضيه كتاب الله وسنة رسوله .

فنقول : "المراد به شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى إذا تابوا".

وبالتالى لاشفاعة لأهل الكبائر . والنبى صلى الله عليه وسلم لايشفع فيهم لأنه يلزم حينئذ أن يكون محباً لهم راضياً عنهم وذلك لايصح لأنهم يستحقون اللعن والغضب والسخط . وإنما تكون الشفاعة للمؤمنين فقط لزيادة الثواب ، تفضلاً من الله عليهم لقوله : {ويزيدهم من فضله}(٣)، وفائدتها : رفع مرتبة الشفيع ، والدلالة على منزلته من المشفوع .

واستدلوا على ذلك بأدلة عقلية ونقلية :

(١) **الدليل العقلى :**

إن الله يجب عليه أن يثيب الطائع ويعاقب العاصى ، وإثابة من لايستحق الثواب قبيحة . والعصاة ليسوا من أهل الثواب ، ولامن أهل التفضل لأنهم مكلفون ، فلاشفاعةلهم .

(٢) **الأدلة النقلية :**

(أ) قوله تعالى : {واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة}(٤).

---

(١) سبق تخريجه . انظر : ص : ٢٩٢ ، ٢٩٣

(٢) سبق تخريجه . انظر : ص : ٢٩٣

(٣) سورة النساء : آية ١٧٣

(٤) سورة البقرة : آية ٤٨

(ب) قوله تعالى : {ياأيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة}(١).

(ج) قوله تعالى :{ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع}(٢).

(د) قوله تعالى : {أفأنت تنقذ من فى النار}(٣).

(هـ) قوله تعالى : {ولايشفعون إلا لمن ارتضى}(٤).

(و) قوله تعالى : {ومالظالمين من أنصار}(٥).

ويجاب على شبههم بما يلى :

(١) زعمهم أن الأحاديث أكثرها مضطرب .

هذه حجة واهية ، وزعم عار عن الصحة، لايتفوه به إلا من جهل حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أو أغمض عينيه عنه، بل الأحاديث فى إثبات الشفاعة لأهل الكبائر ثابتة . منها فى الصحيحين أحاديث متعددة ، وفى السنن والمسانيد مما يكثر عدده(٦).

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٥٤

(٢) سورة غافر : آية ١٨

(٣) سورة الزمر : آية ١٩

(٤) سورة الأنبياء : آية ٢٨

(٥) سورة البقرة : آية ٢٧٠ ، آل عمران : آية ١٩٢ ، المائدة : آية ٧٢

(٦) انظر مجموع الفتاوى ٣١٤/١ .

وانظر صحيح البخارى ، كتاب الإيمان (١) ، باب الحرص على الحديث (٣٣) ، ٣٣/١ ، كتاب التفسير (٦٥) ، تفسير سورة بنى إسرائيل (١٧) ، باب ذرية من حملنا مع نوح (٥) ، ٢٢٥/٥-٢٢٧ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله {لما خلقت بيدى} (١٩) ، ١٧٢/٨-١٧٣ .

=

وقد نص جماعة من العلماء على أنها تبلغ حد التواتر المعنوى (١).

(٢) (أ) زعمهم أن حديث "شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى"(٢) لم تثبت صحته زعم مردود .

= صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (٨٢) ، حديث رقم ١٨٤،١٨٥ ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) ، حديث رقم ١٩١،١٩٣،١٩٤،١٩٦ ، باب اختباء النبى صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته (٨٦) ، حديث رقم ١٩٨،١٩٩،٢٠٠،٢٠١ ، ١/١٧٢-١٩٠ .
سنن أبى داود ، كتاب السنة ، باب فى الشفاعة ٤/٢٣٦ .
سنن الترمذى ، كتاب صفة القيامة (٣٨) ، باب ماجاء فى الشفاعة ١٠،١١،١٢،١٣ ، ٤/٥٣٧-٥٤٢ .
سنن ابن ماجه ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب ذكر الشفاعة (٣٧) ، ٢/١٤٤٠-١٤٤٤ .
سنن الدارمى ، كتاب الرقاق ، باب فى الشفاعة ٢/٣٢٧-٣٢٩ .

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١/١٤٩،٣١٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٣ ، لوامع الأنوار ٢/٢٠٨،٢١٨ .

(٢) أخرجه أبوداود فى سننه عن أنس بن مالك رضى الله عنه ، كتاب السنة ، باب فى الشفاعة برقم ٤٧٣٩ ، ٤/٢٣٦ .
والترمذى فى سننه عن أنس برقم ٢٤٣٥ .
وقال : "حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه" .
وعن جابر بن عبد الله برقم ٢٤٣٦ ، وقال : "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه" ، كتاب صفة القيامة (٣٨) ، باب ماجاء فى الشفاعة (١١) ، ٤/٥٣٩-٥٤٠
وابن ماجه فى سننه عن جابر ، كتاب الزهد (٣٧) ، باب ذكر الشفاعة (٣٧) ، برقم ٤٣١٠ ، ٢/١٤٤١ .
وأحمد فى المسند عن أنس ٣/٢١٣ .
وابن حبان عن جابر فى كتاب التاريخ (٦٠) ، باب ذكر البيان بأن الشفاعة فى القيامة إنما تكون لأهل الكبائر برقم ٦٤٦٧ .
وعن أنس فى باب ذكر إثبات الشفاعة فى القيامة برقم ٦٤٦٨ ، ١٤/٣٨٦-٣٨٧ ، الإحسان فى تقريب صحيح ابن حبان .
والحاكم فى المستدرك عن أنس وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ" ثم ذكر له متابعات ، وشاهد من حديث جابر ، وقال عنه : "صحيح على شرط مسلم" . ووافقه الذهبى ١/٦٩ . =

لأن الحديث قد ثبتت صحته ، وأيدته الأحاديث الثابتة(١).

= وابن خزيمة فى التوحيد عن أنس ص٢٧٠ ، وعن جابر ص٢٧١ ،والآجرى فى الشريعة عن أنس وعن جابر ص٣٣٨ .
وأبو نعيم فى الحلية من طرق عن جابر ٣/٢٠٠-٢٠١ ، وعن أنس ٧/٢٦١ .
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد عن ابن عباس وقال : "رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط .. وفيه موسى بن عبد الرحمن الصنعانى وهو وضاع" .
وعنه أيضا ، وقال : "رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه حرب بن سريح وقد وثقه غير واحد وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح" .
وعن أنس وقال : "رواه البزار والطبرانى فى الصغير والأوسط" . ١٠/٣٨١ .
والحديث صحيح كما نص على ذلك الشيخ ناصر الدين الألبانى .
انظر : صحيح سنن أبى داود ٣/٨٩٨ ، صحيح سنن ابن ماجه ٢/٤٣١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٣ هامش ٢٠٦ .
والشيخ شعيب الأرناؤوط . انظر الإحسان ١٤/٣٨٦،٣٨٧ فى الهامش .

(١) من ذلك :
ماورواه مسلم بسنده إلى أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لكل نبى دعوةمستجابة ، فتعجل كل نبى دعوته ، وإننى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة . فهى نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لايشرك بالله شيئاً".
صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب اختباء النبى صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته (٨٦) برقم ١٩٩ ، ١/١٨٩ .
وانظر صحيح البخارى ، كتاب الدعوات (٨٠) ، باب قوله {ادعونى أستجب لكم} الآية (١) ، ٧/١٤٥ ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب فى المشيئة والإرادة (٣١) ، ٨/١٩٢-١٩٣ .
وروى البخارى من حديثه رضى الله عنه أنه قال : قيل يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد ظننت ياأبا هريرة أن لايسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث . أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لاإله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه".
صحيح البخارى ، كتاب العلم (٣) ، باب الحرص على الحديث (٣٣) ، ١/٣٣ ، كتاب الرقاق (٨١) ، باب صفة الجنة والنار (٥١) ، ٧/٢٠٤ .

(ب) زعمهم بأنه خبر آحاد لايحتج به ، والشفاعة طريقها العلم .

زعم أوهى من سابقه ، وبيان ذلك :

كونه خبر آحاد لايحتج به . قد سبق الحديث عن خبر الآحاد ، والاحتجاج به(١). كما سبق بيان أن أحاديث الشفاعة لأهل الكبائر تواترت معنوياً(٢). فبطلت حجتهم .

(ج) زعمهم أنه معارض بحديث "لايدخل الجنة نمام ..." الحديث .

وبحديث "من قتل نفسه بحديدة ..." الحديث .

فقد أجيب على ذلك من قبل ، بما يرفع التعارض ، ويوفق بين النصوص(٣).

وأما حملهم للحديث على أن المراد به شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر إذا تابوا . لادليل لهم على ذلك.

وهو مع أنه تأويل مناهض للنصوص الثابتة ، ولايدل عليه لفظ الحديث ، فهو أيضا معنى فاسد لأن الذى يتوب من الذنب لايوصف به بعد ذلك ، بل يبدل الله سيئاته حسنات فضلاً منه وكرماً(٤).

فصاحب الكبيرة إذا تاب عن كبيرته وصحت توبته زال عنه هذا الاسم .

(٣) زعمهم أن النبى صلى الله عليه وسلم لايشفع لأهل الكبائر لأنه يلزم حينئذ أن يكون محبًالهم راضياًعنهم وذلك لايصح لأنهم يستحقون اللعن والغضب والسخط ، وإنما تكون الشفاعة لزيادة الثواب .

---

(١) انظر ص : ١١٢ فما بعدها .

(٢) انظر ص : ٣١٩

(٣) انظر ص : ٣٠٩ ، ٣١٠

(٤) قال الله تعالى : {إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً} .
سورة الفرقان : آية ٧٠

يرد على ذلك بما يأتى :

شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لأهل الكبائر وغيرهم ثابتة بالنصوص الدالة على ذلك(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"أجمع المسلمون على أن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك ، وبعد أن يأذن الله له فى الشفاعة . ثم إن أهل السنةوالجماعة متفقون على ماتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستفاضت به السنن من أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر من أمته ، ويشفع أيضاً لعموم الخلق"(٢).

وشفاعته صلى الله عليه وسلم ليست فقط فى زيادة الثواب ورفع الدرجات كما تزعم المعتزلة ، بل له شفاعات أخرى دلت عليها النصوص ، ونص عليها أهل العلم . من ذلك :

(١) الشفاعة العظمى فى أهل الموقف .

وهى التى تتدافعها الأنبياء حتى تصل إليه ، فيشفع فيهم عند الله ليقضى بين أهل الموقف الذين لحقهم من الكرب والغم مالايطيقون . وهى المقام المحمود الذى اختص به صلى الله عليه وسلم . وهى مجمع عليها(٣).

ومما دل عليها من النصوص حديث أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يجمع الله المؤمنين يوم القيامة ... إلى أن قال : "... ولكن ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر فيأتونى فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى عليه فإذا رأيت ربى وقعت له ساجداً ، فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقال لى ارفع يامحمد

---

(١) انظر ص: ٣٢٠

(٢) مجموع الفتاوى ١/٣١٤ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٢٩ ، لوامع الأنوار ٢/٢٠٨، ٢١١ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٧٣ ، الشفاعة ص٣١ .

وقل يسمع وسل تعطى واشفع تشفع فأحمد ربى بمحامد علمنيها ثم أشفع ..." الحديث(١).

وحديث أبى هريرة قال : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال : "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الناس الأولين والآخرين فى صعيد واحد ..." إلى أن يقول : "... فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى مانحن فيه فانطلق فأتى تحت العرش فأقع ساجداً لربى عز وجل ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطى واشفع تشفع ..." الحديث(٢).

(٢) شفاعته لأمته فى دخول الجنة(٣).

مما دل عليها حديث أبى هريرة ، وفيه قال صلى الله عليه وسلم : "فأقول أمتى يارب ، أمتى يارب ، فيقال : يامحمد أدخل من أمتك من لاحساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب"(٤).

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب التوحيد (٩٧) ، باب قول الله تعالى {لما خلقت بيدى} (١٩) ، ٨/١٧٢-١٧٣ .
وبلفظ مقارب فى باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٣٦) ٨/٢٠٠-٢٠١ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه بألفاظ مقاربة فى كتاب الإيمان (١) ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) برقم ١٩٣ ، ١/١٨٠-١٨٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب التفسير (٦٥) ، فى تفسير سورة بنى إسرائيل (١٧) ، باب {ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً} (٥) ، ٥/٢٢٥-٢٢٧ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، بلفظ مقارب ، فى كتاب الإيمان (١) ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٨٤) برقم ١٩٤ ، ١/١٨٤-١٨٦ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٣ ، الشفاعة ص١٨ .

(٤) انظر تخريج الحديث السابق .

وفى حديث أنس : "فأحمد ربى بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لى حداً فأدخلهم الجنة"(١).

(٣) شفاعته للمؤمنين من أهل الكبائر(٢).

وقد سبقت بعض النصوص التى تدل عليها(٣). وهى لاتختص به صلى الله عليه وسلم وإنما يشركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون(٤).

وله شفاعات أخرى صلى الله عليه وسلم ، منها مايشركه فيها غيره ، ومنها مايختص به(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

"فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها لايشركه فيها أحد ، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء ، والصالحين ، ولكن ماله فيها أفضل مما لغيره فإنه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل وله من الفضائل التى ميزه الله بها على سائر النبيين"(٦).

---

(١) سبق تخريجه انظر ص: ٣٢٣

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣١٨/١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٣ ، شرح لمعة الإعتقاد ص٧٤،٧٣ ، الشفاعة ص٦١ .

(٣) انظر ص : ٣٢٠

(٤) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٣ .

روى مسلم بسنده إلى أبى سعيد الخدرى أن ناساً فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نعم" . قال : "هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ - فذكر الحديث - وفيه :

"فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون . ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملواخيراً قط ..." الحديث .

صحيح مسلم ، كتاب الإيمان (١) ، باب معرفة طريق الرؤية (٨١) برقم ١٨٣ ، ١٦٧/١-١٧١ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٣١٧/١،٣١٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٢٣٢،٢٣٣ ، لوامع الأنوار ٢١١/٢،٢١٢ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٧٢-٧٥ ، الشفاعة ص١٨،٣١،٦١

(٦) مجموع الفتاوى ٣١٤/١ ، وانظر ١٥٣/١،١٥٤ .

(٤) أما دليلهم العقلى فى نفى الشفاعة :

وهو زعمهم أن الله يجب عليه أن يثيب الطائع ويعاقب العاصى ، وإثابة من لايستحق الثواب قبيحة ، والعصاة ليسوا من أهل الثواب . سبق جوابه عند الحديث عن أفعال العباد(١)، وصاحب الكبيرة(٢)بما يغنى عن الإعادة .

(٥) أدلتهم النقلية :

أما مااستدل به المعتزلة من آيات ، إنما تتعلق بالشفاعة المنفية ، وهذه بخلاف الآيات التى أثبتت الشفاعة يوم القيامة . وقد غضوا الطرف عنها .

من ذلك قوله تعالى : {من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه}(٣).

وقوله : {ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون}(٤).

وقوله : {يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً}(٥).

والآيات فى ذلك كثيرة جداً فى إثبات الشفاعة .

وأما الآيات النافية للشفاعة يوم القيامة ، فما فهمه السلف منها مخالف لما فهمه أهل الاعتزال ، وإيضاح ذلك فيما يلى :

(أ) إن المراد بالشفاعة المنفية فى تلك الآيات الشفاعة للمشركين والكفار .فهؤلاء لاتنفعهم الشفاعة أصلاً كما دل على ذلك قوله تعالى : {ماسلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين}(٦).

---

(١) انظر ص ، ٢٤٣ فما بعدها .
(٢) انظر ص : ٢٨٩ فما بعدها .
(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٥
(٤) سورة الزخرف : آية ٨٦
(٥) سورة طه : آية ١٠٩
(٦) سورة المدثر : آية ٤٢-٤٨

(ب) المراد بذلك الشفاعة التى يثبتها أهل الشرك وأهل البدع ، الذين يعتقدون أن الخلق يشفعون عند الله بغير إذن كما يشفع بعضهم لبعض فى الدنيا(١).

والشفاعة إنما تطلب من الله تعالى لأنه هو المالك لها سبحانه كما قال {قل لله الشفاعة جميعاً}(٢).

وأما الشفاعة المثبتة فهى لاتثبت عند السلف إلا بشروط وهى :

(١) الإذن للشافع بالشفاعة . كما قال سبحانه : {من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه}(٣). وقال : {مامن شفيع إلا من بعد إذنه}(٤).

(٢) الرضا عن المشفوع فيه . كما قال سبحانه : {وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى}(٥). وقال : {ولايشفعون إلا لمن ارتضى}(٦)(٧).

---

(١) مجموع الفتاوى ١/١٤٩-١٥٠ بتصرف . وانظر فى الرد على استدلالات المعتزلة بالآيات مفصلاً فى لوامع الأنوار ٢/٢١٧ .

(٢) سورة الزمر : آية ٤٤

(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٥

(٤) سورة يونس : آية ٣

(٥) سورة النجم : آية ٢٦

(٦) سورة الأنبياء : آية ٢٨

(٧) انظر : مجموع الفتاوى ١/١١٨،١١٩،١٤٥،١٤٩،٢٣٤،٣٣٢ ، اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٨٢١،٨٢٢ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٧٤،٧٥ ، الشفاعة ص١٢،١٣ .

(٦) **عذاب القبر** .

عـذاب القبر أو نعيمه حق ثابت بظاهر القرآن وصـريح السنة ، وعلى ذلك إجماع أهل السنة(١).

فـإن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عـذاب وأن ذلـك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الـروح تبقـى بعـد مفارقة البدن منعمة أو معـذبة،وأنهـاتتصل بالبـدن أحياناً ويحصل له معهـا النعيم أو العذاب ، ثم إذا كـان يوم القيامة الكبرى أعيـدت الأرواح إلى الأجسـاد وقاموا من قبـورهم لرب العالمين(٢).

والآيات الدالة على إثباته كثيرة ، من ذلك قوله سبحانه : {يثبت الله الـذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضـل الله الظالمين ويفعل الله مايشـاء}(٣)، وقـوله : {فوقاه اللـه سيئات مامكـروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشيـاً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العـذاب}(٤). وكقـوله : {وإن للذين ظلمـوا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لايعلمون}(٥).

وأمـا الأحاديث فى إثبـاته فقـد تواترت تواتراًمعنـوياً فيجـب اعتقـاد مادلت عليه والإيمان به(٦)، وسوف نورد طرفاً منها عند الحديث عـن كشف شبهات المعتزلة .

وقد صدق السلف رضوان الله عليهم بذلك وأيقنـوا وأثبتوا ماجاءت به الأحاديث ولم يردوا شيئـاً منهـا ، ولم يعـارضوها بعقـل ولارأى ، وإنما منهجهم التسليم والانقياد(٧).

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد ص٦٩ .
(٢) الروح ص٥٢ ، لوامع الأنوار ٢/٢٥ .
(٣) سورة إبراهيم : آية ٢٧
(٤) سورة غافر : آية ٤٥-٤٦
(٥) سورة الطور : آية ٤٧
(٦) انظر : الروح ص٥٢، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩، لوامع الأنوار ٢/٥،١٣،٢٣
(٧) انظر فى بيان مذهب السلف فى إثبات عذاب القبر :
الروح ص٥٢ ، لوامع الأنوار ٢/٢٥ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٦٩ .

قال المروزى : قال أبو عبد الله : عذاب القبر حق لاينكره إلا ضال أو مضل .

وقال حنبل : قلت لأبى عبد الله فى عذاب القبر . فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها ، كلما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم باسناد جيد أقررنا به . إذا لم نقر بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره . قال الله تعالى : {وماآتاكم الرسول فخذوه}(١). قلت له : وعذاب القبر حق؟ قال : حق يعذبون فى القبور . قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وأن العبد يسأل فى قبره فـ{يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة}(٢)(٣)فى القبر .

ويمكن أن نعرض شبهات المعتزلة حول عذاب القبر فيما يأتى :

(١) لقد زعم المعتزلة أن الأخبار الدالة على عذاب القبر مجملة .

ولذلك انقسموا حوله إلى ثلاث فرق :

١ ـ أنكره ضرار بن عمرو(٤).

٢ ـ قطع به بعضهم فى الجملة .

٣ ـ جوزه آخرون(٥).

---

(١) سورة الحشر : آية ٧

(٢) سورة إبراهيم : آية ٢٧

(٣) الروح ص٥٧ ، لوامع الأنوار ٢٣/٢ .

(٤) ضرار بن عمرو :

هو ضرار بن عمرو الغطفانى ، قاضى من كبار المعتزلة ، وهو زعيم الفرقة الضرارية له مقالات خبيثة كفره المعتزلة من أجلها وطردوه .

انظر : فضل الاعتزال ص٣٩١ ، ميزان الاعتدال ٢٣٨/٢،،٢٣٩ ، سير أعلام النبلاء ٥٤٤/١٠-٥٤٦ ، لسان الميزان ٢٠٣/٣ ، الأعلام ٢١٥/٣ .

(٥) انظر : فضل الاعتزال ص٢٠١،٢٠٢ ، شرح الأصول ص٧٣٠ ، الفصل فى الملل والنحل ٦٧/٤ .

(٢) وتدور شبههم حول كيفية ثبوته ووقت ذلك الثبوت .

أما بالنسبة لكيفية ثبوته فإنهم قالوا :

(أ) مايروى بأن الموتى يسمعون لايصح إلا أن يراد أنهم فى تلك الحال يسمعون بأن أحياهم الله وقوى سمعهم .

وماروى بأن الميت يسمع خفق النعال لايصح أيضاً .

الدليل العقلى على ذلك :

الإدراك إنما يترتب على الحياة ، وبالتالى لابد من إحياء الموتى لكى يصح تعذيبهم ، ولابد من خلق العقل فيهم ليحسن ذلك التعذيب ، وإلا اعتقد المعذب أنه مظلوم ، والميت كالجماد لايسمع ولايبصر ولايلتذ ، وتعذيب الجماد محال . وهذا إنما يعلم من جهة العقل ولامدخل للسمع فيه(١).

(ب)عذاب القبر إن صح لبعض الناس فإنه لايصح لبعضهم وهم الذين فقدت أجسادهم أو تعذر وصول الحياة إليها(٢).

وأما بالنسبة لوقته فقد قالوا :

(أ) الأخبار دلت على أن وقت العذاب يكون قرب الدفن ولكنا لانعين ذلك ، لأنه لاطريق إلى تعيينه ، والقوى فى ذلك أنه يؤخر إلى مابين النفختين لقوله : {ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون . فإذا نفخ فى الصور فلاأنساب بينهم يومئذ ولايتساآلون}(٣)(٤).

(ب)أما كون نباشى القبور لايرون أثر العقوبة على الميت :

أولاً : من المجوز أن الله لايعذبه فى حالة اطلاع النباش أو غيره .

ثانياً : جائز أن يعذبه على وجه يستتر عنهم لوجه من المصلحة يرى فى ذلك.

---

(١) انظر : فضل الاعتزال ص٢٠١،٢٠٢ ، شرح الأصول ص٧٣١،٧٣٢ .

(٢) انظر : فضل الاعتزال ص٢٠٣ .

(٣) سورة المؤمنون : آية ١٠٠،١٠١

(٤) انظر : فضل الاعتزال ص٢٠٢ ، شرح الأصول ص٧٣١،٧٣٢ .

ثالثاً : الصحيح أنه يؤخر ذلك إلى مابين النفختين(١).

(ج) قوله : {النار يعرضون عليها غدواً وعشياً}(٢).

هذا فى آل فرعون خاصة فلايقاس عليهم غيرهم(٣).

ويجاب على هذه الشبه بما يلى :

إن زعمهم أن الأخبار مجملة فى إثبات عذاب القبر ثم انقسامهم حوله إلى ماذكرنا ، يتبين منه أن المعتزلة وإن زعم بعضهم بأنه يقطع بوقوعه لدلالة الأخبار عليه ، إلا أنهم لم يسلموا للنصوص فى ذلك تسليماً كاملاً . ولم يسلم هذا الأمر من إقحام عقولهم فى جزئيات منه .

نعم إن من أثبته منهم أثبته فى الجملة ، ولكنهم خاضوا فى كيفية ثبوته ووقت ذلك الثبوت مما دفعهم إلى رد بعض النصوص وتأويل بعضها.

وإليك بيان ذلك :

فيما يتعلق بالكيفية :

(أ) زعموا أن مايروى بأن الموتى يسمعون ، وأن الميت يسمع خفق النعال لايصح .

هذا زعم فى مناهضة الثابت من الأدلة الصريحة التى تثبت ذلك .

منها : مارواه البخارى بسنده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم ..." الحديث(٤).

---

(١) انظر : شرح الأصول ص٧٣٣ .

(٢) سورة غافر : آية ٤٦

(٣) انظر : فضل الاعتزال ص٢٠٣ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب ماجاء فى عذاب القبر (٨٧) ١٠٢/٢ وبلفظ مقارب فى باب الميت يسمع خفق النعال (٦٨) ، ٩٢/٢ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، فى كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧) برقم ٢٨٧٠ ، ٢٢٠٠/٤-٢٢٠١ .

ومارواه بسنده إلى ابن عمر رضى الله عنهما قال : "اطلع النبى صلى الله عليه وسلم على أهل القليب فقال :"وجدتم ماوعد ربكم حقاً" فقيل له : تدعو أمواتاً؟ فقال :"ماأنتم بأسمع منهم ، ولكن لايجيبون"(١).

ولادليل على خصوصية ذلك بأهل البدر .

قال القاضى عياض رحمه الله :

"يحتمل سماعهم على مايحتمل عليه سماع الموتى فى أحاديث عذاب القبر وفتنته التى لامدفع لها . وذلك بإحيائهم أو إحياء جزء منهم يعقلون به ويسمعون فى الوقت الذى يريد الله تعالى" .

وقال الإمام النووى رحمه الله بعد نقله لكلام القاضى عياض السابق "وهو الظاهر المختار الذى يقتضيه أحاديث السلام على القبور"(٢).

وأما دليلهم العقلى فيجاب عنه بالآتى :

أولاً : هذا إقحام منهم للعقل فى أمر لاطاقة له به ولامدخل له فيه ، لأن عذاب القبر أمر غيبى لاعهد للعقول به فى هذه الدار ، ولايمكنها أن تصل إلى كيفيته ، وإنما يتوقف الإيمان فيه على النصوص الواردة ، وإن كان العقل لايمنع وقوعه ، والشرع لايأتى بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتى بما تحار فيه العقول(٣).

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب ماجاء فى عذاب القبر (٨٧) ، ١٠١/٢ . وبلفظ مقارب فى كتاب المغازى (٦٤) ، باب قتل أبى جهل ٩/٥ . وأخرجه مطولاً عن أبى طلحة فى الكتاب والباب السابقين ٨/٥ .
وأخرج مسلم فى صحيحه نحوه ، فى كتاب الجنائز (١١) ، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه (٩) ، برقم ٩٣٢ ، ٦٤٣/٢ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ٢٠٦/١٧-٢٠٧ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩ .

ثانياً : إن الحياة التى يحياها الميت فى قبره والتى دل عليها حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله : "فتعاد روحه إلى جسده"(١).

حياة أخرى غير هذه الحياة المعهودة فى الدنيا التى تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه وتحتاج إلى مايحتاج إليه الأحياء ، وهذا أمر لايكذبه العقل ولاينفيه(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله :

"إن الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام :

أحدها : تعلقها به فى بطن الأم جنيناً .

الثانى : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به فى حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه .

الرابع : تعلقها به فى البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لايبقى لهاالتفات إليه البتة.

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولانسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ، إذ هو تعلق لايقبل البدن معه موتاً ولانوماً ولافساداً .

---

(١) هذاجزء من حديث البراء بن عازب الطويل فى شأن عذاب القبر .
والحديث أخرجه أبو داود فى سننه بطوله ، فى كتاب السنة ، باب فى المسألة فى القبر وعذاب القبر برقم ٤٧٥٣ ، ٤/٢٣٩-٢٤٠ .
وأحمد فى المسند ٤/٢٨٧-٢٨٨ .
والحاكم فى المستدرك ، وذكر له طرقاً . وقال : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين" ووافقه الذهبى ١/٣٧-٤٠ .
وأخرج جزء منه فى كتاب العلم ١/١٢٠ .
وأورده الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ٣/٥٢-٥٣ .
ونص الشيخ ناصر الدين الألبانى على صحته . انظر صحيح سنن أبى داود ٣/٩٠٢ شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٨ هامش رقم ٥٢٥ .

(٢) انظر : الروح ص٤٣ ، فتح البارى ٣/٢٤١ .

وإذا كان النائم روحه فى جسده وهو حى وحياته غير حياة المستيقظ فإن النوم شقيق الموت ، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت له حال متوسطة بين الحى وبين الميت الذى لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحى والميت ، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة"(١).

فقياس حياة البرزخ بحياة الدنيا قياساً عقلياً هو سر تخبط المعتزلة وانحرافهم عن جادة الصواب ، وقدحهم فى الأحاديث الصحيحة بالرد والتأويل .

فعذاب القبر ونعيمه من الأمور التى لاطريق للعلم بها إلا النصوص الواردة فى الكتاب والسنة مما ليس للعقل فيه مجال(٢).

والرسل صلوات الله وسلامه عليهم لايخبرون بما تحيله العقول وتنافيه ولكن إخبارهم إما أن يشهد به العقل والفطرة ، وإما الايدركه العقل لعجزه عن الوصول إلى حقيقته وكنهه ولايكون الخبر بذلك محالاً فى العقل ، وبالتالى كل خبر يظن أن العقل يحيله فإما أن يكون كذباً أو يكون ذلك العقل فاسداً .

وسوء الفهم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وتحميل الكلام مالايحتمل أو التقصير به عن مراد الله ورسوله هو الذى أوقع أهل الاعتزال ومن على شاكلتهم فى تلك الضلالات والبدع ، ففهموا خطأ ثم جعلوا مافهموه هو الدين الذى جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم فوالوا فيه وعادوا فيه . ومافهمه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجهم لايلتفت إليه ولايعول عليه(٣).

---

(١) الروح ص٤٣-٤٤ ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٩ .
(٢) انظر : لوامع الأنوار ٣/٢ .
(٣) انظر : الروح ص٦٢،٦٣ .

(ب)قولهم إن عذاب القبر وإن صح لبعض الناس فلايصح لبعضهم ، ويعنون بذلك الذين فقدت أجسادهم أو تعذر وصول الحياة إليها .

ويجاب على هذا :

إن كل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه سواء قبر أو لم يقبر ، فإن أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف فى الهواء ، أو صلب أو أغرق فى البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب مايصل إلى المقبور(١).

وكون الميت قد تفرقت أجزاؤه أو أكلته السباع أو الحيتان أو فقد شىء من جسمه لايمنع ذلك من إحياء جزء من أجزائه وإيصال العذاب إليه(٢).

يقول ابن القيم رحمه الله :

"إنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لانشعر بها لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود ، فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت(٣)أحياء وأرواحهم معهم ولانشعر بحياتهم ، ومن تفرقت أجزاؤه لايمتنع على من هو على كل شىء قدير أن يجعل للروح اتصالاً بتلك الأجزاء على تباعد مابينها وقربه ويكون فى تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل فى الجمادات شعوراً وإدراكاً تسبح ربها به ، وتسقط الحجارة من خشيته(٤)، وتسجد له

---

(١) الروح ص٥٨ بتصرف ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٠ .

(٢) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ٢٠١/١٧ .

(٣) المبهوت : هو الذى أخذ بغتة .
انظر : القاموس المحيط ص١٨٩ ، مادة (بهت) .

(٤) جاء ذلك فى قوله تعالى : {وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وماالله بغافل عما تعملون} . سورة البقرة : آية ٧٤

الجبال والشجر(١)، وتسبحه الحصى والمياه والنبات ، قال تعالى : {وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم}(٢)... وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل(٣)، وسمعوا حنين الجذع اليابس فى المسجد(٤)، فإذا كانت هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور فالأجسام التى كانت فيها الروح والحياة أولى بذلك"(٥).

والحاصل إن الله جعل الدور ثلاثاً ، دار الدنيا ، ودار البرزخ(٦)، ودار القرار ، وجعل الإنسان من بدن ونفس ، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها ، فجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها ، وجعل أحكام الآخرة على

---

(١) وجاء ذلك فى قوله تعالى : {ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ...} الآية . سورة الحج : آية ١٨

(٢) سورة الإسراء : آية ٤٤

(٣) روى البخارى بسنده إلى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : "كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال : اطلبوا فضلةمن ماء فجاؤا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الإناء ثم قال : "حى على الطهور المبارك والبركة من الله" فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل".
صحيح البخارى ، كتاب المناقب (٦١) ، علامات النبوة فى الإسلام (٢٥) ، ١٧١/٤ .

(٤) وروى بسنده إلى جابر بن عبد الله قال : "كان المسجد مسقوفاً على جذوع من نخل ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها ، فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار ، حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت".
صحيح البخارى ، الكتاب والباب السابقين ١٧٣/٤-١٧٤ .

(٥) الروح ص٧٢-٧٣ .

(٦) البرزخ : هو الحاجز بين الشيئين ، والمراد به الفترة مابين الموت إلى القيامة . انظر : القاموس المحيط ص٣١٨ .

الأبدان والأرواح جميعاً ، فأحكام البرزخ تجرى على الأرواح فيسرى ذلك على أبدانها نعيماً أو عذاباً(١).

والروح تنعم أو تعذب منفردة عن البدن ومتصلة به فيكون النعيم أو العذاب عليهما جميعاً ، كما يكون على الروح منفردة(٢).

فالميت يقع عليه النعيم أو العذاب ولو لم يقبر ، وإنما أضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه ، وإن أكثر الموتى يقبرون ، ومن يقبر فإن جسده يتحلل ويتحول إلى تراب ومع ذلك يصل إليه النعيم أو العذاب ، وهذا محجوب عن الخلق(٣).

ومايتعلق من شبه بوقت عذاب القبر فإنهم زعموا :

(أ) أن الأخبار دلت على أن وقته قرب الدفن ، ولكنا لانعين ذلك ، لأنه لاطريق إلى تعيينه ، والصحيح أنه يؤخر إلى مابين النفختين لقوله : {ومن ورائهم برزخ ...} الآية(٤).

الذى يلقى نظرة على الأدلة من الكتاب والسنة يجد أن عذاب من يستحق العذاب يبدأ منذ قدوم الملائكة لأخذ روحه عند الموت . قال الله تعالى : {ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بماكنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون}(٥).

فقوله : "والملائكة باسطوا أيديهم" أى بالضرب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم ، وهو كقوله : {ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم}(٦)(٧).

---

(١) انظر : الروح ص٦٣،٦٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠١ .
(٢) انظر : الروح ص٥١ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٠ .
(٣) انظر : الفصل فى الملل والنحل ٦٧/٤ ، فتح البارى ٢٣٣/٣ .
(٤) سورة المؤمنون : آية ١٠٠
(٥) سورة الأنعام : آية ٩٣
(٦) سورة الأنفال : آية ٥٠
(٧) انظر تفسير القرآن العظيم ١٥٧/٢ .

كما دلت الأدلة على وقوع العذاب عقب الدفن وبعد سؤال الملكين وامتحانهما له . فقد جاء فى حديث البراء بن عازب فى شأن المؤمن "فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها ويفسح له فى قبره" .

وقال فى الكافر "فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً من النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه" الحديث(١).

فهذا نص على وقوع العذاب بعد الدفن .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : "مر النبى صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة أو مكة فسمع صوت إنسانين يعذبان فى قبورهما ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يعذبان ، ومايعذبان فى كبير . ثم قال : بلى ، كان أحدهما لايستتر من بوله ، وكان الآخر يمشى بالنميمة ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة ، فقيل له : يارسول الله لم فعلت هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم : لعله أن يخفف عنهما مالم تيبسا"(٢).

وفى حديث زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حائط لبنى النجار على بغلة له ، ونحن معه ، إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال : "من يعرف

---

(١) سبق تخريجه ،انظر : ٣٣٢

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه ، فى كتاب الوضوء (٥٥) ، باب من الكبائر أن لايستتر من بوله (٥٥) ١/٦٠-٦١ ، وبلفظ مقارب : فى باب ماجاء فى غسل البول (٥٦) ، ١/٦١ ، وفى كتاب الجنائز (٢٣) ، باب الجريد على القبر (٨٢) ، ٢/٩٨-٩٩ ، وفى باب عذاب القبر من الغيبة والبول (٨٩) ، ٢/١٠٣ ، وفى كتاب الأدب (٧٨) ، باب الغيبة (٤٦) ، ٧/٨٥-٨٦ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه ، بلفظ مقارب . فى كتاب الطهارة (٢) ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٣٤) برقم ٢٩٢ ، ١/٢٤٠-٢٤١ .

أصحاب هذه الأقبر"؟ فقال رجل : أنا . قال : "فمتى مات هؤلاء"؟ قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : "إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها . فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه ..." الحديث(١).

وفى حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه فى ذكر منام النبى صلى الله عليه وسلم ورؤيته للمعذبين كيف يعذبون(٢).

فقد دلت هذه الأحاديث على استمرارية عذاب القبر بعد الدفن ، وهل يدوم ذلك الى يوم القيامة أم ينقطع؟

الظاهر من النصوص أن منه ماهو دائم إلى يوم القيامة ،وهو عذاب الكفار ، كما قال تعالى : {النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب}(٣)، وفى حديث أبى هريرة فى شأن المنافق : "فيقال للأرض التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها أضلاعه فلايزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك"(٤).

ومنه الذى يدوم مدة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة ، فإنهم يعذبون على قدر جرائمهم ثم يخفف عنهم(٥).

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه فى كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧) ، ورقمه ٢٨٦٧ ، ٤/٢١٩٩-٢٢٠٠ .

(٢) وهو حديث طويل . أخرجه البخارى فى صحيحه . كتاب الجنائز (٢٣) ، باب (٩٣) ، ٢/١٠٤-١٠٥ ، وفى كتاب التعبير (٩١) ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح (٤٨) ، ٨/٨٤-٨٦ .
وأخرج مسلم فى صحيحه طرفا يسيرا منه فى كتاب الرؤيا (٤٢) ، باب رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم (٤) ، برقم ٢٢٧٥ ، ٤/١٧٨١ .

(٣) سورة غافر : آية ٤٦

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه ، كتاب الجنائز (٨) ، باب ماجاء فى عذاب القبر (٧١) برقم ١٠٧١ ، ٣/٣٨٣ ، وحسنه الشيخ ناصر الألبانى . صحيح سنن الترمذى ١/٣١١ ، وانظر : مشكاة المصابيح ١/٤٧ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/٣٨٠ ورقمه ١٣٩١ .

(٥) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠١ .

فزعمهم أن العذاب يؤخر إلى مابين النفختين زعم لاحقيقة له لأن الأدلة السابقة تخالفه ، والآية التى استدلوا بها دليل عليهم لالهم ، لأن المراد بالبرزخ هو الحاجز الذى بين الدنيا والآخرة وهى فترة بقاء الناس فى قبورهم(١).

فالآية نص على عذاب القبر . وهو عذاب البرزخ(٢).

(ب)أما كون نباشى القبور لايرون أثر العقوبة على الميت :

وجوابهم على ذلك بأنه من المجوز أن الله لايعذبه فى حالة اطلاع النباشى أو غيره ...الخ .

والجواب :

أولاً : إن المعتزلة وهم فى معرض الرد على المنكرين لوقوع عذاب القبر بهذه الشبهة العقلية ، يقرون فى ردهم أصل الشبهة التى انطلق منها أولئك ، وهى قياسهم حياة البرزخ بالحياة الدنيا . وقولهم "أو يعذبه على وجه يستتر عنهم" لايشفع لهم فيما قالوا لأنه أورد فى معرض الجواز كما أورد عدم وقوع العذاب فى حال اطلاع النباشى أو غيره على الميت . بل وترجيح أن العذاب يقع بين النفختين كما زعموا فيه دلالة على تأييد شبهة أولئك المنكرين .

ثانياً : إن الله عزوجل جعل أمر الآخرة ومايتصل بها من حياة البرزخ أمراً غيبياً محجوباً عن المكلفين فى هذه الدار لكمال حكمته سبحانه وتعالى وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم(٣).

ثالثاً : إن أحوال الآخرة وحياة البرزخ لاتقاس بأحوال الدنيا ، لأن ذلك قياس للغائب على الشاهد وهو محض الضلال والجهل وتكذيب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم(٤).

---

(١) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣/٢٥٦ .

(٢) الروح ص٥٨ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٠ .

(٣) انظر : الروح ص٦٤ .

(٤) انظر : المرجع السابق ص٧١ ، فتح البارى ٣/٢٣٥ ، شرح لمعة الاعتقاد ص٧٠ .

رابعاً : إن العذاب الذى فى القبر ، والنعيم الذى فيه ليس من عذاب الدنيا ولانعيمها . فإن الميت يعذب أو ينعم ، وأهل الدنيا لايحسون بذلك .

بل لو دفن رجلان أحدهما إلى جنب الآخر ، وكان أحدهما منعماً ، والآخر معذباً ، فإن نعيم الأول لايصل إلى الثانى ، وكذا عذاب الثانى لايصل إلى الأول ، وقدرة الرب سبحانه أعجب وأوسع من ذلك ، ولكن النفوس مولعةبتكذيب مالم تحط به علماً ، إلا من عصمه الله ووفقه(١).

خامساً : إن الله عز وجل حجب بنى آدم من رؤية كثير مما يحدث فى هذه الدنيا ، فجبريل عليه السلام كان ينزل بالوحى على النبى صلى الله عليه وسلم ويخاطبه على كثب من الصحابة رضوان الله عليهم وهم لايرونه ، والجن يعيشون بيننا ويتكلمون فيما بينهم ونحن لانراهم ولانسمع كلامهم ، والنائم يجد ألماً ولذة فى نومه ولايحس بذلك جليسه ، بل اليقظان يحس بالألم ويشعر باللذة ولايجد ذلك من يجالسه(٢).

والمحتضر يشعر بالألم عند احتضاره وتضربه الملائكة والحاضرون لايرون ذلك . كذلك عذاب القبر يقع على الميت وهو يتألم ولو كان موضوعاً بين الناس ، وتسأله الملائكة ويجيبها ومع ذلك لايراه الناس ولايسمعون كلامه(٣).

سادساً : لو أطلع الله العباد على عذاب القبر لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ، ولما تدافن الناس ، كما ثبت فى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "فلولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه"(٤).

---

(١) انظر : الروح ص٦٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠٠،٤٠١ .

(٢) انظر : شرح النووى على صحيح مسلم ٢٠١/١٧ ، الروح ص٧١ ، فتح البارى ٢٥٣/٣ .

(٣) انظر : الاعتصام ٣٢٩/٢ ، الروح ص٧٢ .

(٤) سبق تخريجه انظر ص : ٣٣٨

ولما كانت هذه الحكمة منفية فى البهائم سمعت ذلك وأدركته(١).

(ج) دعواهم : إن قوله تعالى {النار يعرضون عليها غدواً وعشياً}(٢) فى آل فرعون خاصة .

يجاب على ذلك :

بأن دعوة الخصوصية ممتنعة ولادليل عليها ، ومما يؤيد ذلك :

أولاً : لقد احتج أهل العلم بهذه الآية على عذاب القبر ومازالوا يستشهدون بها على إثباته(٣)، حتى قال الإمام ابن كثير رحمه الله : "وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور"(٤).

ثانياً : لقد فهم الصحابة والتابعون رضى الله عنهم عدم الخصوصية فى الآية ولذلك جعلوها مستنداً لهم فى إثبات عذاب القبر(٥).

---

(١) انظر : الروح ص٦٦ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٠١ ، فتح البارى ٢٣٥/٣ . روى البخارى بسنده إلى عائشة رضى الله عنها قالت : "دخلت علىّ عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا لى : إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا ، ودخل النبى صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يارسول الله إن عجوزين وذكرت له . فقال : "صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم كلها" . فما رأيته بعد فى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر .
صحيح البخارى ، كتاب الدعوات (٨٠) ، باب التعوذ من عذاب القبر (٣٧()) ، ١٥٨/٧-١٥٩ .
وانظر صحيح مسلم ، كتاب المساجد (٥) ، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر (٢٤) برقم ٥٨٦ ، ٤١١/١ .

(٢) سورة غافر : آية ٤٦

(٣) انظر : زاد المسير ٤٦/٧ ، شرح النووى على صحيح مسلم ٢٠٠/١٧ ، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٥،٣١٩ ، الروح ص٧٥ ، تفسير القرآن العظيم ٨١/٤ ، شرح العقيدة الطحاوية ص٣٩٦ ، فتح البارى ٢٣٣/٣ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٨١/٤ .

(٥) انظر : الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٥ .

ثالثاً : روى البخارى بسنده إلى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى . إن كان من أهل الجنة ، فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة(١)". وهذا فى معنى الآية .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز (٢٣) ، باب الميت يعرض عليه بالغداة والعشى (٩٠) ٢/١٠٣ ، وبلفظ مقارب فى كتاب بدء الخلق (٥٩) ، باب ماجاء فى صفة الجنة (٨) ، ٤/٨٥ ، وفى كتاب الرقاق (٨١) ، باب سكرات الموت (٤٢) ، ٧/١٩٣ .
وأخرجه مسلم فى صحيحه وزاد : "وإن كان من أهل النار فمن أهل النار" . فى كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (١٧) برقم ٢٨٦٦ ، ٤/٢١٩٩ .